لسانيات

خولة طالب الإبراهيمي

مبادئ في اللسانيات

طبعة ثانية منقحة

دار القصبة للنشر

خولة طالب الإبراهيمي

مبادئ في اللسانيات

دار القصبة للنشر
فيلا 6، حي سعيد حمدين – حيدرة – 16012 الجزائر

تدمك : 4 – 207 – 64 – 9961
الإيداع القانوني 99 – 656
الطبعة الثانية

قارئي الكريم :

في سنة 1974 بدأت أدرس مادة اللسانيات وأنا معيدة مساعدة لأستاذي الجليل عبد الرحمن الحاج صالح الذي كان له الفضل الكبير في تكويني في العلوم اللغوية بمعهد اللغة العربية وآدابها بجامعة الجزائر، ثم في سنة 1978 كان لي الشرف العظيم بتولي الإشراف الكامل على تدريسها حيث كلفني أستاذي بإلقاء المحاضرات على طلبة الليسانس.

مرت سنوات، التقيت فيها بالعشرات من الطلبة واشتد عودي وتمرست تجربتي فبدأت فكرة جمع محاضراتي ودروسي ونشرها تراودني لوضعها في متناول الطلبة الذين كانوا يلحون دائما عليّ بطبعها على شكل مذكرات خاصة وأن المكتبة العربية تشكو من عجز كبير في مجال الدراسات اللغوية الحديثة.

اليوم وبفضل مبادرة زميلي مصطفى ماضي ومؤسسة دار القصبة للنشر، فتحت سلسلة تعنى بنشر أعمال الجامعيين موجهة إلى الطلاب والأساتذة والباحثين.

تحققت أمنيتي وأمنية طلبتي أخيرا. وتنشر اليوم هذه الدروس التي عنونتها «مبادئ في اللسانيات»، أقدم فيها حوصلة عن تطور التفكير اللساني البشري منذ ظهور دي سوسور إلى يوم الناس هذا محاولة إطلاع القارئ بأهم القضايا التي تطرحها اللسانيات عند تناولها لظاهرة اللسان بالدراسة والتحليل.

عمدت في عرضي إلى التعريف بأهم المذاهب اللسانية الغربية (وأهل الغرب هم السباقون اليوم في التجديد والإبداع) ولكن وهذا هو فضل أستاذي

عليّ حرصت على الوقوف (كلما كان ذلك ممكنا) عند وجهة نظر المدرسة الخليلية الحديثة في الموضوع ؛ تلك المدرسة التي تطمح ربط الماضي بالحاضر فتقترح قراءة جديدة تجديدية لتراثنا اللغوي العربي في ضوء النظريات والمبادئ العلمية الحديثة.

تلك هي عصارة تجربة ثرية وشيقة أهديها لطلاب العلم والمعرفة راجية من الله تعالى أن يوفقني لبذل المزيد من الجهد في سبيل التعريف باللغة تلك الظاهرة العجيبة التي هي عنوان الانسان وعلامته بها يمتاز عن باقي المخلوقات الحية.

في الأخير أود أن أشكر كل الطاقم الفني بدار القصبة، وعلى رأسه السيدة سعيداني، الذي سهر على نشر هذا المؤلّف في أحسن صورة.

الأستاذة خولة طالب الإبراهيمي
الجزائر في شهر مارس 2000

الباب الأول

علم اللسان :

اللسانيات العلم / الموضوع

الفصل الأول

علم اللسان : تعريفه، اتجاهاته ومفاهيمه المبدئية

علم اللسان أو اللسانيات [1] بالمفهوم المتداول في عصرنا علم حديث العهد [2]، ظهر في بداية هذا القرن على يد العالم السويسري المشهور فردينان دي سوسور [3] مؤسس اللسانيات الحديثة[4].

تعريفه

علم اللسان هو الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري أي دراسة تلك الظاهرة العامة والمشتركة بين بني البشر والجديرة بالاهتمام والدراسة بغظ النظر عن كل الاعتبارات الاخرى التي لا تُعد من صلب اهتمام اللسانيين. تختص بجوانب ثانوية للسان بحكمه ظاهرة معقدة ومركبة يمكن ان تتناول من زوايا عديدة اجتماعية نفسية، فيزيولوجية وفيزيائية تتكفل بها علوم أخرى مثل علم الاجتماع وعلم النفس وعلم فيزيولوجية الأعضاء وعلم الصوت الفيزيائي.

أما علم اللسان فلا ينظر إلا في خصائصها الذاتية وقد حدد دي سوسور مجاله فقال إنه «دراسة اللسان منه وإليه»[5] أي من أجله ولذاته، بهدف اكتشاف المميزات العامة المشتركة بظاهرة اللسان البشري من خلال دراسة اللغات الطبيعية المختلفة المتداولة بين بني البشر. وتطمح هذه الدراسة أن تكون دراسة وصفية علمية بعيدة عن الاعتبارات المعيارية التي طبعت دائما الدراسات اللغوية والنحوية منها خاصة. فلا يهتم اللساني إلاّ بوصف الأحداث اللسانية وتحليلها كما تتحقق في الواقع وليس على الحال التي يريد هو أن تكون عليه. وهو يطمح بصنيعه هذا أن يرقى بدراسته إلى درجة الدراسة العلمية المتسمة بالموضوعية والمنهجية الدقيقة والمضبوطة.

فهو إذ يهتم بالأحداث اللسانية لا ينظر اليها كأحداث مشخصة فحسب بل يتجاوزها ليصل إلى الصفات المشتركة بينها ليستخرج القوانين المستمرة والمطردة التي تسمى الأصول.

وهو يتحرى في كل ذلك الموضوعية التي عرفت بها العلوم الطبيعية والدقيقة فيتعرض للوقائع اللسانية بالمشاهدة والاستقراء والتحليل الاحصائي ويستغل في ذلك أحدث الوسائل والآلات مثل الحواسب ويجري التجارب في المخابر حيث يحلل الصوت (مثلما سيبين في الفصول التالية) مثلا أو أي نوع من الوحدات اللغوية الأخرى ثم يبني النظريات بعد استنباطه للقوانين التي تنسق في مثل وأنماط رياضية في بعض الاحيان وغايته القصوى في ذلك اثبات العلاقات والنسب القائمة بين الظواهر اللسانية [6].

اتجاهاته

وتغلب على اللسانيات الحديثة نزعتان رئيسيتان : النزعة الحسية النقلية (بالمفهوم العربي القديم) التي تعتمد على المشاهدة والاستقراء ومعاينة الأحداث وتصنيفها لاستنباط القوانين والنزعة العقلية (بالمفهوم العربي القديم) الافتراضية الاستنتاجية التي تنطلق من مسلمة ثم تولد عنها مجموعة من القواعد تستنتجها بفعل عمليات معينة [7].

نمثل للاتجاه الأول بالمدارس البنوية التصنيفية الكلاسيكية التي اشتقت عن توجهات دي سوسور ونذكر منها المدرسة الوظيفية التي مثلت ولا تزال اتجاها قويا بأوروبا والمدرسة البنوية الامريكية التي ظهرت بالولايات المتحدة دونما اتصال بالحركة البنوية الأوروبية إلا أن اتجاهها النظري العام في تحليل الاحداث اللسانية يجعلها تندرج في التيار البنوي الذي ساد العلوم الانسانية والاجتماعية مدة طويلة [8].

أما الاتجاه الثاني فأحسن ما يمثله هو مذهب النحو التوليدي التحويلي الامريكي الذي مثل عند ظهوره ثورة [9] على المذاهب البنوية الأخرى التي تعتبر كلها وريثة التراث السوسوري على الرغم من اختلافها الظاهري.

فما هي إذن الأفكار التي اتى بها هذا العالم الفذ والتي جعلت كل لساني في هذا العصر مدينا له ويعترف له بالفضل وإن اختلف معه بعد ذلك في التناول والمنهاج؟

مفاهيمه المبدئية

والواقع أن دي سوسور بعقله الثاقب كشف من الحقائق اللسانية ما يعتبر الى حد الآن أسسا ومبادئ طورت مفاهيم الدراسات اللغوية ومناهجها حيث ان بعض هذه الأسس متعلق بالكيفية التي ينبغي أن تعالج بها الظواهر اللغوية والبعض الآخر متعلق بخصائص اللسان ذاته.

من أهم الخصائص التي وصف بها دي سوسور اللسان وأولاها اهتماما بالغا مما سيغير التناول اللساني رأسا على عقب كون **اللسان ظاهرة منطوقة أصلا** ومظهره الصوتي هو الأول. فأعطى علماء اللسان الأولوية لدراسة هذا المظهر الصوتي ولم يعتبر دراسة الصورة المكتوبة للسان إلا فرعا للدراسات اللسانية ولم يعد الحرف بمفهوم الرسم المكتوب للصوت حدثا علميا يهتم به اللساني خلافا لما نجده في النحو المعياري الذي يعتمد على قواعد الإملاء والكتابة[10].

وقد تطورت بذلك الدراسات الصوتية أيما تطور على يد علماء أمثال تروبتزكوى وياكبسون ومارتيني وغيرهم مما سنتحدث عنهم في أوانه.

ثم، وربما يكون هذا التصور هو الذي يشهد لدي سوسور، بين هذا العالم ان **اللسان نظام** جوهره صوري غير مادي أي أنه عبارة عن مجموعة من النسب والعلاقات الصورية التي تندرج فيها الوحدات اللغوية على مختلف مستوياتها من أصغرها أي الصوت إلى الجمل. أما الجانب المادي منه «الصوتي والفيزيولوجي...» فخارج عن ذات اللسان وهو بذلك يقول «إن اللسان نظام ترتبط جميع أجزائه ببعضها البعض على أساس اتحاد الهويات واختلافها»[11].

فهو إذن بهذا الاعتبار نظام (بنية سيقول اللغويون بعد دي سوسور) بني بناء محكما ليؤدي الوظيفة التي وضع من أجلها وهي التبليغ. والتبليغ وظيفته الرئيسية.

وهدف اللساني هو الكشف عن أسرار هذا النظام، هذه البنية فيمكن أن تقول بالتالي أن دي سوسور [وإن لم يكن قد استعمل مصطلح البنية إلا ثلاث مرات واستعمل في المقابل مصطلح النظام 138 مرة.] وضع الأسس الأولى للدراسة

البنوية للألسنة الطبيعية وأصبح مفهوم البنية مفهوما محوريا لها بل أصبحت العلوم الانسانية والاجتماعية كلها تستعمله في تحليلاتها فاستحوذ الاتجاه البنوي وصار هو المهيمن على هذا المجال من المعرفة الانسانية ولمدة طويلة[12].

وبناءً على ما سبق حدد دي سوسور موضوع اللسانيات وهو عنده اللسان النظام أو الهيكل التقديري الذي طبع في ذهن الانسان منذ أن خلق فهو منذ أن يولد يملك القدرة على الكلام ثم يكتسب طبعا وصنعة الآليات التي تتحكم في العملية فتنطبع في دماغه تلك المجاري ويشاركه في ذلك كل الناطقين بلغته فتكون هذه الآليات رصيدا على حد تعبير دي سوسرو نفسه ؛ رصيد مستودع في أدمغة مجموعة من المتكلمين بل أفراد المجموعة كلها يستثمرونه عند الحاجة اي عند التكلم.

فاللسان بهذا الاعتبارظاهرة تقديرية صورية تتحقق بفعل عملية التكلم، تلك العمليات التي تتمثل في الظواهر المادية التي تؤدى من خلالها (فيزيولوجية وفيزيائية) وكذا العوامل غير اللغوية التي تؤثر فيها فلا يراها دي سوسور جذيرة بالاهتمام اذ ليست عنده ظواهر لسانية بل ظواهر عارضة متحولة كلامية والكلام عنده يمثل تأدية الفرد أو الجماعة لهذا النظام التقديري فقد يعني العالم بهذه الظواهر الكلامية غير أنّها في نظره ثانوية لاحقة تؤجل دراستها لأنها ليست غاية علم اللسان الذي يعنى باللسان.

واللسان بهذا الاعتبار ظاهرة اجتماعية ذهنية هي الوضع الذي تم الاصطلاح عليه في مجتمع من المجتمعات ويقابله الكلام التأدية الفردية أو الجماعية للسان وخاضع لعوامل[13] عدة اجتماعية ونفسية وتاريخية الى غير ذلك من العوامل الموثرة. يوضح دي سوسور تقابله هذا قائلا «اللسان هو رصيد يستودع في الاشخاص الذين ينتمون الى مجتمع واحد بفضل مباشرتهم للكلام وهو نظام نحوي يوجد وجودا تقديريا في كل دماغ أو على الاصح في أدمغة المجموع من الاشخاص لأن اللسان لا يوجد كله عند أحد منهم بل وجوده بالتمام لا يحصل إلاّ عند الجماعة... وبفصلنا **اللسان** عن **الكلام**، نفصل في الوقت نفسه ما هو اجتماعي عما هو فردي، ما هو جوهري عما هو إضافي أو عرضي في بعض الأحيان... ليس اللسان من وظائف المتكلم بل هو اثر يسجله الفرد بكيفية سلبية... بخلاف الكلام فإنه عمل الفرد

يتعمده ويتبصر فيه ويجب أن نميز فيه بين شيئين : التركيبات التي يركبها المتكلم عن استعماله لوضع اللسان للتعبير عن غرضه الشخصي والآلية النفسانية الفيزيائية التي تمكنه من إخراج هذه التركيبات»[14] وقد تابع اللغويون الغربيون دي سوسور فميزوا في دراساتهم بين الظواهر اللسانية والظواهر الكلامية فكانت اللسانيات البنوية لا تنظر إلاّ إلى الظواهر اللسانية ولا تهتم إلاّ بها ولا تنظر إلى الظواهر الكلامية بل لم تهتم بها إلا كظواهر عارضة[15].

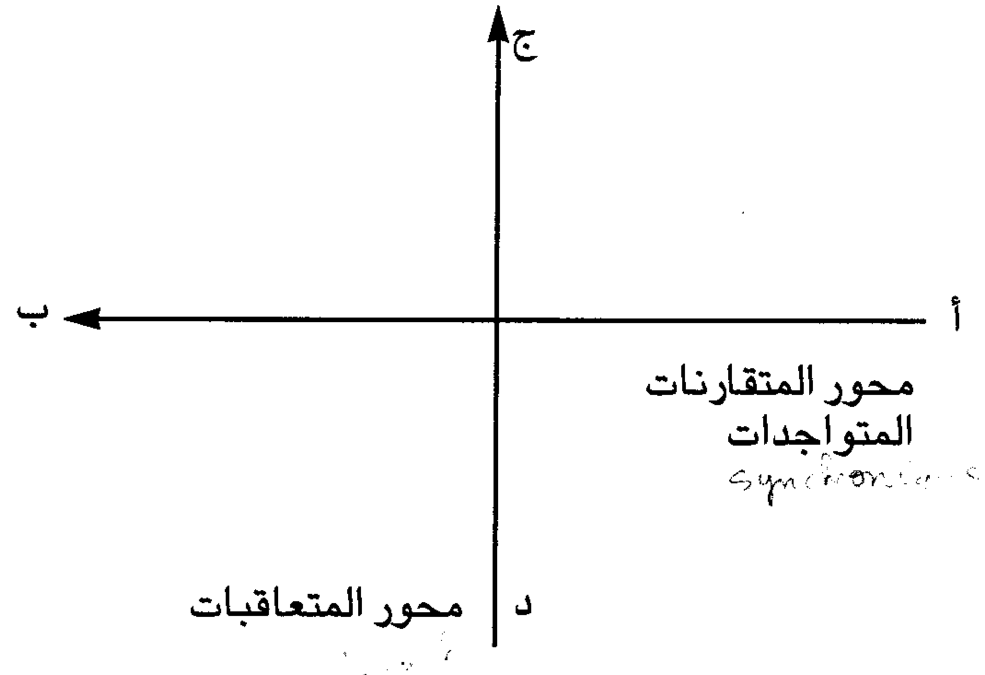
أما الصنف الثاني من المبادئ التي وضعها دي سوسور فمتعلق بالكيفية وطبيعة الدراسة التي ينبغي ان تتناولها الأحداث اللسانية إذ أصبح اللساني يفصل بين **الدراسة الآنية للسان والدراسة الزمنية** له: لعله من المفيد ههنا ولنوضح هذا التقابل المنهجي أن نعود شيئا ما إلى الوراء لنشاهد الدراسات اللغوية في القرن التاسع عشر قبل دي سوسور قد سيطرت عليها النظرة التاريخية والتطورية [16] فكل ما خرج عن نطاق هذه النظرة لا يعتد به وبقيت الأمور على تلك الحال الى أن نشرت دروس دي سوسور في 1916 حيث ظهر فيها هذا الأخير بموقف الناقد المتشكك في جدوى الدراسات التاريخية وقد بدا له أن الاهتمام بأسباب تحول الاصوات اللسانية وكيفية تغيرها يأتي بعد التعرف عن حالتها في الزمن المعين أي أن اهتمام اللساني ينبغي أن يكون أولا وقبل كل شي منصبا على وضعها في وقت معين، في آن واحد ثم تأتي المرحلة التالية فينظر في تطور أوضاعها في أزمنة متعاقبة ومتتالية. ونورد نصا لدي سوسور ولإن كان الاستشهاد طويلا نوعا ما فان مغزانا في ذلك وضعه في متناول القارئ. يقول دي سوسور في هذا الشأن ما يلي « علم اللسان السكوني وعلم اللسان التطوري ليس للزمان فيها تأثير خاص. فقد لوحظ في علم الفلك أن الكواكب تعتريها تحولات هامة ولكن هذا العلم لم يضطر من أجل ذلك ان ينقسم الى نوعين من الدراسة. وكذلك علم طبقات الأرض فإن استدلالاته تسلط غالبا على ظواهر التعاقب الزماني ولكنها إذا تعرضت الى الحالات الثابتة التي تكون عليها الأرض في وقت ما فإنها لا تجعل من ذلك موضوع دراسة منفصلة انفصالا تاما. ويوجد أيضا علم وصفي للقانون وتاريخ للقانون ولكنهما لا يتعارضان عند أحد من الناس. وكذلك التاريخ السياسي للدول فإنه يسير كله في داخل الزمان واذا تعرض مع ذلك المؤرخ لوصف عصر معين فلا احد منا

يعتقد أنه خرج عن ميدان التاريخ. وأما علم النظم السياسية فهو، على عكس ذلك، علم وصفي في جوهره ولكنه يمكنه أن يعالج في بعض المناسبات مسألة تاريخية دون أن تختل لهذا السبت وحدته..

(هذا كله) بخلاف... الاقتصاد السياسي وتاريخ الأحداث الاقتصادية فإنهما يكونان دراستين منفصلتين تماما في داخل العلم الذي يشملهما. فالعلماء بتقسيمهم هذا يمتثلون، بدون شعور منهم واضح، بضرورة باطنية. والحال أن مثل هذه الضرورة تحملنا على تقسيم علم اللسان إلى قسمين يخضع كل واحد منهما لبمدأ خاص به. والسبب في ذلك هو أننا نواجه العلماء في الاقتصاد السياسي (نفس المفهوم وهو) مفهوم التقدير (القيمة في علم الاقتصاد)، ففي كلا العلمين الموضوع هو نظام تكافؤ بين أشياء تختلف أجناسها : في أحدها هو العمل والأجرة وفي الآخرة هو الدال والمدلول[17].. يكون من الافيد، من غير شك، لجميع العلوم، أن نعتني اكثر بتوضيح المحاور التي تدور حولها موضوعات دراستها. يجب على هذا أن نميز في جميعها، حسب الصورة الآتية بين :

1) محور المتقارنات (المتواجدات) (ا ب) وهو يخص النسب القائمة من الاشياء المتواجدة (اي المتزامنة في زمان واحد)، ولا دخل لصروف الزمان فيه.

2) محور المتعاقبات (ج د) الذي لا يمكن ان تعتبر فيه الأشياء إلا واحدا واحدا (منفصلة غير متقارنة) غير أنه توجد فيه جميع الأشياء الموجودة في المحور السابق بتحولاتها.

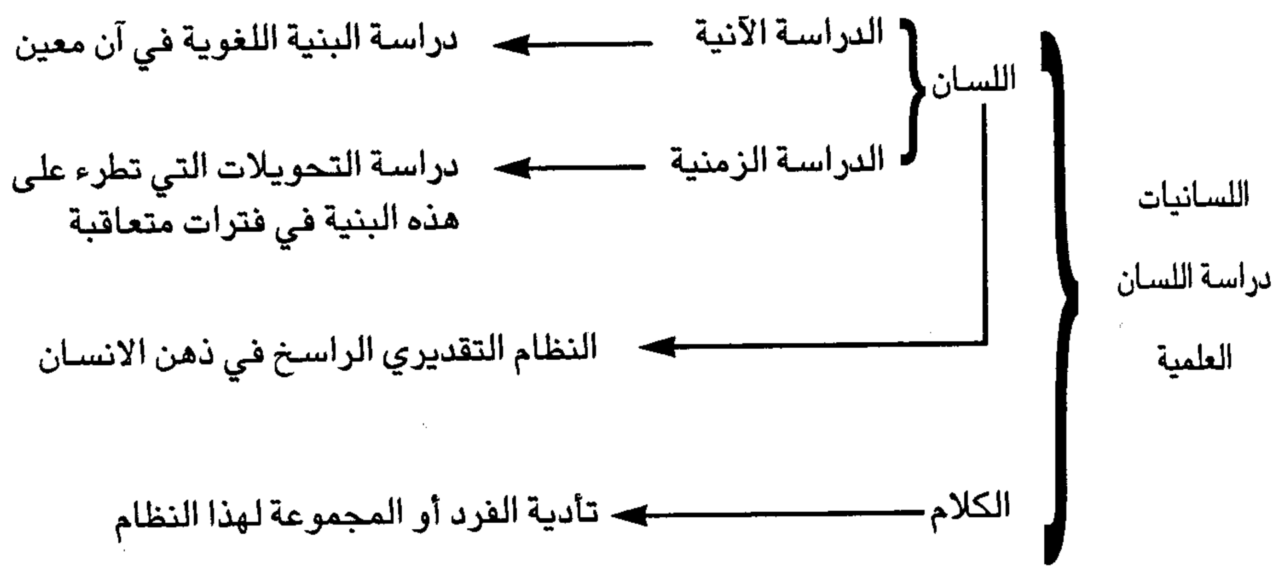


إن هذا التمييز بالنسبة الى العلوم التي يتعلق موضوع بحثها بالمقدرات، هو عمليا، شيئ ضروري وقد يكون في بعض الأحوال ضروريا على الإطلاق... وبالنسبة الى اللغوي فضرورته الحّ بكثير لأن اللسان هو نظام من المقدرات الصرفة ولا شيئ يمكن أن يحددها في خارج الحالة التي تكون عليها عناصرها... هذا هو السبب الذي حملنا على التمييز بين نوعين من الدراسة في علم اللسان» [18].

فدراسة اللسان في وقت معين هي الدراسة الآنية السكونية البنوية التي تعنى بوصف النظام اللغوي بجزئياته بغظ النظر عن التحولات التي يمكن ان تطرأ عليه اما الدراسة الزمنية فتعنى بتحول هذه البنية عبر الأزمنة وبالطوارئ التي يمكن أن تطرأ عليها أو على جزء منها والنتائج اللتي تترتب عن ذلك في الاستعمال اللغوي والبحث عن قوانين التطور اللغوي وعن أسبابه.

وكما يتجلى للقارئ فإن للدراسة الآنية عند دي سوسور الأولوية في الاهتمام فهي تمثل المرحلة الأولى الأسبق فهل يعقل أن ندرس التطور اللغوي ونحاول الكشف عن أسراره فنقارن بين الأزمنة والأطوار ونحن نجهل كل شيء عن حال ذاك اللسان في فترة معينة من فترات تطوره ؟ لا طبعا ! لذلك فضل دي سوسرو الدراسة الآنية واعتبرها هي الدراسة اللسانية الحقة.

وبهذا وبفصله بين اللسان والكلام وبين الدراسة الآنية للسان ودراسته الزمنية يكون دي سوسور قد رسم حدود الدراسة اللسانية وظلت هذه الحدود مسيطرة على الدراسات اللغوية طيلة عشرات السنين ولا تزال في بعض الجوانب منها [19]. وفي الجدول الموجود أدناه نوجز هذه المبادئ كلها من خلال رسم بياني يوضح حدود الدراسة اللسانية عند دي سوسور.



الفصل الثاني
اللسان موضوع علم اللسان

اللسان نظام من الأدلة المتواضع عليها

مفهوم البنية والنظام في اللسانيات الحديثة

من جملة المميزات التي أقرها دي سوسور عند وصفه للسان بصفته موضوع اللسانيات انه بني على نظام مخصوص أي أنه منظم تنظيما باطنيا محكما وعلى العالم اللساني ان يكتشف أسرار هذه البنية [20] فكل كائنات الدنيا والظواهر المادية مبنية على وضع مخصوص يخصها دون سواها، فالطاولة بنية معينة مخصوصة وللمواد الكيماوية المختلفة بنية خاصة بكل واحدة منها يعبر عنها برموز متداولة لدى علماء الكيمياء. وفي نفس الوقت البنية مفهوم علمي استطاع الانسان أن يدرك به الأشياء والظواهر واستعمله لتفسيرها مثلما يقول الاستاذ عبد الرحمن الحاج صالح «البنية وسيلة من الوسائل لحصر الجزئيات ولولا البنية لما استطاع الانسان أن يفكر بل لما استطاع أن يدرك الادراك الحسي الظواهر والامور التي حوله»[21]. والبنية في حد ذاتها بنية صورية، هي صورة وهيئة يمكن أن تنطبق على أية مادة أو ظاهرة «فالبحث عن بنية الشيء هو البحث عن العناصر التي يتركب منها وعن المقياس الذي ركبت هذه العناصر على أساسه» [22] فالجديد في تناول اللسانيات الحديثة انها عوض أن تهتم بالجزئيات والاحداث اللغوية لذاتها منعزلة عن بعضها البعض مثلما كان يفعل اللغويون في العصور الماضية (وخاصة في القرن التاسع عشر) تنظر الى اللسان نظرة كلية فهو إذن يتشكل في بنية عبارة عن شبكة تجد كل وحدة لغوية مكانها فيها ويربطها بالوحدات الاخرى علاقات صورية مبنية على أساس اتحاد الهويات (اي هويات هذه الوحدات) واختلافها فقد تشترك هذه الوحدة مع وحدة اخرى في بعض

المميزات وتختلف في البعض الآخر فلا نهتم بالوحدة نفسها بقدر ما نعنى بنوعية العلاقات التي تربطها بالوحدات الأخرى والوحدات اللغوية على مختلف مستوياتها تشكل نظما جزئية.

وهذه الوحدات التي لا تكتسب هويتها داخل النظام اللغوي إلا عند مقابلتها بغيرها في مستواها، تشخص داخل شبكة العلاقات التي تندرج فيها إذ إن هذا التقابل هو الذي يحدد قيمتها مثلما تحدد قيمة العملة عند مقابلتها بكمية الذهب التي تقاس عليها وكمية البضائع التي يمكن أن تقتنى بواسطتها (23).

ولتقريب مفهوم القيمة المطبق على اللسان شبه فيه النظام اللغوي بلعبة الشطرنج فقال «اللسان نظام لا يخرج عن الترتيب الذي وضع عليه. وسنمثل لذلك بلعبة الشطرنج حتى نتبين هذا المعنى أحسن فمن السهل، الى حد ما، ان نميز ههنا ما هو خارجي عما هو باطني : فانتقال هذه اللعبة من فارس الى أوروبا هو امر خارجي بخلاف كل ما يخص النظام وقواعد اللعبة فهو امر باطني، ان استبدلت القطع الخشبية بقطع من العاج، فإن هذا التغيير لا يمس النظام ولكن ان انقصت او زدت عدد القطع فهذا التغيير سيخل أيما إخلال بالنحو الذي وضع عليه اللعب...» إلى أن يقول «أو سنتبين ذلك بالرجوع الى تشبيه اللغة بلعبة الشطرنج ولننظر إلى أحد الخيالة : هل هو في نفسه عنصر من عناصر اللعب ؟ طبعا لا، لأنه في مادته وخارج مادته وبقطع النظر عن أحوال اللعب الأخرى، لا يمثل شيئا بالنسبة إلى اللعب ولا يصير عنصرا حقيقيا ومحسوسا إلا إذا قدر له تقديره وصار هو وذلك التقدير شيئا واحدا. ولنفرض مثلا أن اثناء اللعب يصاب بمكروه : يتلف او يفقد : فهل يمكن تعويضه بما يعادله، اجل وليس فقط بخيال اخر بل حتى بصورة مغايرة له تماما في الشكل ونقول مع ذلك انهما شيء واحد بشرط أن نمنحهما نفس التقدير(= أن ننزلهما نفس المنزلة) وهكذا نرى أن مفهوم الاتحاد الذاتي ومفهوم القدر (او المنزلة) يحمل أحدهما على الآخر داخل الأنظمة الدلالية – كاللغة مثلا – حيث يحصل لعناصرها توازن وفقا لقواعد معينة» (24).

فإذا كان اللسان نظاما فبما يتكون هذا النظام ؟ بعبارة أخرى ما هو نوع الوحدات اللغوية ؟ إن النظام اللغوي على حد تعبير دي سوسور نفسه نظام من الأدلة المتواضع عليها أي المصطلح عليها ويوضح الأستاذ عبد الرحمن

الحاج صالح هذا القول بما يلي « اللسان في حد ذاته نظام من الأدلة المتواضع عليها فاللسان على هذا الاعتبار ليس مجموعة من الألفاظ يعثر عليها المتكلم في القواميس أو يلتقطها بسمعه من الخطابات ثم يسجلها في حافظته كما أنه ليس أيضا مجموعة من التحديدات الفلسفية للاسم والفعل والحرف أو القواعد المسهبة الكثيرة الشواذ بل هو نظام من الوحدات يتواصل بعضها ببعض على شكل عجيب وتتقابل فيها بناها في المستوى الواحد التقابل الذي لولاه لما كانت هناك دلالة» [25].

فاللسان إذن نظام دلالي والنظم الدلالية كثيرة ومتنوعة والأدلة في المجتمع متنوعة ومتعددة فما هي خصوصية النظام اللغوي وإلى اي نوع تنتمي الأدلة اللغوية ؟

إشارات أم علامات أم رموز أم أدلة ؟

إذا كانت اللسانيات في اعتبار اللسانيين المعاصرين تهتم بنظام دلالي خاص هور النظام اللغوي فإن العلم الذي يبحث في كل النظم الدلالية الأخرى غير اللغوية فهو علم الإدلة او السيمياء [26].

إنّ الدليل جمع الأدلة في معناه العام والمتداول يبين أن عنصر (أ) يدل على عنصر (ب) أو ينوب عنه. لكن هذه الدلالة أو التعويض يمكن أن يحمل نية للتبليغ وبهذا الاعتبار نميز بين العلامة والمؤشر أو الاشارة نمثل للمؤشر أو الإشارة بأعراض المرض التي تساعد الطبيب على تشخيص الداء وكذا السحب الكثيفة السوداء التي تنذر بالمطر والبرق والرعد اللذين ينذران باقتراب العاصفة الخ فكل هذه الدلالات لم توضع لا قصدا ولا عمدا هي موجودة بالطبع لتدل على وجود او وقوع الظاهرة.

بالمقابل العلامة تتضمن نية مقصودة للتبليغ، مثلا إذا كان السحاب ينذر بالمطر بالطبع فانه يمكن أن يؤدي مراقب السباحة الى رفع الراية الحمراء التي تنذر بالسباحة الخطرة. فالراية الحمراء هي علامة اصطلح عليها الناس لتؤدي غرضا إعلاميا وإخباريا ما هو يندرج في إطار نظام

دلالي خاص هو نظام مراقبة السباحة وينتمي الى المجالات التي يدرسها علم الادلة.

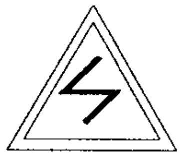
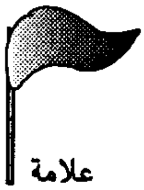
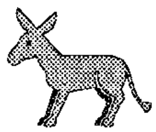
إذا كنا ميزنا العلامة عن المؤشر بتوفر الأول على نية تبليغه وعدم توفرها في الثاني فاننا نستطيع ان نعتمد على مقياس ثان يتمثل في طبيعة العلاقة بين العنصر (أ) والعنصر (ب).

فإذا نظرنا الى الميزان وهو يدل على مفهوم العدالة فاننا نجد العلاقة بين مفهوم العدالة (الوزن بين الحق والباطل واقامة العدل بين الناس) ورسم الميزان بينة وواضحة. لذلك تعني الرسوم التي نستعملها قانون المرور مثل رسم المنحدرات أو إمكانية سقوط الحجارة. تسمى هذه الرسوم رموزا والرموز من وضع الانسان وهي صنف خاص يتميز بصفات معينة إذ إنّ معناه كما اسلفنا مرتبط اشد الارتباط بشكله أو صورته واختياره لم يكن اختيارا عشوائيا اعتباطيا بل وفق ما يحمله الشيء او الشكل او الصورة من معنى يوحي الى ذلك المفهوم الذي نريد ان نعبر عنه.

أما الأدلة فهي إرادية وضعت قصدا لتُفيدَ شيئا وهذا الوضع تم بالتواطؤ والاصطلاح اي التواضع بين جماعة من النَاس لغرض واحد هو التبليغ، يقول السيوطي « الوضع عبارة عن تخصيص الشيء بالشيء بحيث إذا أطلق الأول فهم الثاني» [27].

فقوانين المرور عندما وضعت (ونخص بها ما لم ينتم الى صنف الرموز) وضعت لتدل على شيء معين مثلها مثل العلامات وتقوم بوظيفة معينة هي تنظيم حركة المرور وتنظيمها وكذلك هو الحال بالنسبة لأرقام السيارات والهاتف ورموز المورس الخ.

ولكن الميزة التي تجعل الأدلة الوضعية تباين باقي الأصناف الأخرى تكمن في طبيعة العلاقة التي تربط الدليل فيها بما يدل عليه (مقياسنا الثاني أعلاه) فهي علاقة غير حتمية، مقصودة قصدا اعتباطيا وتعسفيا بالاصطلاح. فلا يربط بين اللون الأحمر والأمر بالوقوف علاقة طبيعية ولا بين لفظ الحمار والحيوان المعروف إنّما الانسان هو الذي أراد أن يكون لذاك الشيء أو ذاك المفهوم ذاك الدليل.

عدم توفّر نية تبليغية	توفّر نية تبليغية		
مؤشر	علامة		
	أ ⇄	أ.... ب	
	 رمز	 علامة	 دليل
علوم الملاحظة	علم الأدلة (السيمياء)		اللسانيات

نوجز كل هذه المعلومات التي تبدو معقدة في الجدول الموجود أعلاه الذي اقتبسناه من مؤلف زميلينا FABRE و BAYLON [28].

إذن ينتمي الدليل اللغوي لنصف الأدلة فهو وضعي واعتباطي ولكن فيم تكمن خصوصياته ؟

الدليل اللغوي : تعريفه، خصائصه

أصوات يستعملها الانسان للإبانة عن المفاهيم والاشياء، مثلما يقول النحوى ابن جنى «لكل واحدة منها لفظ إذا ذكر عرف به مسماه ليمتاز عن غيره ويغني ذكره عن إحضاره إلى مرآة العين. فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف إحضاره» [29].

الدليل اللغوي إذن بهذا التعريف المبدئي هو ذلك اللفظ الذي يدلّ على شي أو معنى معين وركيزته المادية هو الصوت.

وكان الناس يعتقدون منذ العصور الغابرة أن الألفاظ إنما هي ألقاب لمسميات فلكل مسمى لفظ يدل عليه فجاء دي سوسور ليبين أن الأمور أعقد مما يتصورون. فالدليل اللغوي في نظره لا يربط بين اللفظ ومسماه (الشي أو المفهوم) بل يربط بين المفهوم والصورة الصوتية. وهو إذ يقر ذلك يصو بطريقة مجسدة التقابل الذي وضعه بين اللسان ذلك النظام التقديري الباطني الصوري وبين كل الظواهر المادية الكلامية.

فالدليل اللغوي في حقيقته كيان ذهني مكون من الدال وهو الصور الصوتية والمدلول اي المفهوم الذي يبنيه الانسان من تصوره للشي (مشخصا كان أو مجردا).

يمكن الآن أن نصور عملية الدلالة على الطريقة السوسورية كما يلي : هناك شيء أو مفهوم يريد الانسان أن يتحدث عنه فلنسميه المرجع أو المدلول عليه فيبحث الانسان في ذهنه، في النظام التقديري عن المفهوم (اي التصور الذهني) الذي ينطبق على ذلك المرجع وقد تعلمه او ورثه بحكم تجربته عن أفراد مجتمعه ونسميه المدلول تم يربط المدلول بالصورة الصوتية التي تناسبه وهذه الصورة الصوتية هي عبارة عن تصور الانسان للأصوات التي يتلفظ بها او الانطباع الذهني الذي يتركه كل الدماغ كل صوت يتلفظ به الانسان أي بتعبير آخر يقرب المعنى للاذهان كأن لكل صوت يصور ذهنيا في دماغ الانسان (= أبجدية متمثلة في التصورات التي رسمت في الذهن على كل الاصوات المتلفظ بها) والصورة الصوتية عند دي سوسور هي الدال، وعندما يربط المتحدث المتكلم المدلول بالصورة الصوتية يكون قد أكمل العملية واستطاع أن يتفوه بالأصوات (المحسوسة) التي تشكل المظهر الخارجي المحسوس للدليل اللغوي والذي نسميه الكلمة في التعبير المتداول على ألسنة العامة من الناس.

ويقول دي سوسور موضحا ما سبق «يظن بعض الناس أن اللسان إنّما هو في أصله مجموع الألفاظ أي قائمة من الأسماء تطلق على عدد مماثل من المسميات. وفي تصوره هذا نظر، من عدة وجوه : إنه يفترض وجود معان جاهزة قبل وجود ألفاظها ثم إننا لا نتبين به هل الاسم هو جوهر صوتي أم نفساني... ويشعرنا أيضا أن ارتباط الاسم بالمسمى هو عملية في غاية البساطة وهذا بعيد جدا عن الواقع... إن الدليل اللغوي لا يربط مسمى ما باسمه الملفوظ بل مفهوم ذلك الشيء أو تصوره الذهني بصورة لفظه الذهنية. فهذه الصورة الصوتية ليست هي الصوت المادي لأنه شيء فيزيائي محض بل انطباع هذا الصوت في النفس والصورة الصادرة عما تشاهده حواسنا. فالدليل اللغوي إذن كيان نفساني ذو وجهين ويسمى دليلا لغويا المركب المتكون من المفهوم والصورة الصوتية (صورة اللفظ في الذهن)... ولكن نقترح لفظة الدليل للدلالة على الكل واستبدال لفظتي المفهوم والصورة الصوتية بلفظتي الدال والمدلول» [30].

خصائصه

وأبرز دي سوسور كذلك خصائص الدليل اللغوي ومميزاته. فهو

– اعتباطي

يتصف الدليل اللغوي مثله مثل الأدلة الوضعية بالاعتباطية أي أن فيه العلاقة التي تربط الدال بالمدلول علاقة وضعية غير طبيعية غير حتمية. فلا يوجد في سلسلة الأصوات التي تمثل الدال ما يدل على المدلول عليه إنما تم ذلك بالتواطؤ والاصطلاح عكس ما رأيناه في المؤشرات والرموز [31].

– يتسلل في ظهوره تسلسل الزمن فله بعد واحد البعد الخطي

ليس للدليل اللغوي وركيزته المادية الصوت كما علمنا إلا بعد واحد هو بعد خط الزمن فهو يتسلسل عند إحداثه تسلسل الزمن في خط واحد أفقي نسميه في اصطلاح أهل الاختصاص مدرج الكلام.

– كيان تفاضلي سلبي

تجرى مجاريه بوجوده أو بعدم وجوده فهو يدل على مدلوله عند مقابلته مع دليل آخر وهو ينتمي الى نظام، نظام اللغة المعنية ولا يكتسب قيمته إلاّ عند تقابله مع أدلة أخرى تنتمي إلى نفس النظام.

اللسان والوسائل التبليغية الأخرى

اللسان أداة تبليغ ينتمي الى مجموعة الوسائل التي يستعملها الانسان للتبليغ – ولكن هذا لا يعني أن كل الوسائل ينطبق عليها ما ينطبق على اللسان ولهذا لا يصلح أن نطلق لفظة اللغة على كل ما هو وسيلة تبليغية وذلك لأن لكل من اللسان والوسائل التبليغية الأخرى صفات خاصة والمقياس الأساسي للفصل بينها هو نوعية الخطاب [32] وكيفية بنائه قد يكون الخطاب صوتا أو رسما أو صورة أو حركة أو أي شكل من الأشكال يختلف باختلاف الوسيلة المعينة.

وعلى هذا، تقسم الوسائل التبليغية إلى قسمين :

– الوسائل التي ليس لها نظام معين : الأدوات التبليغية

أي تلك التي لا نجد عند تحليل خطابها أي تواتر أو اطراد لعناصرها فلا يمكن بالتالي تحليلها إلى وحدات متميزة فهي لا تقطع إلى وحدات صغرى يمكن أن تظهر أو تتحقق في خطاب آخر.

فالخطاب في هذه الوسائل يبلغ بصفة إجمالية، لا يمكن أن يجزأ بل يدرك بصفة إجمالية وأحسن مثال لهذه الوسائل التبليغية اللوحة الزيتية أو الرسم اللذان يدركان إدراكا إجماليا ويشكلان وحدة تبليغية كاملة مكتفية بذاتها.

– الوسائل التي لها نظام معين : النظم التبليغية

هي التي تقطع فيها الخطابات إلى وحدات مميزة قابلة للتكرار من خطاب إلى آخر وتتركب تركيبات مختلفة ومعينة ويخضع هذا التركيب لقواعد خاصة حيث أن لكل نظام تبليغي مقياسه الخاص به. ونمثل لهذه النظم بنظام قوانين المرور وإشارات البحرية وأرقام السيارات والهاتف ولغة الصم البكم والموسيقى ونظام المورس الخ.

ففي كل هذه النظم يتم التبليغ بواسطة وحدات مستقلة دائما ومشابهة من تبليغ إلى آخر مهما كان نوع الخبر وتخضع هذه الوحدات لقوانين وأصول كلية ومطردة [33].

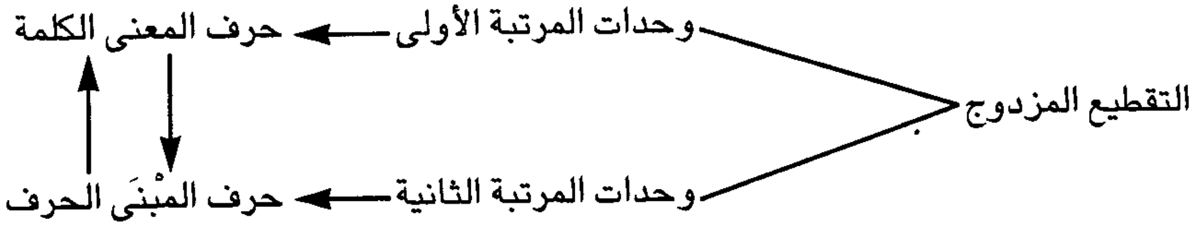
أما اللسان فينتمي إلى هذا الصنف الأخير فهو نظام من النظم التبليغية ولكنه وإن كان يتفق معها في العديد من الخصائص كالصوت والتنظيم والوضع فهو يختلف عنها بل يمتاز عنها بصفة ذاتية خاصة به دون سواه من الوسائل والنظم التبليغية كلها.

هذه الصفة هي **التقطيع المزدوج** الذي يعتبر الميزة الأساسية لكل الألسنة البشرية

تتقطع الألسنة البشرية (التي من خلالها ندرس اللسان البشري، الظاهرة العامة) الى مستويين : المستوى الأول هو مستوى القطع الدالة على معنى أما المستوى الثاني فهو مستوى القطع غير الدالة على معنى.

فقد بين اللغوي الفرنسي أندري مارتيني[34] أن اللسان يتركب من وحدات وأننا عندما نقطع نصا من النصوص اللغوية[35] نحصل على نوعين من الوحدات عند انتهاء العملية.

النوع الأول من هذه الوحدات يتمثل في القطع الدالة الصغرى التي لا يمكن تحليلها إلى وحدات أخرى أصغر منها دالة هي الآخرى. وهذه القطع الصغيرة التي أطلق عليها مارتيني اسم المونيم اي الكلمة أي حرف المعنى كما يسميها سيبويه وهي أصغر ما يمكن أن يصل إليه التحليل مما لا يدل على معنى [36].



– تحديد اللسان التحديد العلمي الدقيق

في هذه الصفة يكمن سر النظام اللغوي وسر قدرة اللسان على التبليغ فبعدد من الوحدات نستطيع ان نعبر عن اللامتناهي هي من المعاني والمفاهيم والأشياء ثم إن اللسان بهذه الصفة يتميز عن مختلف «اللغات» الأخرى ونعني بالذات وبالطبع الاستعمالات المجازية كأن نقول مثلا لغة الزهور ولغة الألوان إلخ.

وبعد ذلك كله يمكننا أن نضع تحديدا دقيقا للسان فنقتبسه من عند اللغوي مارتيني نفسه اذ يقول «اللسان هو أداة تبليغ يحصل على مقياسها تحليل ما يَخْبُرُه الانسان على خلاف بين جماعة وأخرى وينتهي هذا التحليل إلى وحدات ذات مضمون معنوي وصوت ملفوظ وهي العناصر الدالة على معنى ويتقطع هذا الصوت الملفوظ بدوره إلى وحدات مميزة ومتعاقبة وهي العناصر الصوتية ويكون عددها محصورا في كل لسان وتختلف هي – أيضا – من حيث ماهيتها والنسب القائمة بينها باختلاف الألسنة»[37] وفيما يلي توضيح لمحتويات هذا التحديد.

اللسان أداة تبليغ

اللسان وسيلة أي أداة يستعملها الانسان لتؤدي وظيفة معينة هي وظيفة التبليغ والاتصال والاخبار. والتبليغ والتواصل هو التخاطب المتبادل بين

أفراد جماعة ما هوعبارة عن تبادل معلومات وأعراض بكيفية معينة، تلك هي إذن الوظيفة الرئسية التي تؤديها الألسنة البشرية وعلى أساسها يمكن أن تشخص الوحدات اللغوية وتصنف اذ نقول عن عنصر ما أنه وظيفي إذا كان يقوم بدور تمييزي تفاضلي في اللغة فيميز بين المعاني، فنجد مثلا في اللغة العربية أن كلا من الراء والغين عنصران وظيفيان حيث أن الراية ليست الغاية في الوقت الذي في اللغة الفرنسية ما هما إلاّ تأديتان لوحدة واحدة لا ينجرّ عن اختلاف تأديتهما تغيير لا في المعنى ولا في التبليغ [38].

– اللسان يتقطع تقطيعا مزدوجا

إنّ النقطة التي انطلقت منها البحوث اللسانية في تحليلها البنوي للألسنة البشرية هي الاجماع على أنّ اللسان نظام من الوحدات تتداخل بعضها ببعض على شكل عجيب وتتقابل فيما بينها تقابلا تحصل به فائدة ودلالة وهذا هو التبليغ. وقد أكد دي سوسور على ذلك في دروسه المشهورة وسع هذه الفكرة رواد الصوتيات الوظيفية والمذهب الوظيفي.

فاللسان – كصورة – هو مجموع المباينات الحاصلة بين عناصره وعلى هذا فكل عنصر فيه تفاضلي وتبايني. وبالتالي ما يمكن أن نستخلصه من هذا الكلام هو أن النظام اللغوي مبني على مفهوم العلاقات التي تربط العناصر اللغوية وان هذه العلاقات تشكل نظما جزئية تتداخل فيما بينها في كل مستوى من المستويات اللسانية.

فما هي طبيعة هذه العلاقات وكيف تتم ؟ إنها تحصل على محورين أفقي وعمودي. المحور الأفقي تتشكل فيه العلاقات التي تربط العناصر ببعضها البعض في سياق الكلام وتسمى العلاقات التركيبية أمّا المحور العمودي فتندرج فيه العلاقات الناتجة عن انتماء العناصر الى جنس واحد والذي يمكن أن تستبدل فيه بعناصر أخرى من جنسها في نفس الموقع من المدرج أو السياق وتسمى العلاقات الاستبدالية ويمكن اكتشاف طبيعة هذه العلاقات بواسطة عمليتين هما التقطيع على المحور الأفقي والاستبدال على المحور العمودي [39].

واللسان كما تبيناه أعلاه يتقطع الى وحدات صغيرة على مرحلتين نحصل في كل واحدة منهما على نوع معين من الوحدات. وحدات المرتبة الأولى فهي

الكلمات أما وحدات المرتبة الثانية فهي الحروف التي لا تدل على معنى. فعندما نقطع نصا نحلله الى هذه الأجزاء الصغرى ونتوصل إلى ذلك باستعمال الاستبدال حيث أنّ استبدالنا لعنصر بعنصر آخر في نفس الموضع يوضح لنا المكان أي الموقع الذي فيه يمكن أن نجري التقطيع. وعدد الحروف في كل لسان محصور ومحدود بين 15و 50 حرفا وتختلف باختلاف اللغات أما الكلمات فعددها لا متناه لا يمكن حصره وهي عبارة عن تركيب معين لعدد معين من الحروف فنقول مثلا أن كلمة فرس تتكون من خمسة أحرف هي الفاء ثم الفتحة فالراء وفتحته وأخيرا السين.

– اللسان أداة يحصل على مقياسها تحليل للواقع

«اللسان أداة يحصل على مقياسها أي نظامها تحليل لما يخبره (من الخِبْرَة) الانسان على خلاف بين جماعة وأخرى» يريد مارتيني بهذا أن الانسان يحلل من خلال استعماله للغته الواقع الذي يعيش فيه. يريد المتكلم عند التبليغ والتوصيل أن يبلغ أغراضا ومشاعر وتختلف هذه الأغراض والمشاعر باختلاف المفاهيم والمحسوسات التي تتلقاها الحواس الخمس من جهة ومن جهة أخرى فهي تعكس تصورات الانسان لهذه المفاهيم والمحسوسات التي تحيط به في البيئة التي يعيش فيها. وهو إذ ينقل هذه الأغراض والمشاعر وهذه التصورات يستخدم ما يقدمه له النظام اللغوي من وحدات صوتية ومعنوية وبالتالي يمكننا أن نقول أنه عندما ينتقي المتكلم لكل مفهوم أو محسوس الكلمة التي تدل عليه فإنه يسلط على الواقع الذي يعيش فيه تحليلا خاصا مبنيا على خبرته بهذا الواقع وعلى ما اكتسبته وما تمليه عليه لغته من قيود لغوية نظامية.

ونحن إذ نقول هذا الكلام نندرج في التصور العام السائد منذ دي سوسور من جهة ومنذ سابير وورف العالمين الأمريكيين والذي يعتبر أن مدلولات لغة من اللغات ليست مستقلة تمام الاستقلال عن البنية الخاصة بهذه اللغة وأن لكل لغة تصورا معينا للعالم والواقع لا تنطبق بالضرورة مع تلك التي تخص لغات أخرى [40].

ويقول سابير في هذا الشأن «ليست اللغة رصيدا بسيطا ونظاميا الى حد ما لكل مفردات الخبرة التي تبدو وظيفية وحصيفة للفرد.. بل هي أيضا في مجملها خارجه إنما هو الذي يحدد هذه الخبرة لنا» [41].

ويعبر إيميل بنفينست عن هذه الفكرة بعبارة بليغة اذ يقول «نحن نتأمل عالما شكلته او مثلته قبلنا لغتنا»[42].

أمّا مارتيني فيوضح فكرته قائلا « في واقع الأمر، يناسب كل لغة تنظيم خاص لمعطيات الخبرة. فتعلم لغة لا يعني البتة وضع تسميات جديدة لأشياء معروفة، بل يعني التعود أو التدرب على تحليل مغاير ومختلف لما هو موضوع التبليغ اللغوي»[43] من هنا تتجلى صعوبة تعلم لغة أخرى وكذا صعوبة نقل مدلولاتها المبنية على تصور معين للواقع الى مدلولات ودوال خاصة بلغة أخرى وحضارة أخرى.

– اللسان ووظائفه

اللسان ظاهرة اجتماعية هامة في حياة الانسان الفرد والشعوب والمجتمعات ووظيفته الأساسية والمركزية الاخبار والتبليغ[44]. أي نقل الأخبار والمعلومات في إطار التخاطب والتواصل أي ربط الاتصال بين المتخاطبين إذ أن «المخاطبة مفاعلة ولا تستعمل الا بين نفسين يصح لكل واحد منهما أن يخاطب ابتداءا ويجيب صاحبه عن خطابه» [45] فبالتالي تشكل من المتخاطبين دورة يسميها أهل الاختصاص علماء الاتصال دورة التخاطب التي تتكون من العناصر التالية :

– المرسِل وهو المتكلم اي المخاطِب ؛

– جهاز الارسال وهو عند الانسان الجهاز الصوتي محدث الاصوات ؛

– المرسَل إليه أي السامع أي المخاطَب ؛

– جهاز الالتقاط وهو عند الانسان الجهاز السمعي الأذن.

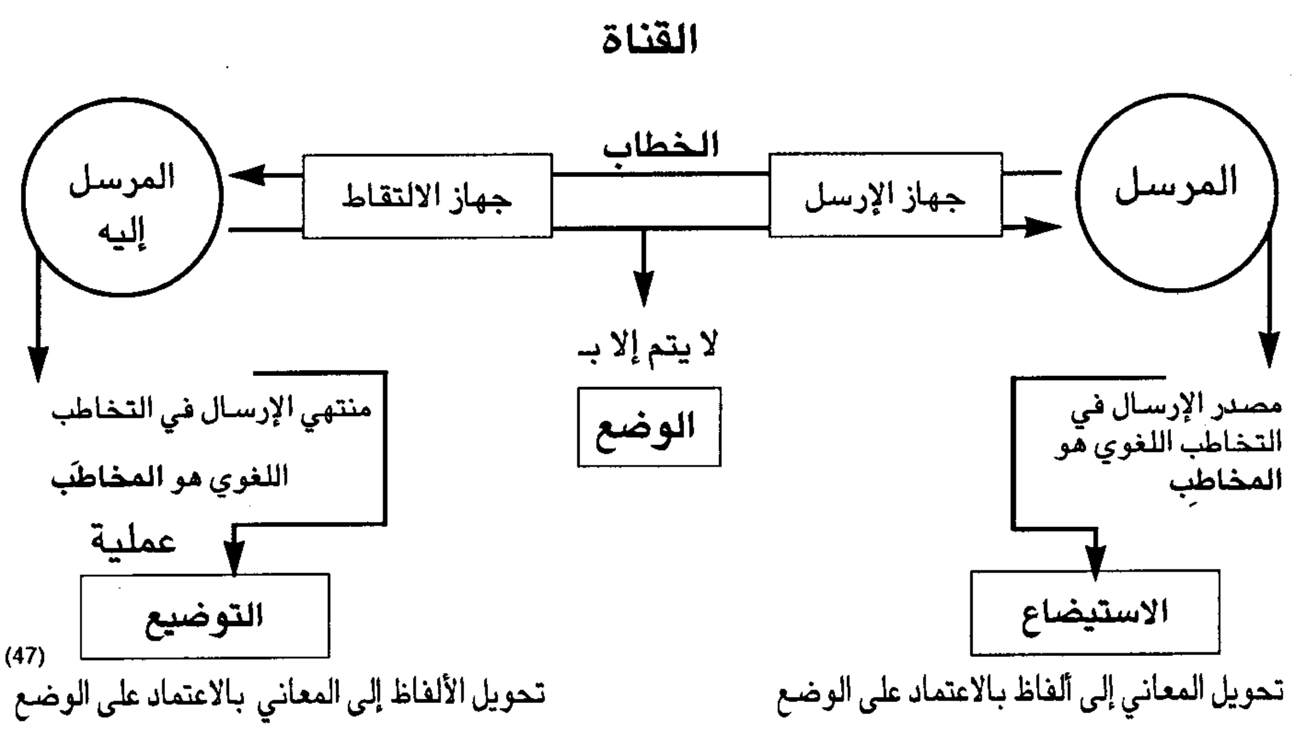
– القناة التي توصل الخطاب وهي في حال المخاطبة بالمشافهة الهواء وفي حالات أخرى كل مادة موصلة للأصوات.

– الخطاب هو الكلام (او ما ينوب عنه) الذي يتلفظ به كل من المخاطِب والمخاطَب. بعض الكتاب العرب المحدثين استعملوا مصطلح الرسالة ترجمَة حرفية للمصطلح الاجنبي message [46].

– ولا يتم التفاهم بين المرسل والمرسل اليه ولا يحصل تواصل إلا بوجود نفس الخطاب اللغوي بينهما وهو الذي نسميه الوضع أي اللغة التي اصطلح على استعمالها قوم أو مجموعة من المجموعات البشرية.

إنّ العملية التي يقوم بها المرسل المتكلم عند إحداث الكلام الموجه للمرسل اليه عملية تركيب أي أن في ذهنه وفي نفسه أغراضا ومفاهيم يحتاج لكي يعبر عنها ويوصلها للغير الى ألفاظ وبكلمات تدل عليها فيعود إلى لغته باعتبارها النظام اللغوي الراسخ في ذهنه فيترجم هذه المعاني إلى ألفاظ وتسمى هذه العملية الاستيضاع (من استوضع يستوضع أي طلب الوضع ووضعه) وعندما يصل هذا الخطاب الى المرسل اليه يقوم هذا الأخير بعملية مماثلة في هذا يستعين بما يعرفه عن الوضع المستعمل وتسمى هذه العملية التوضيع (من وضع يوضع أي فك الوضع).

تلك هي إذن العناصر الأساسية الضرورية لدورة التخاطب مثلما يوضحه لنا الرسم الموجود في الصفحة الموالية ؛ إلا أن هناك من العوارض ومن الطوارئ ما يطرأ عليها كلها أو على أحد عناصرها فيعوق التخاطب أو يجعله صعبا. وتسمى هذه العوارض التشويش.



وفي الواقع ليس هناك تخاطب يتم بدون تشويش اللهم إذا حصل في ظروف مثالية، في غرفة منظفة من كل تشويش مثلا ولكن هذه الظروف مصطنعة ليست موجودة في واقع الحياة على الإطلاق. ولكن لهذا التشويش درجات متفاوتة قد تصل إلى الحالة التي يتسحيل معها وفيها التخاطب البتة.

مثلا :

– عندما تكون القناة غير صالحة لتوصيل الخطاب ؛

– في المرسل او جهاز الإرسال حيث لا يستطيع الجهاز إرسال الخطاب لعطب اصابه أو مرض ألم بالمتكلم أو في حالة نفسية لا تسمح له بالمخاطبة ؛

– في المرسل إليه أو جهاز الالتقاط لنفس العوارض التي تطرأ على المتكلم وجهاز الإرسال فيصير المخاطب عاجزا على تلقى الخطاب.

– قد يصبح التخاطب غير ممكن إذا لم يعرف أحد المتخاطبين لغة الآخر فالوضحع ينبغي أن يكون مشتركا.

والانسان يستعمل في حال استحالة التخاطب أو صعوبته مجموعة من الوسائل يحاول بها أن يرد التشويش. فلا يتكلم عن مُعَالَجة المرض أو الداء الجسدي أو النفسي ولا عن اللجوء إلى مترجم في حالة عدم اشتراك الوضع بل عن الوسائل التي توفرها له اللغة في حد ذاتها ونسميها الوسائل اللغوية أو القرائن المقالية ومن تلك التي يستشفها من محيطه أي من الوضعية التي يتم فيها التخاطب وهي الوسائل الحالية أو القرائن الحالية، المقامية نسبة لمقام الحديث.

أما الوسائل اللغوية المقالية فتعود إلى بعض الإمكانيات التي توجد في اللغة نفسها من توكيد ولغو وزيادة وتكرار باستعمال المرادف من الكلمات الخ ووسائل يستعملها كل من المخاطب والمخاطب بطلب الإعادة والرجوع إلى ما تقدم ذكره من الكلام إلخ...

في حين أن الوسائل أو القرائن الحالية والمقامية التي يجدها المتكلمون في المحيط الذي يتم فيه التخاطب أي في حال الخطاب ومقامه وتتمثل في كل

ما يمكن أن يقوم به الاثنان من حركات وإشارات مصاحبة للكلام فتنوب عما يمكن ان يستغلق من فحوى الحديث. فقد يغني هذا المقام بعناصره عن الثغرات التي يمكن أن توجد في المقال. وقد يلجأ المتخاطبان لرد التشويش الى التخاطب غير المباشر عن طريق القلم والكتابة أو إلى استعمال مكبر الصوت اذا توفر لهما ذلك... هذا ونحن نصف دورة التخاطب تتم بالمشافهة وجها لوجه إلا أن وهذا بديهي وطبيعي هناك من الدورات ما لا يتم بهذه الصفة بل تكون بالمراسلة كتابة وغير مباشرة باستعمال الهاتف وكافة الوسائل التي يستعملها اللسان في ايامنا للتواصل ووسائله كثيرة ومتعددة منها الهاتف طبعا والتلفزة والمذياع والمورس والمعلوماتية الى آخره مما يوفر عصر التكنولوجيا الذي نحن فيه للانسان من وسائل الاتصال والتواصل.

والحقيقة أن كل هذه الحالات تعتبر فرعا للحالة الأصل الأولى التي هي المشافهة المباشرة.

ذلك هو إذن الإطار الذي تتم أو تحقق فيه الوظيفة الرئيسية للسان أي التبليغ ولكن للسان نفسه وظائف واستعمالات أخرى اختلف في تحديدها العلماء [48] فنجد مثلا اللغوي المشهور رومان ياكبسون [49] يصنفها انطلاقا من الدائرة التخاطبية حيث يربط كل عنصر من عناصرها بوظيفة معينة تخصه وهي عنده ست وظائف.

– الوظيفة التبليغية

التي تشمل الدورة التخاطبية بجميع عناصرها وهي وظيفة الإخبار والتواصل والإفادة وهي في الحقيقة أساس الوظائف الأخرى إذ إنّ الوظائف الأخرى يمكن أن تعتبر فرعا عنها.

– الوظيفة التوصيلية

تعكس الظروف التي يتم فيها الخطاب فهناك من المؤشرات اللغوية ما يمكن استعماله للتوصيل فقط ولإثباته والتحقق من أنه يتم فعلا وكذلك لإلفات انتباه السامع للتأكد من أن الخطاب يصل إليه في أحسن الظروف وأنه أي المخاطب على صلة بما يقال له وإن القناة توصل الخطاب في أحسن الأحوال.

ونمثل لهذه المؤشرات بأدوات التنبيه وافتتاح الكلام واختتامه وبعض العبارات التي يستعملها كل من المتكلم والسامع لربط الصلة والاتصال.

– الوظيفة الخطابية

نراها تتحقق عندما يوجه الخطاب نحو المخاطب (الملتقى = المرسل اليه) لتثير وجدانه وردود أفعال معينة حركية أو ذهنية او لغوية مثلما هو الحال في مقام المهرجانات السياسية ومقام للوعظ والارشاد في المساجد...

– الوظيفة التعبيرية

يبرز من خلالها المخاطب (المرسل المتكلم) حيث يبوح عن مشاعره ويعبر عن أفكاره ويستعمل اللغة للتعبير عن أحاسيسه وأغراضه ويبين عنها. وعند تبادل الأدوار يصبح المخاطب مخاطبا ويعتبر هو الآخر عن شعوره وما يدور في خلده من أفكار...

– الوظيفة التحقيقية

تظهر هذه الوظيفة مدى وعي المتكلم بالوضع الذي يستعمله للتخاطب اليومي فهنا الخطاب ليس موجها للإخبار بقدر ما هو موجه نحو التأكد من أن الكلمات والعبارات مفهومة لدى السامع وأنها صحيحة وأنه فهم مقصوده، فنجده يلجأ في بعض الاحيان الى الشرح او الترجمة.... وتتجسد هذه الوظيفة في أكمل صورها في العمل الذي يقوم به اللغوي (العالم) عندما يحلل اللغات الطبيعية ويصف أوضاعها. آنذاك ومن خلال هذه الوظيفة ننتقل من مستوى الخطاب العادي بين الأشخاص الى مستوى الخطاب المتخصص العلمي الذي يتقنه العلماء والمختصون.

– الوظيفة الشعرية (الجمالية)

يسميها ياكبسون الوظيفة الشعرية لأن الشعر بموسيقاه وصوره يمثل أو يصور أحسن تصوير الجانب الجمالي الموجود في اللغة والمتجسد في المظهر الفني البلاغي الذي يستغله الشعراء أيما استغلال. والاهتمام هنا منصب على الخطاب نفسه.

الهوامش

1) علم اللسان او اللسانيات (على قياس الرياضيات والطبيعيات) ترجمة للمصطلح الاجنبي linguistique بالفرنسية وlinguistics بالانجليزية، وقد اعتمد هذا المصطلح من طرف الهيئات العلمية العربية ولكن لم تزل بعض التسميات الأخرى متداولة مثل علم اللغة أو الألسنية إلخ.

2) حديث العهد عند الغربيين، أما العرب فقد استعملوا هذه التسمية قديما وحديثا وأطلقوها على الدراسة الخاصة باللسان تمييزا لها عما هو خارج عنها من العلوم، وقد ورد هذا المصطلح في العديد من المؤلفات القديمة نذكر منها المخصص لابن سيده ومقدمة ابن خلدون وإحصاء العلوم للفارابي.

3) فردينان دي سوسور F. DE SAUSSURE ولد في جونيف سنة 1857 في بيت شريف امتاز فيه اكثر أفراده في العلوم الدقيقة والطبيعية (وكان لذلك أثر في تكوين دي سوسور). ودرس دراساته الثانوية حتى بلغ السابعة عشرة وكان قد أظهر في هذه المدة ذوقا عميقا للدراسات اللغوية. ثم دخل الجامعة وتابع فيها دروسا في مختلف العلوم لشدة تعطشه الى العلم، وكان دائما يميل في نفس الوقت الى الرياضيات وعلوم اللسان. وفي سنة 1876 قرر مصيره بذهابه الى ليبتسيتش والتحاقه بحلقة اللغويين الألمان ودرس أولا على كورتينوس وكتب عليه أن يشاهد شهادة عيان الخلاف الذي قام بين هذا الأستاذ وشبان اللغويين (النحاة المحدثين)، فتعرف على بروجمان واستهوف وغيرهما وكان يحضر مناقشاتهم ويساهم فيها وهو ابن 19 سنة ! ورغم إعجابه بعلم الألمان وبدقتهم وتشددهم في إثبات الأحداث فإن طبعه الذي ركب عليه عدم اطمئنانه إزاء الأقوال الجازمة وشمولية ميوله العقلية وصبوته إلى الكمال في جميع أعماله، جعله لا ينسجم بهؤلاء الشبان الألمان وربما تكون قد خطرت في ذهنه الفتي منذ ذلك الوقت تلك الأفكار التي ستلازمه طيلة حياته. وفي سنة 1878 انهى تحرير الرسالة المسماة بـ رسالة في النظام الأصلي للمصوتات في اللغات الهندية الأوروبية (طبع في ليبتسيتش سنة 1879) ونال بها – في زمانه – شهرة عظيمة. ثم قدم في 1879 أطروحته المسماة باستعمال حالة الجر المطلق في اللغة السنسكريتية (طبع في جونيف في 1881) وهو ابن 22 سنة.

وفي سنة 1880 انتقل الى باريس واستقر فيها حتى سنة 1891، وعرض عليه برييال – بعد أن لاحظ فيه هذا النبوغ العجيب – أن يحل محله في مدرسة الدراسات العليا، فحضر دروسه في أثناء مقامه كل الجيل، تقريبا، الذي سيشتهر في اللسانيات بعد ذلك في فرنسا. وفي كل هذه المدة لم يعتن في تلك الدروس إلا بالنحو المقارن والتاريخي. وكلف فيها بالإشراف على منشورات جمعية باريس اللغوية وكان قد عين فيها نائبا للأمين العام. ثم في سنة 1891 قرر الرجوع الى جونيف وأنشأ في جامعتها كرسي التاريخ المقارن للغات الهندية الأوروبية له خاصة، وبقي شاغلا لهذا الكرسي الى 1896 ثم توارى عن أنظار الناس وترك كل شيء وأمسك عن الإنتاج ولا ندري بالضبط ما كان السبب في ذلك (يظن بعض من أرّخ له انه كانت في حياته الخاصة مشاكل عويصة مؤلمة).

وفي سنة 1907 بعد أن ألح عليه طلبته وسألوه أن يعرض عليهم أفكاره في اللسانيات العامة التي طالما كان يحدثهم عن أهميتها فوعدهم بذلك ورجع الى التدريس. ووفى بما وعدهم فانهالوا عليه بالسؤال الكثير وكتبوا كل ما كان يقوله بعناية شديدة لجدة ما كانوا يسمعونه ولاستلابهم أيضا بقوة استدلاله وفصاحة كلامه ومهارته في التلقين. وكانت وفاة سوسور بعد ذلك بسنتين. ولم يستطع إذ عاجلته المنية أن ينجز ما كان قد قرر من إنشاء كتاب يعرض فيه نظريته ونحن نعرف أنه قد عقد النية على ذلك منذ زمان بعيد بفضل رسالة بعثها الى صديقه وزميله ميي في 1894. يقول فيها : «لقد سئمت من كل هذا ومن الصعوبة التي ألاقيها غالبا في تحرير عشرة أسطر فقط في موضوع الأوصاف التي تشترك فيها الأحداث اللغوية. وأنا مهتم منذ زمان طويل بتصنيف هذه الأحداث تصنيفا معقولا وتصنيف وجوه النظر التي نعالجها بها. فصرت ألمح أكثر فأكثر ضخامة العمل الذي يجب على الباحث أن يضطلع به حتى يشعر اللغوي بحقيقة ما يجريه من تحليل وذلك برد كل واحدة من عملياته الى الباب الذي تنتمي اليه ... وسيختم عملي هذا بكتاب أحرره وأنا مكره على ذلك، أفسر فيه بدون حماس، لماذا لا يوجد لفظ واحد يستعمل الآن في علم اللسان (التاريخي) يمكنني ان أتبين فيه معنى من "المعاني" وبعد أن اختفى سوسور تأسف هؤلاء الطلبة على عدم تنفيذه لمشروعه، فاتفق اثنان منهم Bally وSchehehaye على أن يجمعا استنادات الطلبة، فنشراها بعد أن حرراها في سنة 1916 بعنوان دروس في علم اللسان العام أو اللسانيات العامة *Cours de linguistique générale* هذه المعلومات موجودة كلها في الهامش رقم 76 من مقال الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح الصادر في العدد الأول من المجلد الثاني من مجلة اللسانيات سنة 1972 بعنوان «مدخل الى علم اللسان الحديث» قد نقل محتوى هذه الدروس إلى اللغة العربية مرّات عديدة نذكر من بينها وفق ترتيب تاريخي

– فردينان دي سوسور، دروس في الألسنية العامة، تعريب صالح القرمادي ومحمد عجينة، الدار العربية للنشر بتونس، 1985.

– فردينان دي سوسور، فصول في علم اللغة العام، نقله إلى العربية الدكتور أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، 1985.

– فردينان دي سوسور، «محاضرات في الألسنية العامة» ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، منشورات مطبعة الحزب. (E.N.A.P) الجزائر، 1986.

– فردينان دي سوسور، محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة عبد القادر قنيني، مراجعة أحمد حبيبي، دار إفريقيا الشرق، بالدار البيضاء، 1987.

4) لأنه مثلما يقول الأستاذ الحاج صالح في المقال نفسه، إن أول من وضح وحدد ونظم هذه الأفكار الجديدة هو فردينان دي سوسور.(هو) أول من «أظهر للناس أهمية الدراسة البنوية بوصفه وتحليله لمفاهيمها ومناهجها». ويجد القارئ معلومات دقيقة عن الإرهاصات الأولى لعلم اللسان في القرن العشرين في ذاك المقال نفسه، ص. 34– 43.

5) مثلما كان يقول لنا الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في محاضراته وقد كان له الفضل الأكبر لتعريفنا بهذا العلم، وهو الأول الذي درسه بالجزائر باللغتين العربية والفرنسية في أواخر الستينات وبداية السبعينات.

6) يمكن ان تفتح المناقشة حول العلمية والموضوعية في العلوم الانسانية والاجتماعية ولكن هذا سيخرجنا عن موضوعنا ويحتاج إلى مؤلف بأكمله. علّنا نشير في مواقع معينة من هذا المؤلف إلى هذه القضية في أوانها.

7) النزعة الأولى تمثلها الطرق الاستنباطية (méthodes inductives) والتي تستعملها العلوم الطبيعية، أما النزعة الثانية، الطرق الافتراضية الاستنتاجية (méthodes hypothético-déductives) وهي الوسيلة المنهجية المفضلة للرياضيات.

8) المذهب الوظيفي او اللسانيات الوظيفية لأندري مارتيني (سيأتي الكلام عنه في الفصل الثاني من الباب الثاني).

– La linguistique fonctionnelle d'André MARTINET.

اللسانيات البنوية الأمريكية لبلومفيلد وأتباعه.

– La linguistique structurale américaine avec L. BLOOMFIELD et ses disciples.

ويأتي التفصيل فيها في نفس الفصل من نفس الباب.

9) النحو التوليدي التحويلي لنوام تشومسكي. لمزيد من التفصيل انظر الفصل الثالث من الباب الثاني.

– La grammaire générative et transformationnelle de N. CHOMSKY

10) انظرما يقوله في هذا الشأن العالم الجليل أبو الفتح ابن جني في مؤلفه سر صناعة الإعراب، بتحقيق مصطفى السقا وأخرين، الباي حلي، القاهرة، 1954، الصفحة 50.

11) انظر الفصل الثاني من هذا الباب للمزيد من التفاصيل وكذا الهامش 23 من نفس الباب. وهذه ترجمة للأستاذ عبد الرحمن الحاج صلاح في المقال المذكور في الهامش رقم 3 في الصفحة 43، أما فيما يخص النص الأصلي فيمكن الرجوع إلى الصفحتين 166 – 167 من الطبعة التالية وهي التي نعتمدها في استدلالنا.

Cours de linguistique générale (CLG), édition critique préparée parTULLIO DE MAURO, Payot, Paris, 1972.

12) لم تقتصر البنوية كمنهج علمي على اللسانيات بل أصبحت المنهج المهيمن لفترة من الزمان ليست هينة في كل العلوم الانسانية والاجتماعية. انظر في ذلك اعمال العالم الفرنسي كلود ليفي ستراوش C. LEVI-STRAUSS وجان بياجي J. PIAGET، العالم النفساني السويسري المشهور.

13) بحذر شديد تمليه الأمانة العلمية وخوفا من تضارب الأزمنة التاريخية، يمكن أن نقارب بين هذين المفهومين أي اللسان في مقابل الكلام وبين التقابل الذي وضعه العرب القدماء عند حديثهم عن الوضع والاستعمال. لمزيد من التفصيل انظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي والخصائص لابن جني.

14) انظر «الدروس» (دروس دي سوسور) ترجمة الحاج صالح، ص. 47 من المقال المذكور في الهامش رقم 3 والنص الأصلي ص. 38 .

15) فلم نجد من انتقد دي سوسور من رواد اللسانيات البنوية أحدا، واستمر الوضع على تلك الحال إلى ظهور نوام تشومسكي وانتقاده اللاذع لسكونية التقابل السوسوري بين اللسان والكلام، إذ استبدلهما بمفهومين أكثر حركية هما الملكة والتأدية. انظر في ذلك الفصل الثالث من الباب الثاني.

16) انظر الجزء الأول من مقال الحاج صالح المذكور في الهامش رقم 3، كذلك تاريخ علم اللغة منذ نشأتها إلى القرن العشرين تأليف جورج مونان، ترجمة الدكتور بدر الدين القاسم والصادر عن مطبعة جامعة دمشق، سنة 1972 والمرجع الأصلي هو

G. MOUNIN (1970) Histoire de la linguistique des origines au XX^e sie`cle, P. U. f., Paris.

17) سيأتي توضيح هذين المفهومين في الفصل الموالي.

18) «الدروس» ترجمة الحاج صالح ص. 50 ، 51 والنص الأصلي ص. 114 — 138.

19) وإذا استثنينا معارضة تشومسكي ونقده للتقابل السوسوري الذي أشرنا اليه في الهامش 15 فإنّ الوضع سيستمر على تلك الحال، أي أن موضوع اللسانيات هو اللسان ليس غير. أما الكلام فأبعد من دائرة اهتمام اللغويين إلى أن ظهرت التيارات التي تدعو الآن الى إعادة الاعتبار إليه بحكمه أو بصفته الصورة الواقعية والحقيقية للاستعمال اللغوي، وسيأتي التفصيل فيها في الباب الأخير من هذا المؤلف.

في نفس الوقت أظهرت البحوث الحديثة العهد أن مسلّمة التباين المطلق بين اللسانيات الآنية واللسانيات الزمنية لم تعد قائمة أو أنها زعزعت لأن لغة مجموعة ما في وقت ما ليست منسجمة تماما فالتطور اللغوي لا يعني استبدال نظام بنظام آخر وكلاهما منسجمان تمام الانسجام بل نجد في الحال الواحد والآن الواحد رواسب لحال ماضية وظواهر لحاضر كائن وبوادر حال مستقبلية.

20) انظر الهامش 12 في الفصل الأول. لمزيد من التفاصيل حول الجدل الذي دار بين العلماء حول هيمنة هذا المفهوم، اي البنية بين مؤيديه ومعارضيه، أنظر

- Henri LEFEBVRE (1971) *L'Idéologie structurale*, Editions Anthropos, Paris.

21) من الدروس التي حضرناها للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أثناء الليسانس بين 1971 و1974 وفي الدراسات العليا بين 1975 و1978 وهي مخطوطة.

22) المرجع نفسه.

23) ها هو النص الذي ترجمه الأستاذ الحاج صالح في مجلة اللسانيات، المجلد 2، العدد 1، سنة 1972، حيث يقول فيه دي سوسور (النص الأصلي ص. 155—165) ص. 44 : «إن اللسان نظام

يرتبط فيه جميع أجزائه بعضها ببعض على أساس اتحاد الهويات واختلافها، أي على أن العناصر اللغوية في ذاتها أمثلة تبقى هي هي في أذهان المتخاطبين وإن اختلفت تأدياتها وعلى أن كل واحد منها يكسب هويته عند المتخاطبين بمخالفته ومقابلته لغيره.إلا أنّ الاختلاف – بهذا المعنى أي التباين والتقابل – هو جوهر النظام نفسه. فاللسان – كصورة – هو مجموع المبيانات الحاصلة بين عناصره، وعلى هذا فكل عنصر فيه كيان تبايني أو تفاصلي ونسبي وسالب غير موجب من هذه الحيثية لأنه ينتج عن مقابلته لكل واحد من العناصر الأخرى ويتحصل وجوده بالنسبة الى غيره ولا شيء يعتبر في نفسه إلا بالاضافة الى غيره. ومن ثم أيضا يرى سوسور أنّ الوحدات اللغوية هي بمنزلة الوحدات الاقتصادية كالعملة مثلا فالقطعة من النقود لا يمكن أن يكون لها صفات تقابل بها القطع النقدية الأخرى. وعلى هذا فإن كيانها هو القيمة الحاصلة من معادلتها لأشياء غير مجانسة لها ومقابلتها لأشياء أخرى مجانسة لها وكذلك هي الوحدات اللغوية التي لا يحصل كيانها إلا إذا امكن لألفاظها أن تبادل، أي أن تسير بين الناس بما تعارفوا عليه لها من معان او من دور في التمييز بين المعاني، ولا يحصل هذا بالفعل إلا إذا اكتسبت كل لفظة مجموعا من الصفات تقابل بها كل واحدة من الالفاظ الأخرى».

24) دي سوسور «الدروس»، ترجمة الاستاذ الحاج صالح، ص. 47 من نفس العدد من مجلة اللسانيات والصفحات 43، 151، 152 من النص الأصلي.

25) دروس الحاج صالح المذكورة في الهامش 21 أعلاه.

26) يقول C. BAYLON وP. FABRE في مؤلفهما: *Initiation à la linguistique* Nathan, Paris, 1990 إنه ينبغي أن نميز تمييزا دقيقا اللّسانيات، وهي تعني كما نعلم دراسة نظام من الأدلة الخاصة عن علم الأدلة الذي يدرس كل النظم الدلالية اللغوية وغير اللغوية. حتى لو لم يكن العلماء متفقين حول مجال علم الأدلة. يرى دي سوسور أنه «العلم الذي يد رس حياة الأدلة ضمن المجتمع». فاللسانيات عنده فرع منه وهو العلم العام للأدلة. في حين يرى رولان بارت العكس، فعلم الأدلة عنده فرع من اللسانيات اذ يقول في مقال صدر في العدد الرابع من مجلة *Communications* «لللغة دخل في كل نظام سيميولوجي».

في الوقت الذي يؤكد دي سوسور على اللسان والمجتمع والوظيفة الاجتماعية للأدلة وهي التبليغ، نرى بارت يولي عناية خاصة للدلالة وأشكالها. لمزيد من التفصيل في هذا الموضوع. انظر مقال "Sémiotique" في *Dictionnaire Encyclopédique des Sciences du Langage* الصادر سنة 1972 عن دار النشر الباريسية Le Seuil ومؤلفاه هما O. DUCROT وT. TODOROV.

ما يمكن أن نستخلصه من المناقشات حول هذا الموضوع هو أنّ اللسان هو بالفعل النظام الدلالي الوحيد الذي نستعمله للتحدث عن النظم الدلالية الاخرى وبالتالي عنه هو بالذات وهذا يحيلنا الى الوظيفة التحقيقية التي تحدثنا عنها في آخر هذا الفصل.

27) أنظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، الجزء الأول، ص. 38، حققه وشرحه محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية.

28) انظر ص. 5 من :

BAYLON C. FABRE P. (1990), *Initiation à la linguistique*, Nathan, Paris.

29) انظر الخصائص لأبي الفتح بن جني، الجزء الأول، ص. 44، تحقيق محمد علي الفجار، دار الهدى للطباعة والنشر، ببيروت.

30) «دروس» دي سوسور ترجمة الحاج صالح، ص. 45، من مجلة اللسانيات المذكورة أعلاه والصفحة 97 من النص الاصلي.

31) يجد القارئ الكريم تفاصيل أكثر عن مفهوم الاعتباطية في مؤلف دي سوسور نفسه في البابين الأول والثاني اللذين خصصهما لتقديم نظريته حول الدليل اللغوي، انظر النص الأصلي من الصفحة 97 إلى الصفحة 113 إذ يبين دي سوسور أن العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية وحتمية في نفس الوقت حيث لا توجد أي صلة بين المفهوم وسلسلة الأصوات التي تدل عليه ولكن إذا كان اختيار الدال بالنسبة إلى الفكرة التي يصدرها اختيارا حرا ، فإنّه بالعكس، بالنسبة إلى المجموعة اللغوية التي تستعمله، غير حر، أنّه مفروض (عليها) «دروس دي سوسور»، النص الأصلي، ص. 104 بترجمتنا. كما يمكنه الرجوع أيضا الى النشرة الحديثة المنقحة والمراجعة *Nouveau Dictionnaire Encyclopédique des Sciences du Langage* في مقال لـ O. DUCROT عن الاعتباطية، ص. 270.

32) فضلنا أن نترجم message بخطاب ههنا وإن كانت الترجمة الشائعة تتمثل في كلمة رسالة وذلك لأننا نرى أن هذه الأخيرة، أي رسالة، مشحونة بمعان كبيرة، في حين أنّ الخطاب يمكن أن يحمل مفهوم الرسالة ولأننا نتحدث هنا عن دورة للتخاطب وما يتبادله المتخاطبون هو الخطاب.

33) ينقل لنا مؤلفا المدخل الى اللسانيات الذي أشرنا اليه غير ما مرة وفي الهامش 28 من هذا الفصل بالذات التصنيف الذي صنف به G. MOUNIN الوسائل التبليغية في مقال له صدر في *Bulletin de la Société de Linguistique*, 54 fasc. 1, 1959, pp. 176 - 200، حيث يصنف الوسائل التبليغية غير اللغوية حسب شكل التبليغ فيها، وهو يميز بين أربعة اشكال :

1– تلك التي تعتمد في التبليغ على أشكال معوضة للخطاب المنطوق بدون استقلالية حقيقية عن التبليغ اللغوي وهي الكتابة، اللافتات التي تعتمد الكتابة التصويرية، الأبجديات، إلخ.

2– تلك التي تعتمد التنظيم المطرد لعناصرها : الأرقام، الرموز الرياضية إشارات المرور، إلخ.

3– تلك التي تعتمد هي الأخرى أشكالا منتظمة تقرؤ على بعد الفضاء : الخرائط، المخططات، الرسوم البيانية إلخ...

4– تلك التي تعتمد أشكالا غير منتظمة تقرأ على بعد الفضاء : الصور، الإشهار إلخ.

34) اندري مارتيني André MARTINET، قطب من أقطاب المدرسة الوظيفية الفرنسية، توفي في الصيف الماضي، أي سنة 1999 ومن أشهر مؤلفاته :

- *Eléments de linguistique générale*, A. Colin, Paris,
- *Langage et fonction*, Denoël, Paris;
- *La linguistique synchronique*, P. U. F., Paris.

35) مصطلح النصوص يحمل عندنا وعند اللغويين معنا عاما، إذ يشمل كل أنواع الخطاب التي يتداولها المتكلمون صائتة او مكتوبة بدون تفضيل اي نوع على الآخر لأن هذه النصوص تمثل الاستعمال المتنوع للغات البشرية في كل المجتمعات والحضارات.

36) اخترنا ههنا مقتفين خطى أستاذنا الجليل عبد الرحمن الحاج صالح أن نستعمل هذه المصطلحات المقتبسة من تراث الخليل بن أحمد وسبويه ونحن ندري أنّ البعض من زملائنا يفضل استعمال مصطلحات أخرى ولا نريد ان نفتح باب الجدال حول مصداقية كل مصطلح إلا أننا سنحاول قدر الإمكان أن نحافظ على المصطلحات القديمة إذا كانت تفي بالمقصود، وعندما يستحيل ذلك نلجأ الى الترجمة وإلى الاعتماد على جهود الآخرين. ونحيل في ذلك إلى ما يقوله الحاج صالح في الهامش 33، ص. 32 من العدد الأول من مجلة اللسانيات في مقال يقدم فيه مدخل الى الدراسات اللغوية الحديثة.

37) انظر: A. MARTINET (1967), *Les Eléments*, P. 20. ترجمة الأستاذ الحاج صالح في العدد الاول من مجلة اللسانيات ص. 32 لنا ان نتأمل التقارب الموجود بين هذا التحديد والتحديد الذي نجده عند صاحب الأجرومية حيث يقول في عبارة توجز كل خصائص اللغة : «الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع».

38) انظر ما قلناه عن هذا الموضوع في الفصل الأول وسيأتي التفصيل فيه في الباب الموالي.

39) تندرج الوحدات اللغوية على المحور الأفقي من مدرج الكلام في علاقات تركيبية تجعلها تتركب في بعضها البعض الواحدة تلو الأخرى كأن تركب كلمة بحر من الحروف ب ح ر وجملة البحر جميل اليوم من عدد من الكلمات هي ال/بحر/جميل/ال/يوم. أما على المحور العمودي فنجد ان كل وحدة لغوية قابلة ان تستبدل بوحدة أخرى من جنسها كأن نستبدل حرف الباء في بحر بالنون فتصير نحر أو حرف الحاء بالدال فتصير بدرا...

40) لا نريد في هذا الهامش الضيق الرقعة أن نفصل الكلام في موضوع كان مدار جدال طويل ولا يزال، نحيل من رغب في ذلك الى بعض المراجع مثل :

HADJ SALAH, A. (1974), «Recherche linguistique et interférences de substrat», in Journées d'information sur les relations entre la langue arabe et la langue française, organisées par le Conseil International de la langue française, les 29 et 30 avril 1974.

SAPIR, (1959), Le Langage, traduction française, Payot, Paris.

BENVENISTE E. (1954), «Tendances récentes en linguistique générale», in *Journal de Psychologie*, n° 1-2, Paris.

MARTINET A. (1967), Eléments de linguistique générale, A. Colin, Paris.
MOUNIN G. (1963) Les problèmes théoriques de la traduction, Gallimard, Paris.
LEDERER M. (1994), La traduction aujourd'hui, Hachette, Paris.
CHOMSKY N. (1969), La linguistique, traduction française, Le Seuil, 1969.
WHORF BL. (1958), Language, Thought and Reality, New York.
(1969), Linguistique et Anthropologie, Denoël, Paris.

عبد الرحمن الحاج صالح «مدخل إلى علم اللسان الحديث»، (3)، مجلة اللسانيات، العدد الأول المجلد الثاني، 1972.

لو أردنا أن نوجز القول في عجالة نقول إنه يوجد اتجاهين في هذا الموضوع، اتجاه يؤمن بتأثير الفكر والتصور في اللغة حيث يعتقد بوجود كليات لغوية تؤدي في آخر المطاف الى نفس البنية مطبقة على كل اللغات الطبيعية، في حين يرى الاتجاه الثاني أن كل لغة تنم عن تصور معين للواقع وأن اللغة هي التي تهيكل نظرتنا إلى هذا الواقع حيث يقول دي سوسور في الصفحة 155 : «إن الأفكار لا توجد موضوعة بصفة قبلية ويظل كل شيء مبهم قبل ظهور اللغة». وفي نظر هذا الاتجاه ليست المدلولات التي تنقلها دوال تنتمي الى لغة معينة مستقلة تمام الاستقلال عن نظام اللغة المخصوص، وكل لغة لها نظرتها الخاصة لا تطابق بالضرورة النظرة التي تبنيها لغات أخرى.

يمكن الرجوع أيضا الى المدخل الى اللسانيات لبيلون *C.* BAYLON وفابر*P.* FABRE، الفصل 14 منه على وجه التحديد.

41) انظر سابير، E. SAPIR, , *Le Language*, p. 578 مرجع سبق ذكره من خلال مقال الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح المشار اليه في الهامش السابق والصادر سنة 1974، ص. 205.

42) انظر بنفنست BENVENISTE ، ص. 133 من المقال المذكور في الهامش السابق .

43) انظر مارتيني MARTINET ، المرجع السابق الذكر، ص. 12.

44) يجد القارئ في: C. BAYLON , P FAVRE. (1990), *Initiation à la linguistique* عرضا هاما حول مختلف وجهات النظر في تحديد وظائف اللسان وذلك في الفصل الثاني عشر.

45) مثلما يقول القاضي عبد الجبار في المغني الجزء 7، ص. 29.

46) انظر الهامش رقم 32 أعلاه.

47) اقتبسنا هذا الجدول من مذكراتنا عن دروس الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح الآنفة الذكر.

48) نفس الملاحظة والاحالة التي أوردناها في الهامش رقم 44 ولكن هذه المرة نحيل إلى الفصل الثالث عشر.

49) ياكبسون R. JAKOBSON ، لغوي روسي الأصل، ولد سنة 1896، فر إثر الثورة البلشفية من روسيا إلى براغ حيث ساهم في إنشاء حلقة براغ المشهورة مع شلة من اللغويين، ثم استقر بعد ذلك في الولايات المتحدة فرارا من النازية سنة 1942 حيث توفي سنة 1981. من أشهر مؤلفاته:

Essais de linguistique générale, Editions de Minuit, Paris ،1963

الباب الثاني

التحليل العلمي للسان

الفصل الأول
مستوى الأصوات والحروف

مفهوم الصوت ومكانته من النظام اللغوي

الصوت ظاهرة فيزيائية عامة الوجود في الطبيعة.

الصوت اللغوي يتمثل في الأصوات التي تخرج من الجهاز الصوتي البشري والتي يدركها السامع بسماخه (أي أذنه)

والصوت هو الركيزة والمقوّم المادي للسان وهو حد التحليل اللغوي ونهايته وأصغر قطعة في النظام اللغوي.

عناصر الصوت اللغوي :

- فيزيائية بما أنه صوت؛
- فيزيولوجية لأنه يصدر من الجهاز الصوتي البشري؛
- نفسانية صوتية لأنه مدرك بكيفية خاصة.

علم الاصوات او الصوتيات

يعتبر هذا العلم فرعا من فروع علم اللسان أو اللسانيات

علم اللسان العام او اللسانيات العامة – علم الأصوات العام او الصوتيات العامة

– علم لسان معين أو لسانيات هذه اللغة – علم الأصوات الخاص بذاك اللسان.

وهو العلم الذي يدرس الأصوات اللغوية دراسة علمية باستعمال الاجهزة والمخابر . تتفرع الدراسة الصوتية إلى ثلاثة اقسام تبعا لعملية إحداث الأصوات وتتم هذه الأخيرة على ثلاث مراحل :

1) إحداث الاصوات اللغوية؛

2) إرسال هذه الاصوات بواسطة موجة واهتزاز صوتي عبر الهواء؛

3) إدراك هذه الاصوات بواسطة الأذن.

المرحلة الأولى هي مرحلة النطق وإخراج الأصوات الى الوجود باستخدام جميع أعضاء الجهاز الصوتي؛

المرحلة الثانية مرحلة الإرسال تظهر من خلالها البنية الفيزيائية للظواهر الاهتزازية للأصوات اللغوية؛

أما المرحلة الأخيرة وهي مرحلة الإدراك بواسطة الجهاز السمعي أي الأذن وينتج عن ذلك ظواهر نفسية صوتية معينة.

وتختص بكل مرحلة دراسة خاصة وعلم خاص بها فرع من فروع الصوتيات فالمظهر الأول وهو المظهر التوليدي الإحداثي أي المظهر الفيزيولوجي فتعني به الصوتيات الفيزيولوجية.

المظهر الثاني المتمثل في الجانب الفيزيائي المحض تختص بدراسته الصوتيات الفيزيائية.

وآخر مظهر تدرسه الصوتيات هو الجانب الإدراكي النفسي السمعي للأصوات اللغوية والعلم الفرعي الذي يدرسه هو الصوتيات السمعية معتمدا على صفاته الفيزيائية النفسية والفيزيولوجية [1].

الصوتيات الفيزيائية

روافد هذا العلم علمان هما علم الصوت العام الذي يهتم بظاهرة الصوت واللسانيات الذي يعني كما قلنا بالدراسة العملية للسان. تعمل الصوتيات الفيزيائية على اكتشاف الخصائص الفيزيائية للظواهر الاهتزازية والتموجية الموجودة في الأصوات اللغوية ويهتم بالأصوات اللغوية عند خروجها من الجهاز الصوتي وانتشارها في الهواء اي في تلك الفترة التي تمتد من زمن حدوثه إلى زمن استقباله.

تحديد الصوت

الصوت هو كل ما تدركه حاسة السمع مهما كان نوعه.

ويعرفه علم الصوت كالتالي : اضطراب طببعي خارجي يعرض لجميع الاجسام وخاصة الهواء. وهذا الاضطراب من جنس وصنف الظواهر الاهتزازية والتموجية وهو حركة جسم في اتجاهين، هو تموج ينتشر في الهواء أو في غيره من المواد القابلة للاهتزاز.

والأصوات اللغوية من هذه الحيثية ينتمي إلى هذا الصنف من الظواهر الفيزيائية وهو بذلك يتصف ببعض الخصائص الفيزيائية.

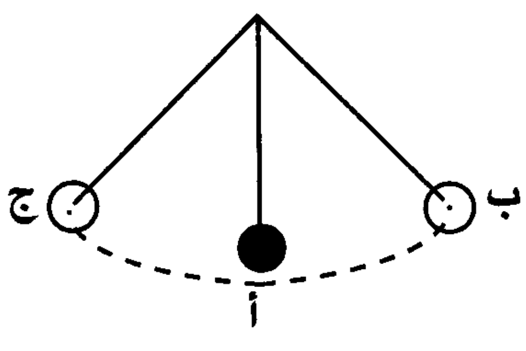
خصائص الاصوات اللغوية الفيزيائية.

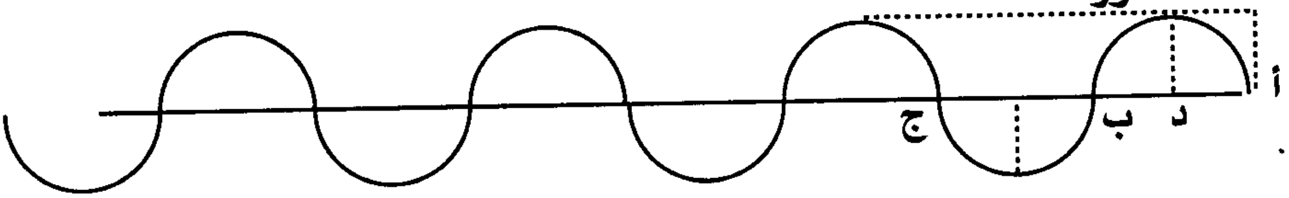
تنقسم هذه الخصائص الى نوعين : الخصائص أو الصفات الفيزيائية المحضة والخصائص أو الصفات الفيزيائية النفسية، الصفات الأولى صفات موضوعية راجعة إلى طبيعة الظاهرة الصوتية نفسها أمّا الثانية هي صفات ذاتية ناتجة عن إدراك الأذن للأصوات.

الصفات الفيزيائية المحضة

1- الأصوات الدورية والأصوات غير الدورية

إن الصوت من جنس الظواهر الاهتزازية ولهذه الحركة الاهتزازية مميزات تتوقف عليها طبيعة التموج وبالتالي طبيعة الصوت. ومن هذه الخصائص الكيفية التي تهتز بها. فإذا حدثت الحركة الاهتزازية في فترات متساوية كحركة النواس أو الرقاص نقول إنّ الحركة دورية مثلما يوضح ذلك الرسم البياني التالي :





وعندما تصور هذه الحركة بواسطة المهزاز [2] فتظهر على شكل منحنى جيبي وتكون غير دورية إذا لم تقع في فترات غير متساوية. ولهذا أثر بالغ في تحديد الأصوات اللغوية فاذا حصل الاهتزاز في فترات متساوية يحدث تموجا منتظما متناسب الأجزاء ويسمى النغمات فبالنسبة لأصوات اللغة فإنّ جميع ما يمدد ويردد لا يحتاج إلى جهد عضلي كبير بل يحدث بإعمال الحنجرة فقط وتشكيل يسير لهيئة التجاويف العليا فهي أصوات دورية أي نغمات وهي في اللغة الحركات.

أما الأصوات غير الدورية أصوات ضوضاوية أو قروع وهي كل الأصوات اللغوية ما عدا الحركات.

2- التردد

ويتمثل في عدد الدورات الكاملة التي يمر عليها الجسم المهتز في الثانية، تلك هي إذن سرعة الاهتزاز وكل صوت لغوي من حركات وقروع له تردده الخاص به.

3- سعة الاهتزاز

تقاس بالمسافة التي توجد بين الوضع الأول للجسم في حالة السكون وأقصى موقع يصل اليه اثناء الاهتزاز.

4- الشدة

هي مقدار الطاقة الصوتية التي تنفذ في الوحدة الزمنية المعينة من خلال سنم^2 واحد موضوعا في وجه الصوت على هيئة عمودية وتتأثر شدة الصوت بسعته فكلما ازدادت سعة الاهتزاز ازدادت الشدة كما ان للتردد أثراً عليها.

ولا تستطيع الأذن أن تدرك الأصوات التي تقل عن 20 هرتزات وهذا هو حد الإدراك السمعي ولا يمكن ان تدركها أو تصاب بالصم عندما تفوق الدرجة

20000 هرتزث إذ يشكل هذا الرقم عتبة الألم التي لا تستطيع الأذن بعدها ان تسمع شيئا فتصير صماء.

5- الاصوات البسيطة والاصوات المركبة

لا توجد في واقع الامر اصوات بسيطة من الأصوات اللغوية مثلما هو الحال بالنسبة لصوت القضبان الرنانة التي لها تردد واحد فقط. أما الأصوات المركبة فتتألف من عدد معين من الدورات المتناسبة إذا كانت دورية وغير المتناسبة إذا كانت غير دورية. وكل صوت يشتمل على تردد أساسي ثم ترددات اخرى تزداد سرعتها على سلم تناسبي : النصف بضعفي السرعة الثلث بثلاث أضعاف السرعة الخ.

نقول إن هذه الأصوات مكونة من نغمة أساسية ونغمات جزئية توافقية.

الصفات الفيزيائية النفسية

إنّ هذه الصفات صفات ذاتية موقوفة على الصفات الفيزيائية المحضة التي تكيفها عملية الإدراك الحسي والنفسي.

1- درجة الصوت او طبقته

وتتمثل في الانطباع السمعي الذي تشعر به الأذن عندما تدرك التردد وهي موقوفة على سرعة الاهتزاز، كلما ارتفع التردد كان الصوت حادا أي تكون طبقته عالية وكلما تناقص كان الصوت ثقيلا أي طبقته منخفضة. يمكن إذن ان نقول إنّ درجة الصوت هي التردد المدرك.

2- الجرس

الجرس هو الصفة الجوهرية الذاتية التي يمتاز بها صوت عن صوت آخر عند الإدراك.

فلكل حركة جرس خاص بها عماده مجموعة من التوافقيات المعينة تطغى بشدتها على غيرها فتسمع وحدها. وكذلك هو الأمر بالنسبة إلى الصوامت إذ إنّ كما اسلفنا الترددات غير دورية.

3- الشدة الصوتية المدركة

إن الاحساس بشدة الصوت يساوي لوغارتم الطاقة الصوتية وتقاس بالديسيبال.

تلك هي إذن أهم الخصائص الفيزيائية للأصوات اللغوية ولكن في الأخير علينا ان نتحدث ولو بإيجاز عن ظاهرة فيزيائية اخرى تلعب دورا خطيرا عند تحديد أجراس الأصوات، تلك هي ظاهرة الصدى.

4- ظاهرة الصدى أو الرنين

يقصد بالصدى ذلك الصوت الذي يسمع في الأوعية الفارغة كما يقول ابن جني. ذلك أن الصوت إذا حدث بالقرب من جسم مجوف أثار فيه صدى، فكل اهتزاز يحدث في مكان ما قادر على تحريك جميع الأجسام القابلة للاهتزاز في ذلك المكان فيحدث فيها اهتزاز. فإذا حصل هذا فإن مجموع الاهتزازات المثارة تسمع صوتا واحدا أضخم وأقوى من الصوت المثير لها شريطة أن يكون ترددها الذاتي مناسبا لتردد الصوت الطارئ. وتسمى هذه الاجسام الرنانات مثل بطون المعازف مثلا.

أمّا بالنسبة للجهاز الصوتي فإنّ تجاويف الفم والأنف والحلق والتجويف الخاص بِمدّ الشفتين تلعب دور الرنانات إذ أنها تكيف الصوت الحنجري (النغمة الاساسية) وتقوي بعض التوافقيات في الصوت اللغوي. ثم إن ظاهرة الصدى تتأثر بحجم وشكل الجسم الرنان.

فكلما كان ضخما كلما انخفضت سرعة اهتزازه والعكس صحيح يعني كلما كان صغيرا ارتفع تردده. في حين أن ذاك التردد يرتفع إذا كانت فتحة الرنان كبيرة وتنقص في حالة صغر الفتحة.

ولكل هذه الخصائص أهمية بالغة في الدراسة الصوتية فبمعرفتنا لهيئات الحلق والفم وغيرها من الأعضاء ولمعرفتنا في نفس الوقت للصفات الفيزيائية التي تختص بها الأصوات وربطنا هذه بتلك نستطيع أن نحدد هوية كل حرف ونشخصه تشخيصا فيزيائيا فيزيولوجيا.

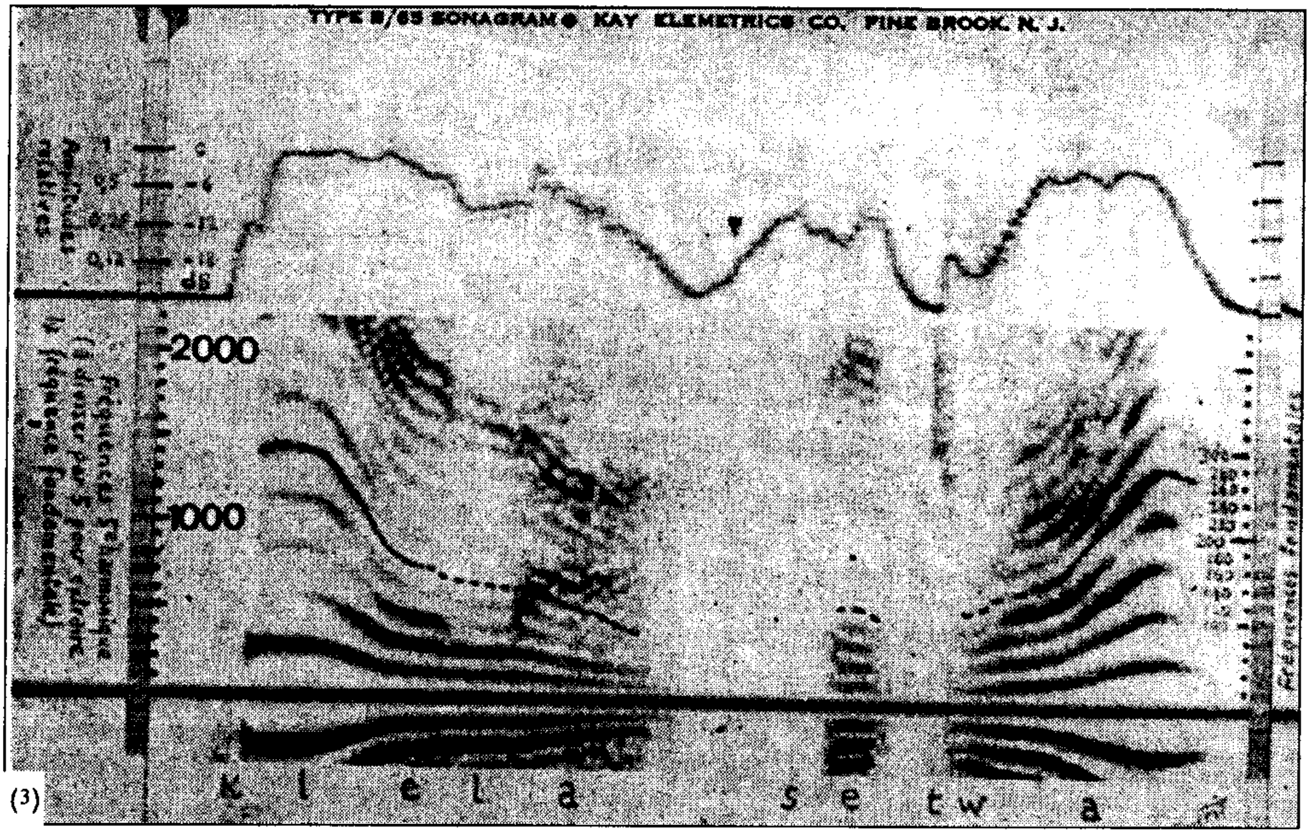
التحليل الصوتي الفيزيائي للأصوات اللغوية

فاستعمالنا للرواشح الصوتية وآلة المشباح نتمكن من تحليل الاصوات اللغوية تحليلا صوتيا فيزيائيا.

1– تبين أشباح المصوتات أن أجراسها ناتجة عن بزوز بعض المجموعات من التوافقيات وتقويتها واختفاء البعض الآخر بفعل التجاويف الرنانة التي تتشكل اشكالا مختلفة تختلف باختلاف الحركات وتسمى هذه المجموعات البارزة الشديدة السواد في المشباح البواني او المكونات. فلكل مصوت مكونان بارزان

2– الصوامت

إنّ الفروع أو الأصوات الضوضاوية التي تتركب منها الصوامت جزئيات غير متناسبة وللصوامت بواني أيضا أي أن في أشباحها مناطق شديدة السواد سافلة أو عالية التي تطعى على غيرها من الاهتزازات المصاحبة لها. غير أن الشدة والثقل أي الدرجة ليست ذاتية بالنسبة للسامع لتشخيص الصوامت لأن مدة حدوثها قصيرة جدا فكادت أنْ تخفى عن السمع لولا انه يستدل بالتغيرات النغمية والقرعيةالتي تحصل عند الانتقال بالنطق من صوت الى آخر خاصة عند الانتقال من الحركة إلى الصوامت إذ تتداخل التأثيرات وتسمى هذه التغيرات بالتغييرات النقلية او النقلات مثلما يظهره الرسم الموالي :



(3)

الصوتيات الفيزيولوجية

الصوتيات الفيزيولوجية هي القسم من علم الأصوات الذي يهتم بالمرحلة الأولى لإحداث الأصوات. وان كانت هذه الصوتيات فيزيولوجية فإنها لا تهتم بكل اعضاء جسم الانسان بل تقصر اهتمامها بمجموعة الأعضاء التي تساهم في احداث الأصوات اللغوية والتي تكون ما يسمى بالجهاز الصوتي او الآلة الصوتية.

وصف الجهاز الصوتي

يتكون الجهاز الصوتي البشري من مجموعة الأعضاء التالية :

الحنجرة

هي موضع حدوث الصوت الساذج وتتكون من أربعة غضاريف :

– الغضروف الدرقي والذي يظهر عند الرجال فيسمى تفاحة آدم.

– الغضروف الحلقي او عديم الاسم ؛

– الغضروفان الطرجهاليان.

وتتشكل هذه الغضاريف تشيكلة معينة على شكل علبة فتحيط بعضو هام وخطير الدور في إحداث الأصوات. هذا العضو الهام هو الذي اعتاد أنْ يسميه علماء الاصوات الأوتار الصوتية [4] والحنجرة بغضاريفها بمثابة الدرع الواقي لهذه الأوتار.

وقد تبين أنّ هذه الأوتار ليست في الحقيقة أوتارا، إنّما هي عضلات تتذبذب عند مرور النفس الصاعد من الصدر بها وباهتزازها السريع جدا تحدث الصوت كما يظهر ذلك التصوير بالأشعة.

والأوتار الصوتية تُحْدث عند اهتزازها ما يسمى بالصوت الحنجري البسيط الذي هو «صوت الصَدر» إلا أن هذا الصوت يخرج من الحنجرة حاداً تنفر منه الأذن ثم يكتسب عند مروره بالتجاويف العليا في الحلق والأنف والفم الجرس المطرب المستساغ وذلك لما لتلك التجاويف الرنانة من دور في جعل الصوت مستلذا.

عندما نحاول مشاهدة الحنجرة من داخل الفم بواسطة مرآة تسمى مرآة GARCIA (باسم من ابتكرها) تظهر لنا الأعضاء التالية : الأوتار وهي في

الحقيقة عضلتان تهتزان عندما يمر النفس بها بسرعة تتراوح بين 8000 و9000 اهتزاز في الثانية. وبين العضلتين فتحة تسمى فوهة الحنجرة. وفي الحنجزة أيضا الغلصمة وهي غطاء طبيعي (غشاء) غير أن عملها قليل أثناء التصويت ومعظم فائدتها تكمن في أنها تنحدر على الحنجرة أثناء الأكل والشرب لتمنع تسرب الطعام والشراب نحو الرئتين.

وللأوتار الصوتية وضعيتان (انظر الرسوم المرفقة)

1– عند اهتزازها (عند النطق بالمجهورات) ؛

2– عند التنفس (عند النطق بالمهموسات).

تجويف الحلق

يوجد خلف تجويف الفم من فتحتي الأنف الخلفيتين الى الحنجرة وينقسم إلى ثلاثة أقسام :

– الحلق الأدنى ؛

– الحلق الأوسط ؛

– أقصى الحلق.

تجويف الفم

محصور بين الفكين الأعلى والأسفل وهو محاط بالشفتين العليا والسفلى وله فتحة خلفية على الحلق تتدلى فيها اللهاة.

وفي الفم يوجد اللسان وهو العضو الرئيسي في النطق وينقسم هو الآخر الى ثلاثة أقسام :

– العكدة او قاعدة اللسان ؛

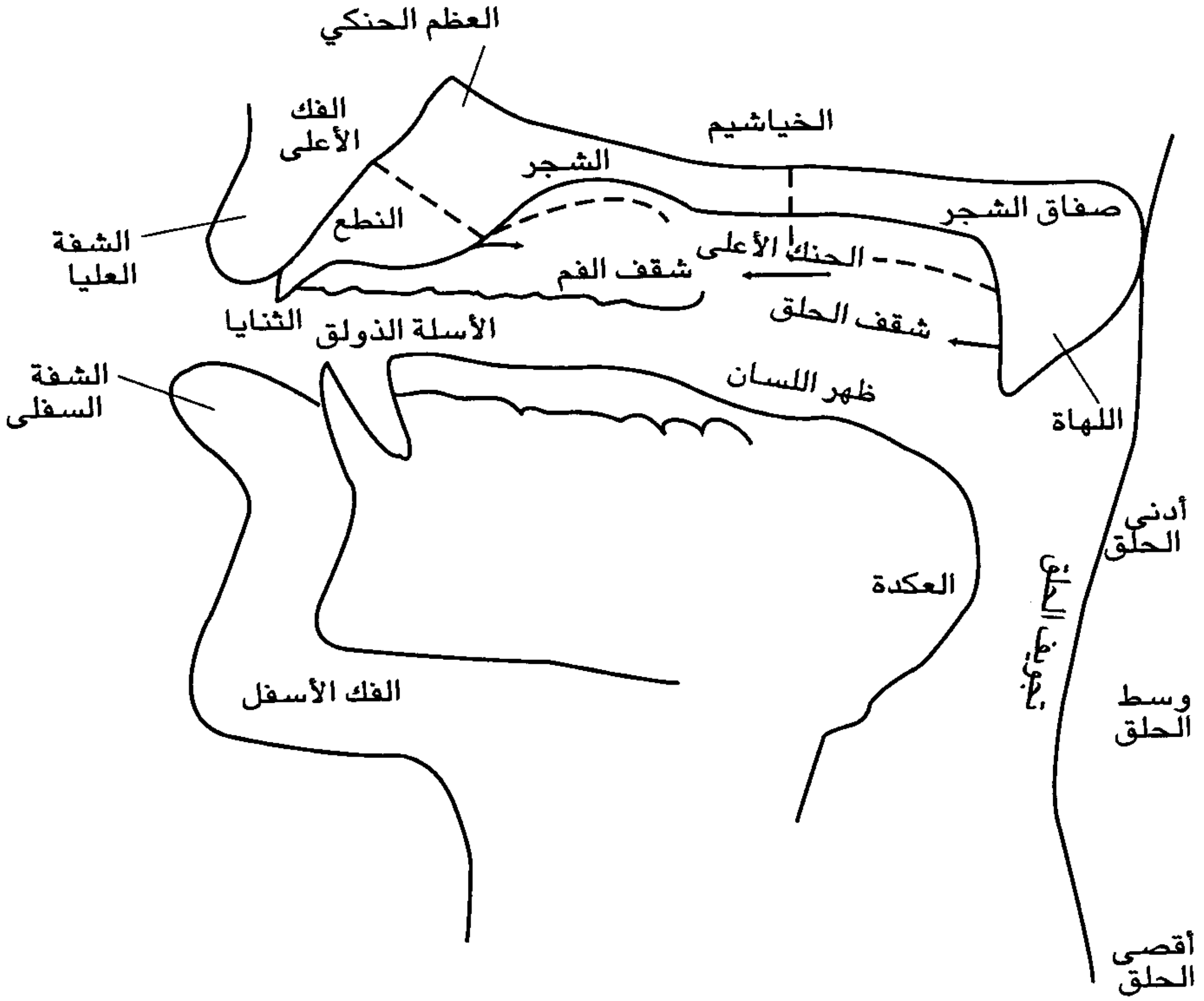
ظهر اللسان أو وسط اللسان ؛

الذولق او طرفه (يسمى الأسلة عندما يرفق).

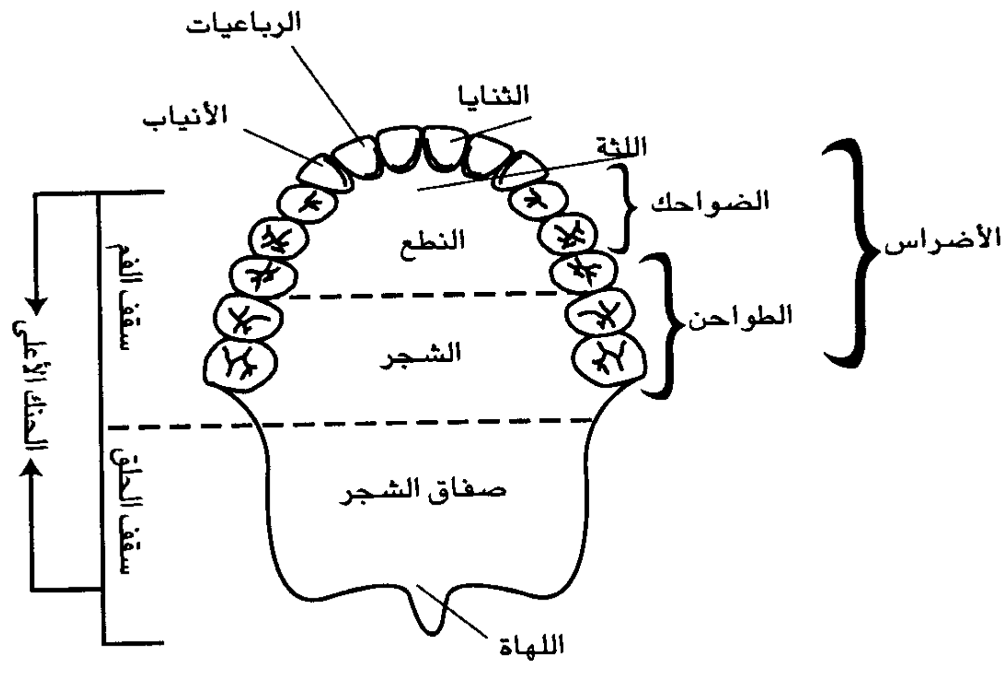
وفي تجويف الفم من فوق سقف الفم أو الحنك الأعلى وينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام من المؤخر إلى المقدم :

– صفاق الشجر أو الحنك اللين ؛

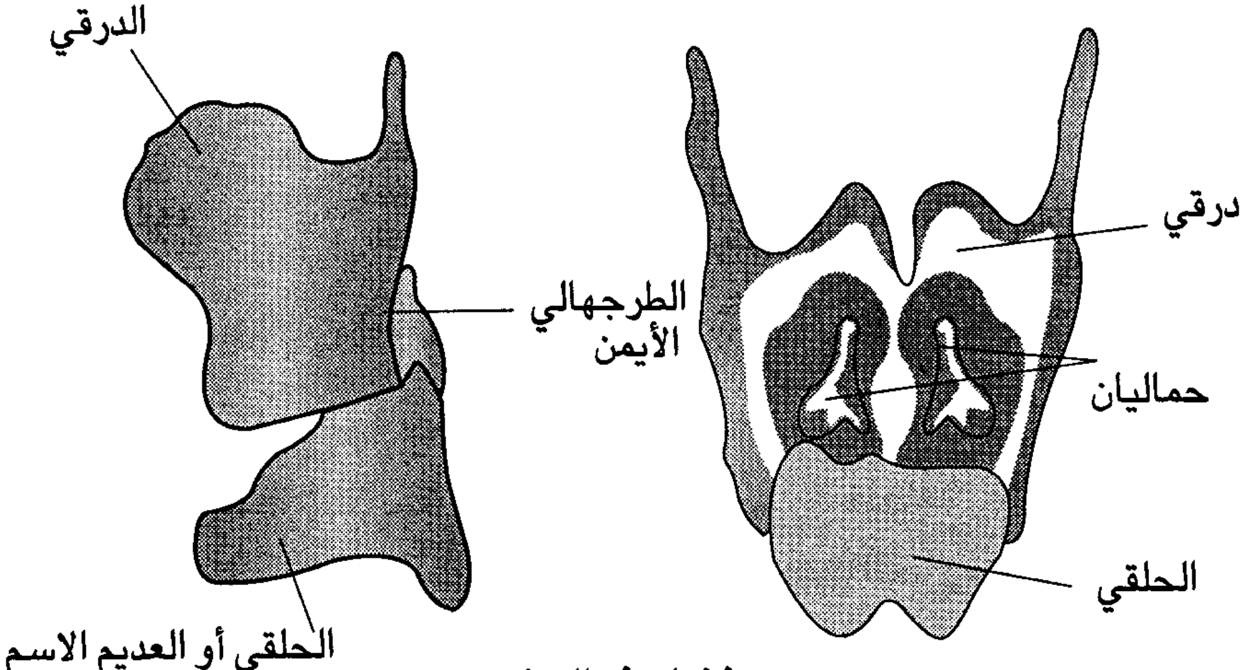
تجويف الفم وما يحاديه



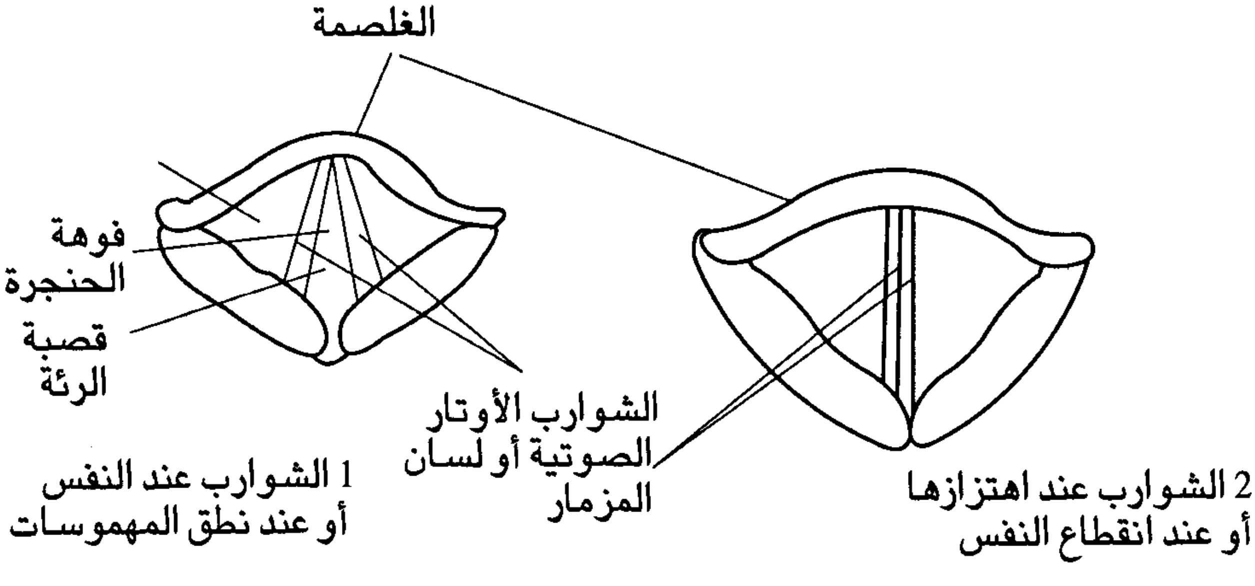
الحنك الأعلىالحنك



تجويف الحنجرة



غضاريف الحنجرة



الحنجرة كما تظهر من داخل الفم(5)

الشجر في وسط الحنك وهو صلب ؛

النطع في مقدمته وتظهر على سطحه حبيبات.

وتنغرس في الفكين العلوي والسفلي الأسنان من ثنايا ورباعيات وضواحك. ولكل عضو من هذه الأعضاء بجزء منه أو بكامله دور في إحداث الأصوات.

تجويف الانف

ويسمى الخياشيم وله فتحتان أماميتان وفتحة خلفية تسدها اللهاة، عند الحاجة.

نورد الرسومات الخاصة بكل هذه التجاويف أخذناها من مذكراتنا عن الدروس التي حضرناها لأستاذنا الجليل عبد الرحمن الحاج صالح.

فيزيولوجية الاصوات اللغوية

أصناف الأصوات ومقاييسها

بعد أن تعرفنا على الجهاز الصوتي البشري نود الآن أن نهتم بالدور الذي تلعبه الأعضاء التي تكون هذا الجهاز من خلال محاولتنا اكتشاف الخصائص الفيزيولوجية للأصوات ونعتمد في ذلك على ثلاثة مقاييس هي المخرج والعضو المصوت والصفة.

المخرج (على وزن مَفْعَل اسم المكان) هو مكان حدوث الصوت داخل الجهاز الصوتي أي المكان الذي يخرج منه الصوت في الآلة الصوتية[6].

العضو المصوت هو العضو الذي يساهم باهتزازه عند مروت الهواء به في إحداث الصوت ويتمثل في جوانب الحلق، اللهاة، الحنك الأعلى الشفتان وأهم الأعضاء المصوتة اللسان.

الصفة (المخرج المصدر الميمي) ونعنى بها كيفية حدوث الصوت أي الكيفية بها الصوت إلى الوجود من العدم.

مخارج الأصوات اللغوية

تتوزع مخارج الأصوات اللغوية حسب تقطع الجهاز الصوتي على ستة أحيزة أو مناطق كبرى هي :

الحيز الحلقي

حيث تساهم جوانب الحلق باهتزازها في إصدار الأصوات والأصوات الحلقية تخرج من ثلاثة مخارج فرعية هي : أقصى الحلق (الذي يصادف موقع الحنجرة أي الأوتار) وهو مخرج بعض الأصوات مثل الهاء في اللغة العربية ثم وسط الحلق وهو مخرج الحاء مثلا وأخيرا أدنى الحلق مخرج الخاء.

الحيز اللهوي

تساهم فيه اللهاة والعكدة في إخراج بعض الأصوات مثل القاف في اللغة العربية

الحيز الصفاقي

بمساهمة صفاق الشجر من الحنك الأعلى والعكدة أو ظهر اللسان. مخرج الكاف مثلا.

الحيز الشجري

الشجر من الحنك الأعلى مع ظهر اللسان، مخرج الشين والجيم والياء.

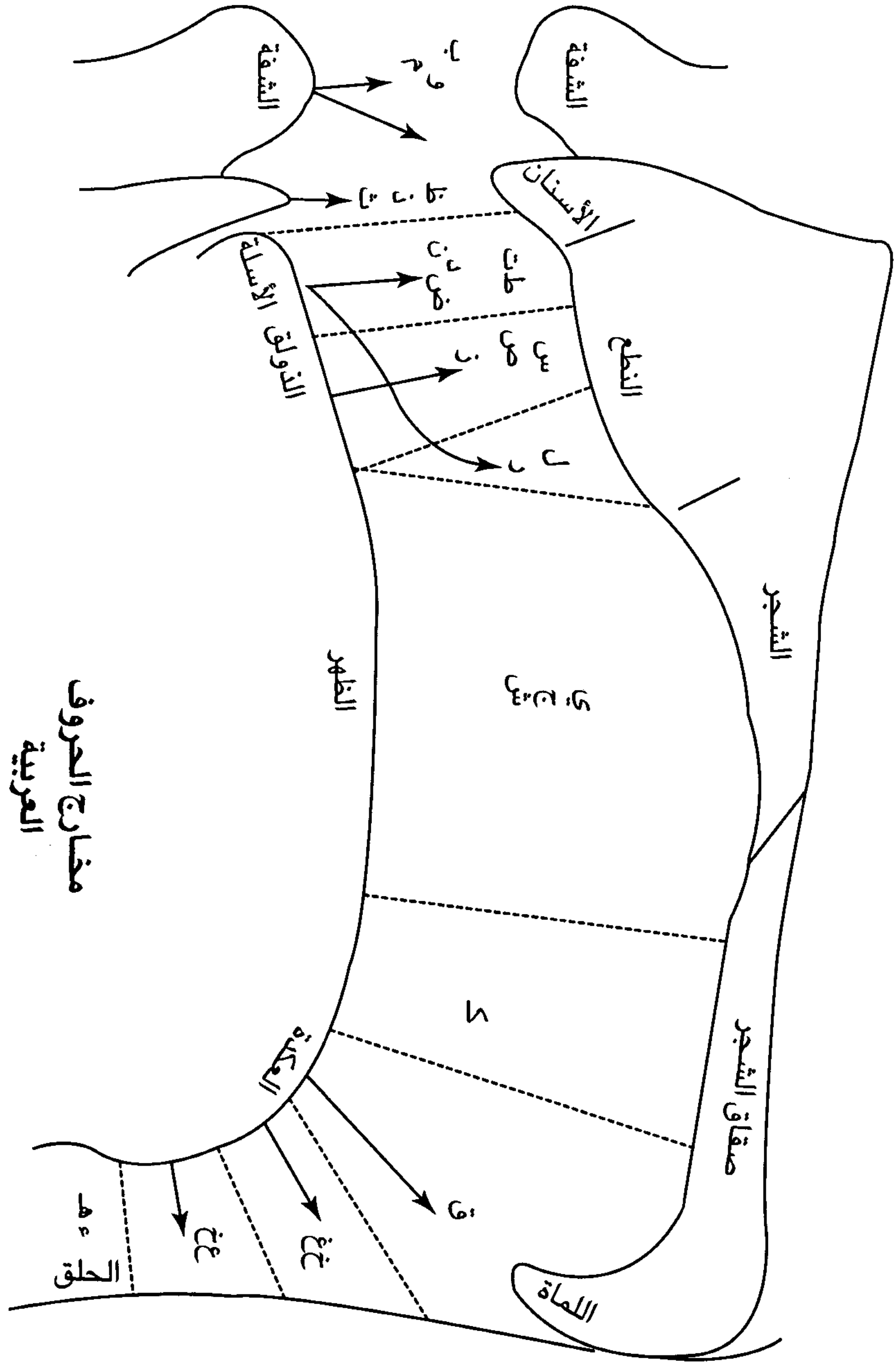
الحيز الفطع الذولقي

يساهم فيه الفطع (مقدم الحنك الأعلى) مع طرف اللسان (قد تشترك اللثة أو الأسنان أيضا في إخراج الصوت). والأصوات الذولقية كثيرة نذكر من بينها النون والتاء والظاء والثاء الخ.

الحيز الشفوي

بمساهمة الشفتين أو الشفة السفلى لوحدها مع الثنايا العليا، مخرج الباء والغاء.

وقد أظهرنا مخارج الأصوات العربية في رسم الجهاز الصوتي لكي يتبينها القارئ جيدا.


مخارج الحروف العربية
الشفة
الشفة
الأسنان
الأسلة
الذولق
النطع
الظهر
الشجر
صفاق الشجر
اللهاة
الحلق

صفات الأصوات اللغوية

وهي كما أسلفنا متعلقة بالكيفية التي يخرج بها الصوت من الجهاز الصوتي البشري.

وأهم هذه الصفات متصل بدرجة انفتاح الجهاز الصوتي عند إصدار الصوت أمّا الصفات الأخرى فتضاف لها ليزداد تحديد الصوت دقة وحدة.

درجة اتساع المخرج

إن اتساع المخرج أو درجة انفتاح القناة الصوتية من أهم المقاييس التي تصنف بها الأصوات اللغوية. ولهذا الانفتاح ثلاث درجات :

1- الاتساع التام أو عدم الاعتراض

إذا اندفع الهواء من الصدر وتصاعد الى تجاويف الآلة الصوتية فإنّه يمر بالحنجرة ويصير صوتا عند اهتزاز الأوتار فإن تعدى التجاويف العليا ولم يجد عضوا يعترضه انسل واستمر واتصل جريانه الى خارج الفم وعند مروره بهذه التجاويف كلها يحدث صدى معينا

وهذا الصوت هو صوت الحركات وخاصة منها الفتحة التي هي أكثر الاصوات اتساعا.

2- اتساع الناقص او الاعتراض الجزئي

وإذا نفد الهواء في تلك التجاويف واعترضه عضو كالأوتار نفسها او جوانب الحلق او اللهاة او اللسان او الشفتين اعتراضا غير تام فيضيق ممره يحصل احتكاك بين الهواء والجوانب الداخلية لهذه الأعضاء يحدث صوت من نوع خاص من جراء هذا الاحتكاك. والأصوات التي تخرج بهذه الكيفية تسمى الأصوات الرخوة أو التسريبية(7).

وهي العربية : هـ. ح. ع. غ. خ. ش. ص. ز. س. ظ. ث. ذ. ف.

3- عدم التساع او الاعتراض التام

إذا وقع انسداد تام وذلك باعتراض العضو المصوّت على الهواء المتصاعد من الصدر حصل حبس ثم إطلاق أي أنه يقع حبس الهواء مدة وراء العضو

المعترض ثم إطلاقه دفعة واحدة بإزالة الاعتراض وانفتاح القناة وتسمى الأصوات التي تخرج بهذه الكيفية الأصوات الشديدة او الحبسية(7) وهي في العربية : د. ق. ك. ج. ط . ض . د . ت . ب .

4- الأصوات البينية

نجد ان بعض الأصوات لا يمكن اعتباره رخوة محضة وشديدة محضة لأن مخرجها يعرف الظاهر من قيمة حبس من ناحية ورخاوة في ناحية أخرى فترى مثلا بالنسبة للميم أن حبسا يتم على مستوى الشفتين ورخاوة على مستوى الخياشيم وتلك هي حالة النون ايضا بين الحبس النطعي والرخاوة الخيشومية. وكذلك هو الحال بالنسبة للراء لارتعاد طرف اللسان واللام لاعتراض طرف اللسان وانفتاح حافتيه. وتسمى هذه الاصوات الأصوات البينية.

الجهر والهمس

إنّ الأصوات المجهورة تهتز فيه الأوتار الصوتية بقوة فيضاف هذا الاهتزازالعضوي للتجاويف العليا – اما الأصوات المهموسة فلا يقع فيها مثل هذا الاهتزاز(8).

الأصوات المجهورة هي في العربية : ء – ع– غ– ج– ي – ز – ض – ظ – ن – د – ذ – م – ب – و – ر – ل.

الأصوات المهموسة هي في العربية : ه – ح – خ – ق – ك – ش – ص – س – ط – ت – ث – ف.

اللين

صفة صوتين هما الواو والياء لأنهما أوسع الصوامت مخرجا وأقربها إلى المصوتات أي الحركات. في مخرجها ليونة أي لاجنس ولا ضغط وهذا هو حال المصوّت لذلك سماهما اليونان بأشباه المصوتان أو أشباه الصوامت وتسمى في العربية بحروف العلة مع الألف لكثرة تقلبها وتغير أحوالها في النطق والتأدية.

الغنة

هي عبارة عن صدى ورنين يحدث في الخياشيم بإزالة الاعتراض العضوي وانفتاح الفتحة الخلفية لتجويف الفم بانحفاض اللهاة فيضاف الصدى الخيشومي للاهتزاز العضوي الأصلي داخل تجويف الفم والشفتين عند النطق بالنون والميم.

التفخيم

هذه صفة تختص بها بعض الأصوات العرية وتميزها عن الأصوات الأخرى وهي ق-ظ-ط-ض-ص-خ-غ . والتفخيم ظاهرة صوتية تحدث كلما استعلى اللسان نحو مؤخر الفم فيتشكل تجويف الحلق والفم تشكيلة خاصة تقوى الاهتزازات المنخفضة فيصير جرس الصوت غليظا وثقيلا أي مفخما.

وقد تسمى هذه الأصوات أيضا المستعلية أو المطبقة لأن اللسان يستعلى فيها يكاد ينطبق على الحنك الأعلى.

تقابلها الأصوات المستفيلة أو المرققة وهي كل الأصوات ماعدا السبعة المذكورة أعلاه.

التكرار

عند النطق بالرّاء يرتعد طرف اللسان ويهتز فيلتصق مرة بالنطع ثم يتراجع كأن النطق بالصوت يتكرر.

الانحراف

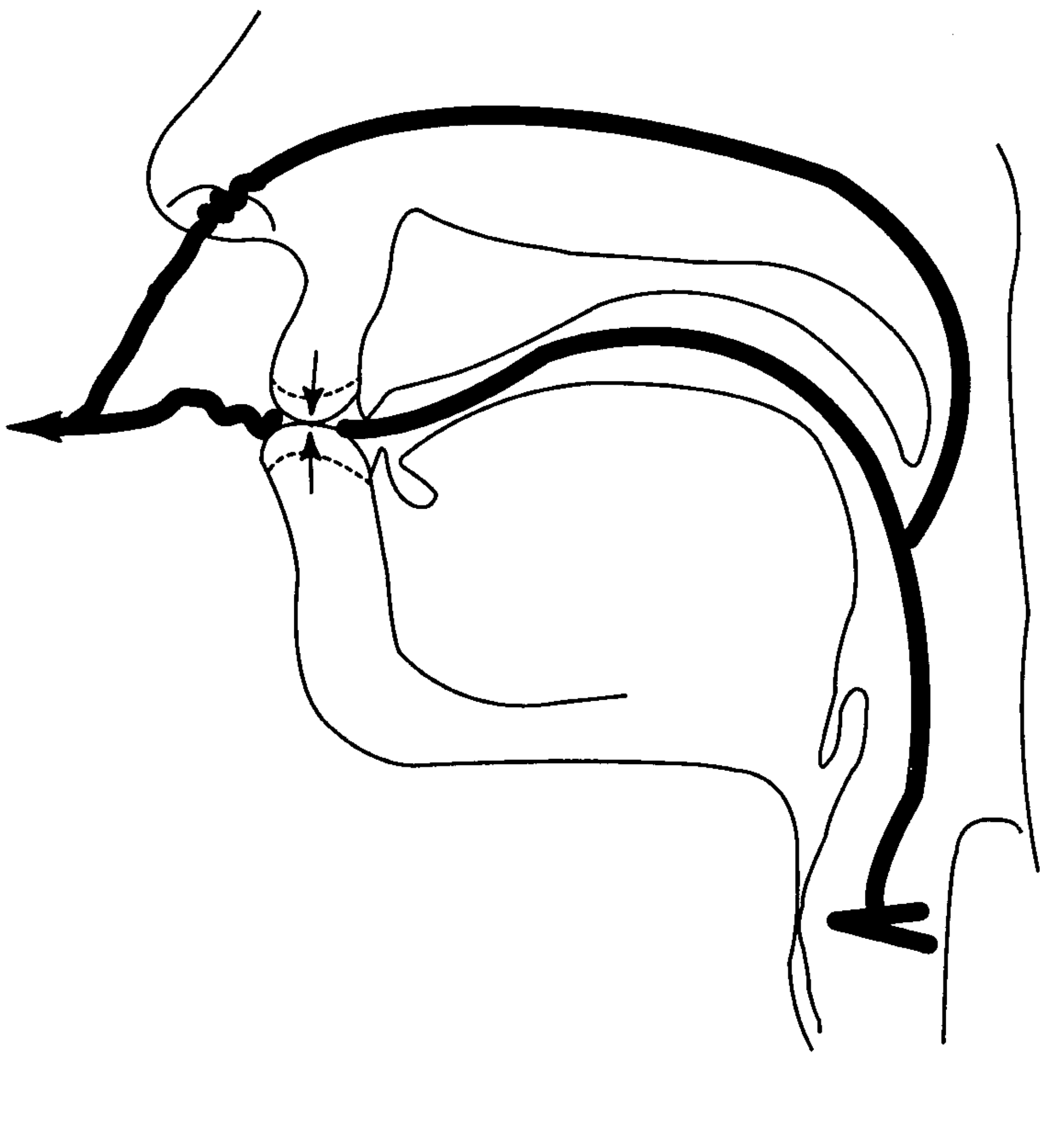
عند النطق باللام يخرج الهواء من حافتي اللسان منحرفا في حين أن طرفه ملتص بالنطع.

الحركات في اللغة العربية

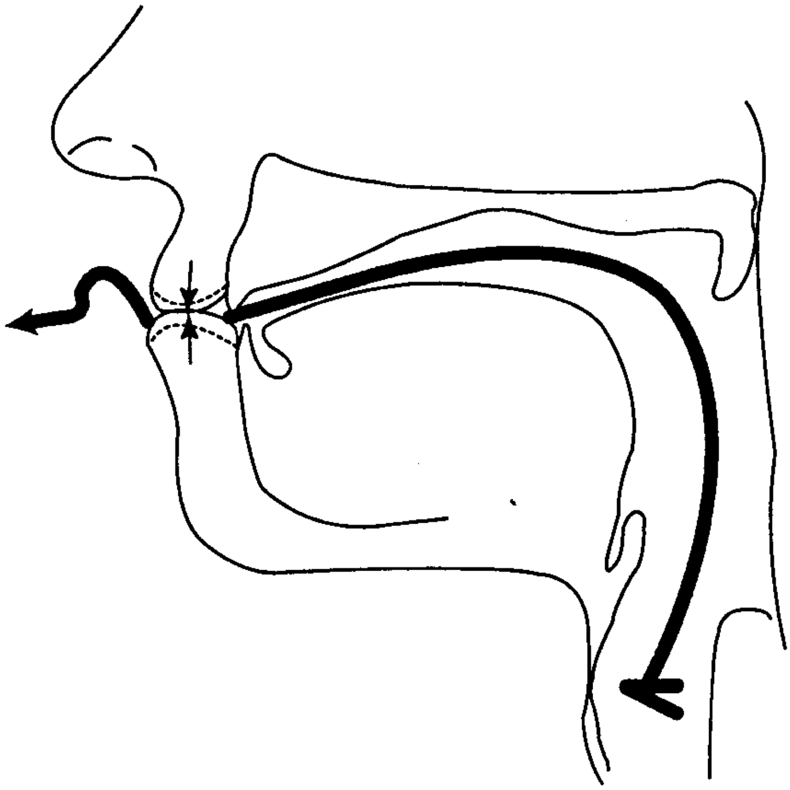
إن تسمية الحركات [9] الثلاث في اللغة العربية ترجع إلى حركات هوائيه عضوية وصوتية للسان والشفتين ـ فإذا استعلى اللسان نحو مؤخر الفم وقع رفع وضمت الشفتان تلك هي الضمة.

وإذا انخفض اللسان نحو مقدم الفم وقع خفض وكسرت الشفتان تلك هي الكسرة.

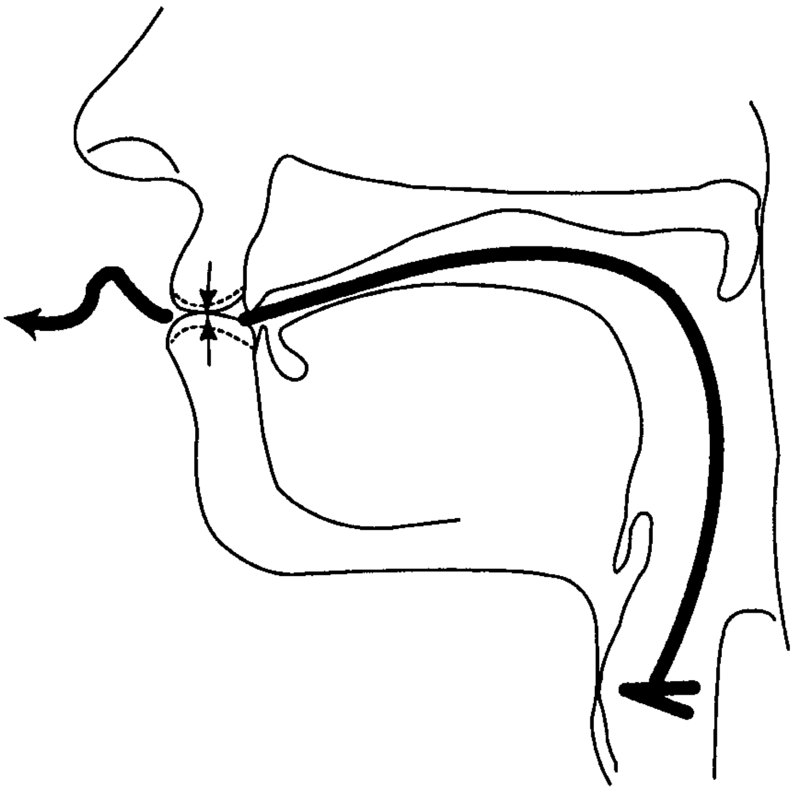
أمّا الفتحة فينتصب فيها اللسان وسط الفم وتفتح الشفتان كما أسلفنا أوسع الأصوات مخرجا وهي كلما مجهورة ولتوضيح كل هذه الأوصاف والخصائص الفيزيولوجية للأصوات، تقم هذه الرسومات اقتبسناها من مؤلف Album phonétique G SLATKA [10].



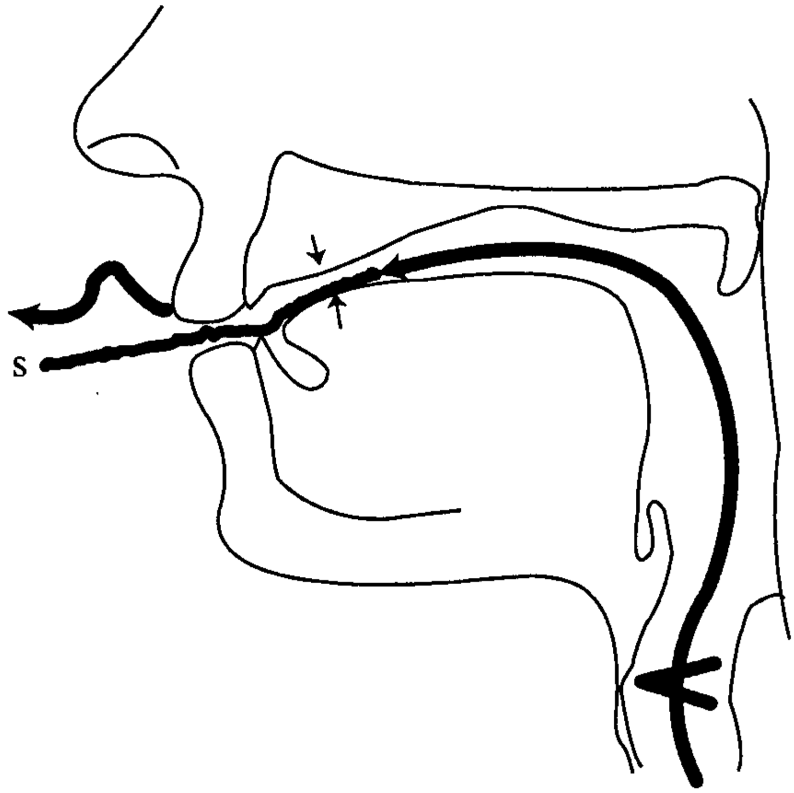
الصوت الجامد الشديد المجهور الأغنّ (م) : (*m*)



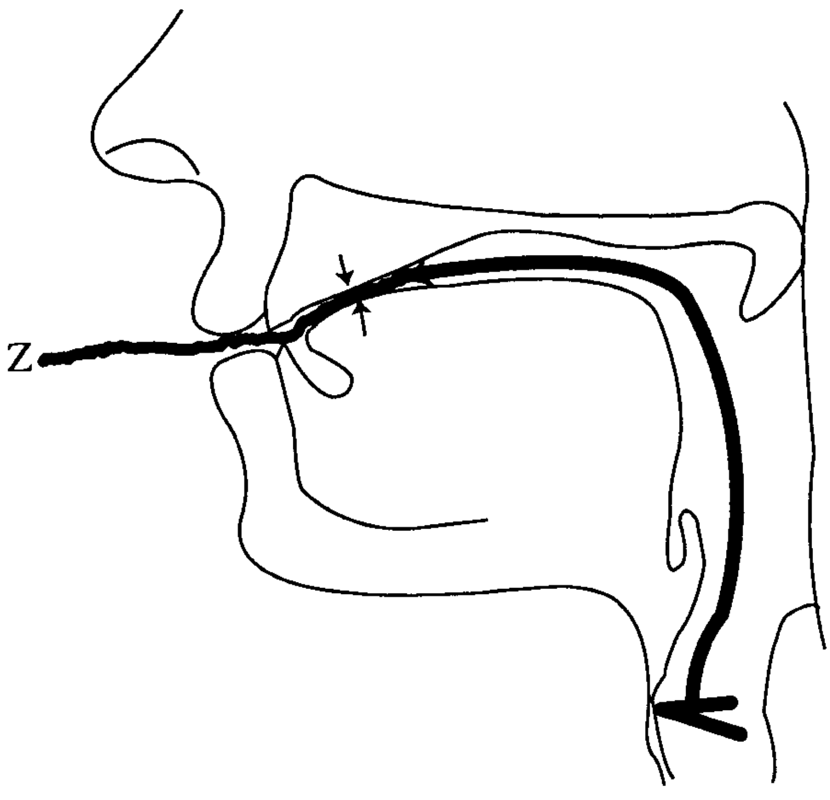
الصوت الجامد الشديد المهموس :(p)



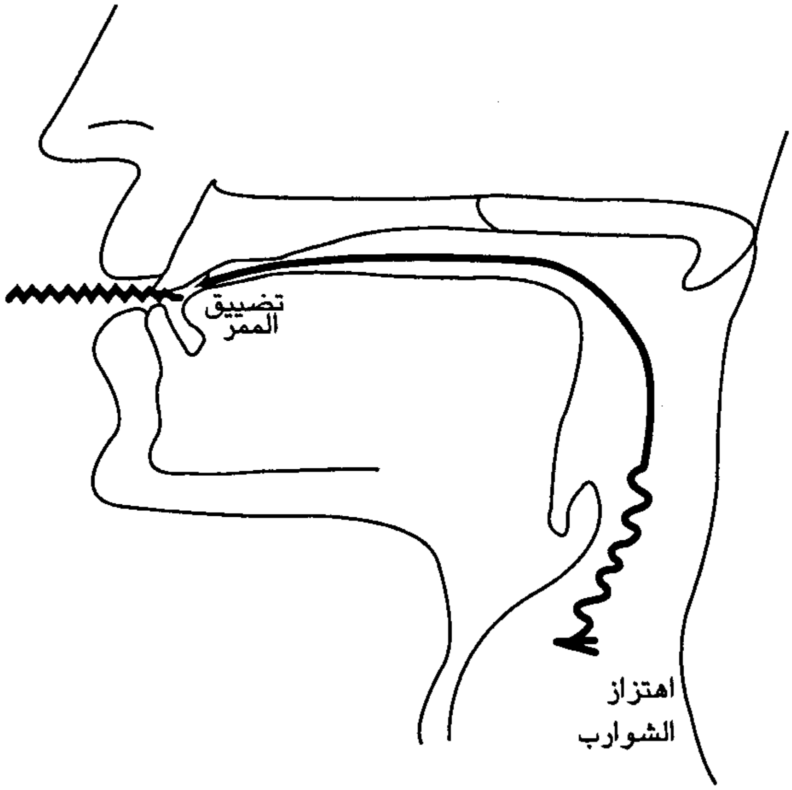
الصوت الجامد الشديد المجهور : (ب)–(b)



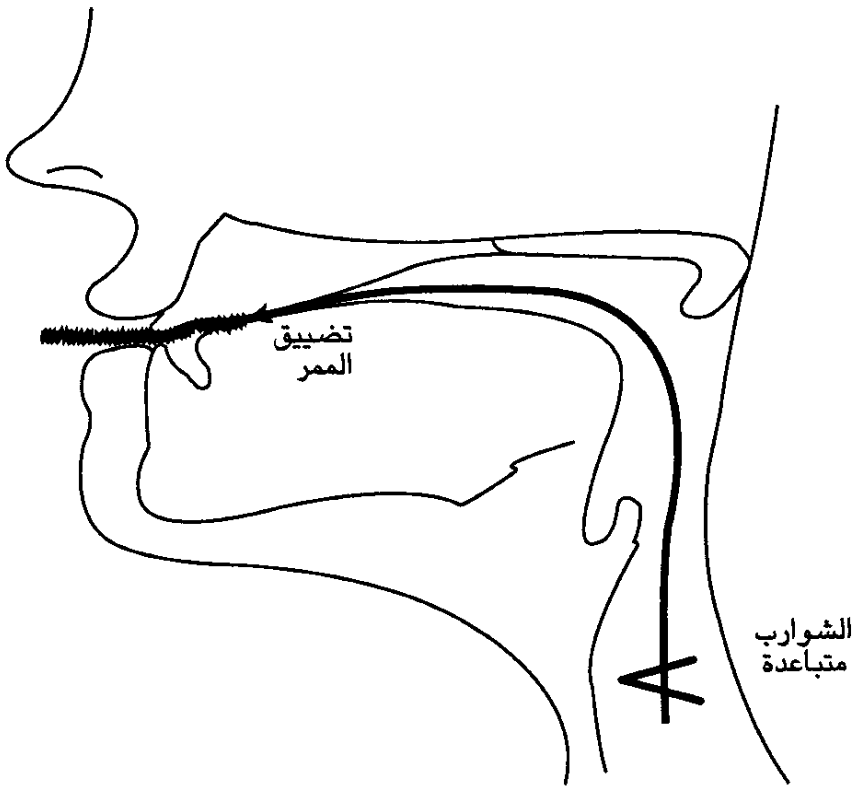
الصوت الجامد المهموس الرخو : (س)-(s)



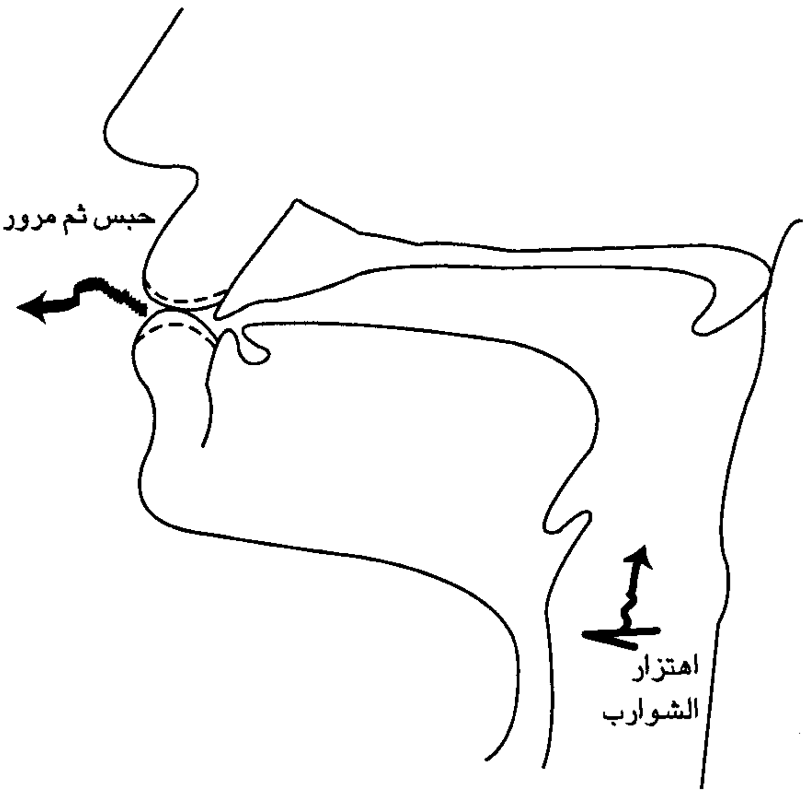
الصوت الجامد المجهور الرخو : (ز) – (Z)



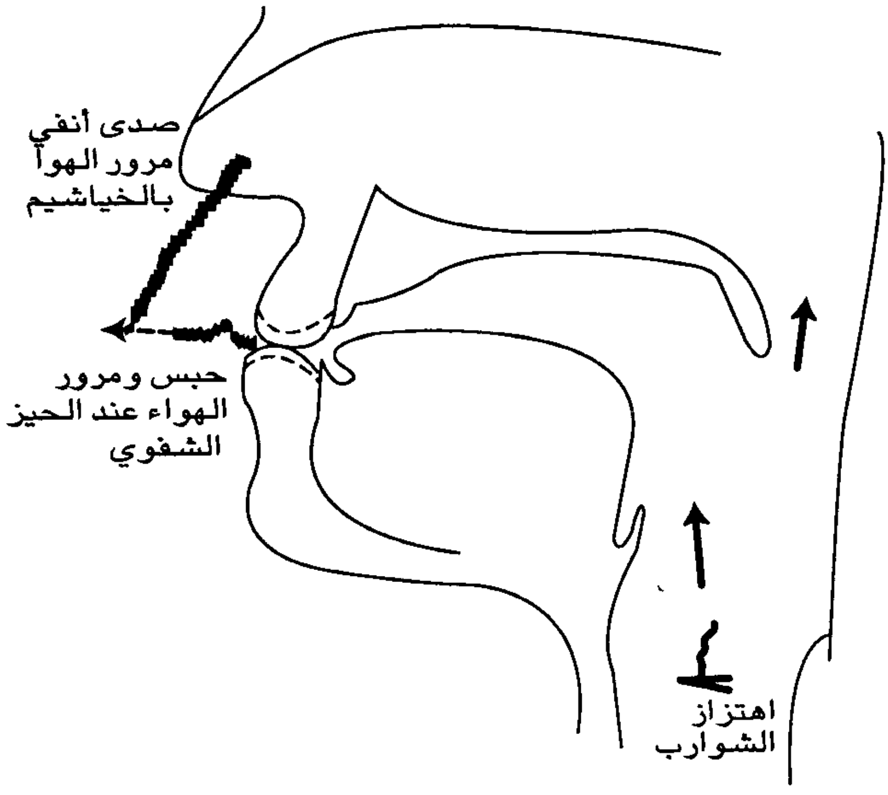
– الصوت الجامد [التسريبي المجهور
الرخو الزاي [z]



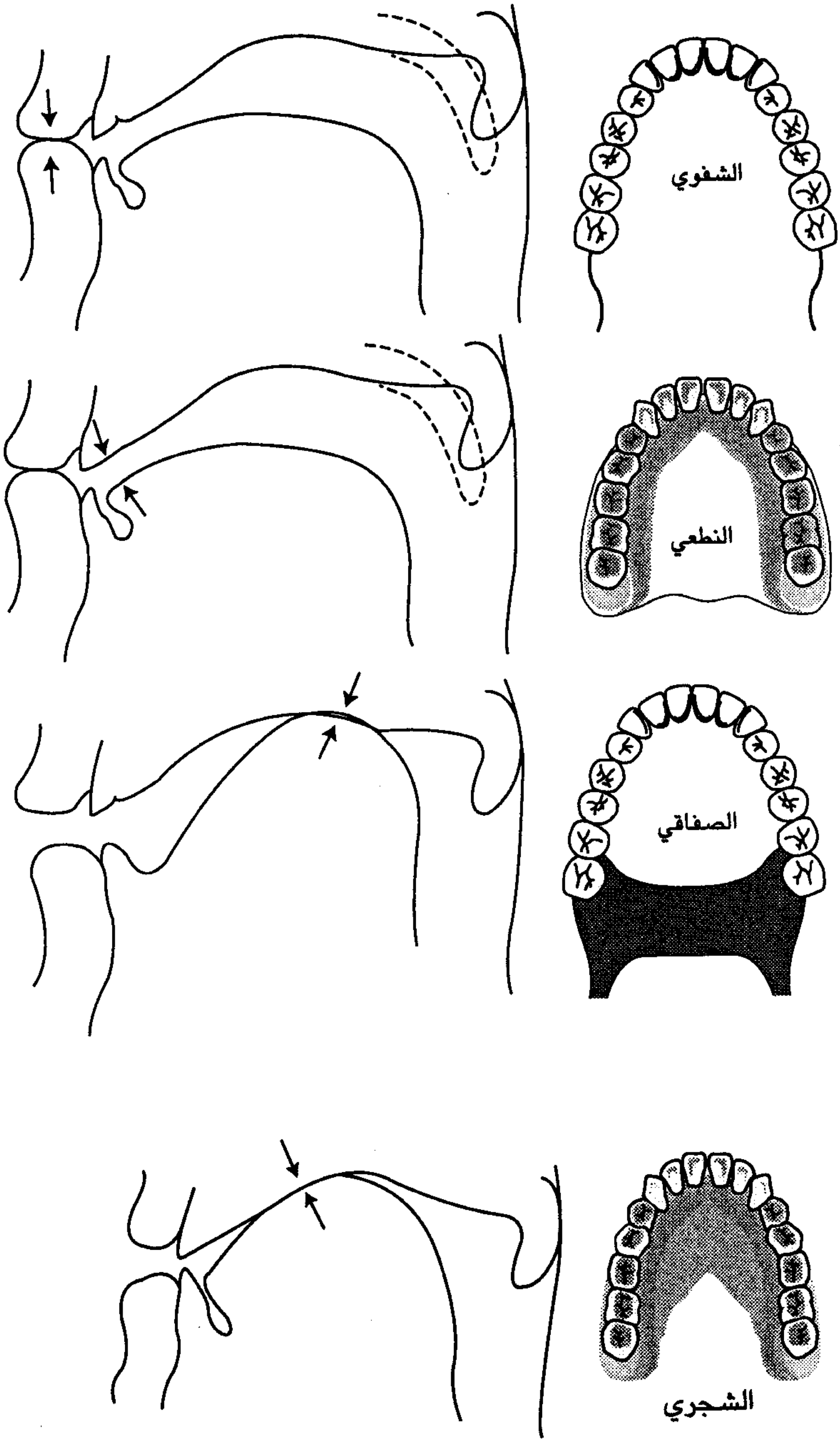
الصوت الجامد التسريبي المهموس الرخو السين [s]



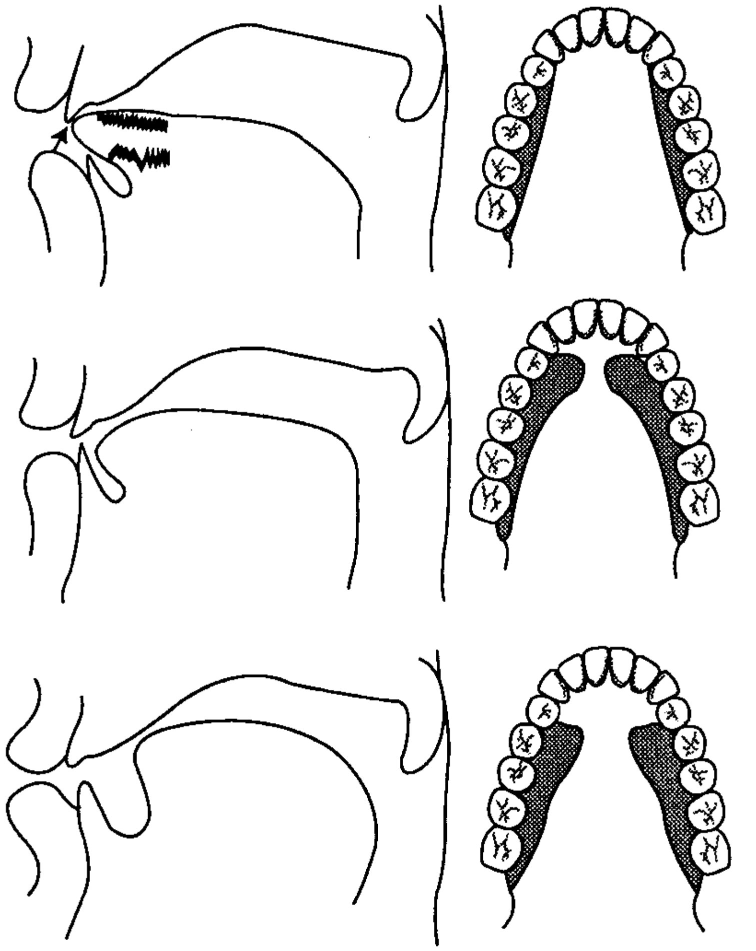
الصوت الجامد الشديد المجهور الحبسي ب [b]



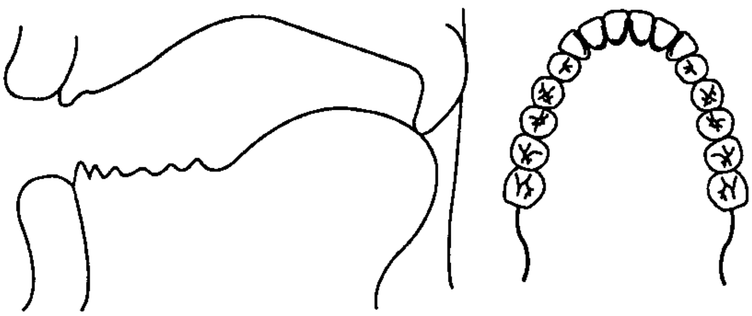
الصوت الجامد الشديد المجهور الأغنّ الحبسي وهو بيني م [m]



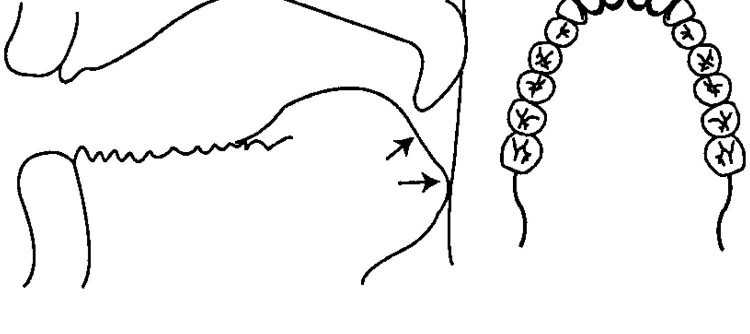
الشجري من الحبسيات



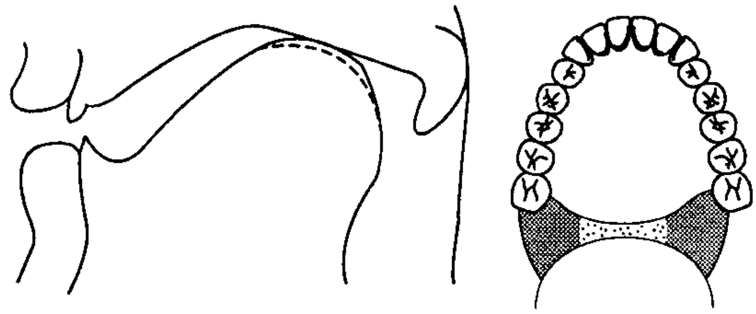
ثلاثة أصناف من الحروف التسريبية



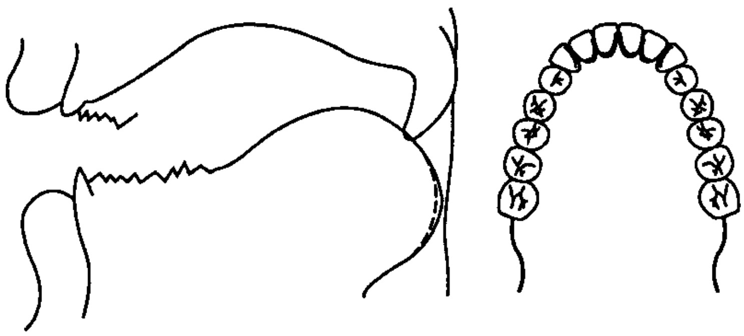
اللهوي – الحبسي



الحلقية التسريبية

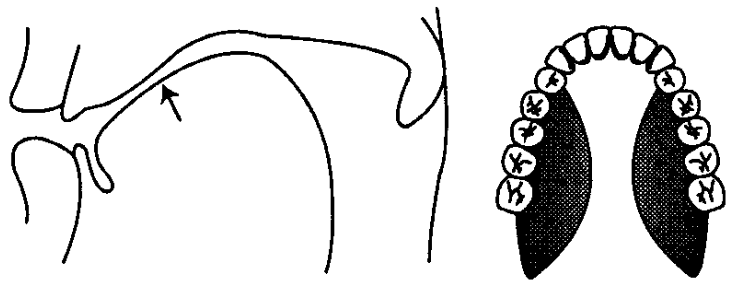


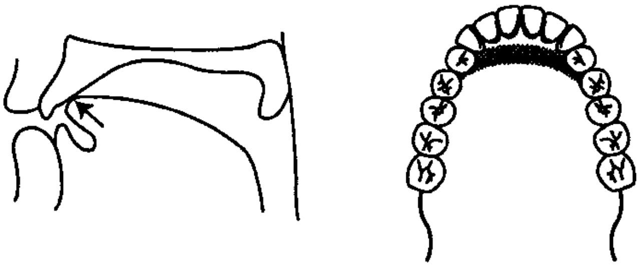
(1) عندما تنطق شجرية عند بعض الناطقين
وفي جوار بعض الأصوات الأخرى



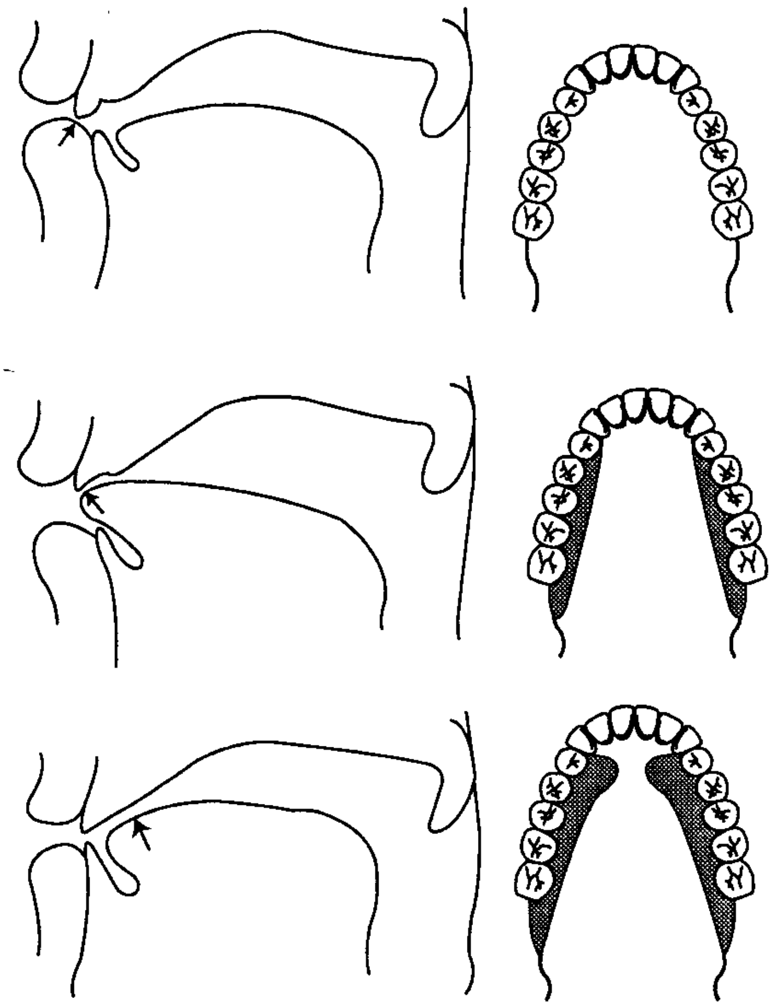
(2) عندما تنطق من أعلى الحلق أو أدناه
و هذا هو الوصف الشائع الغين





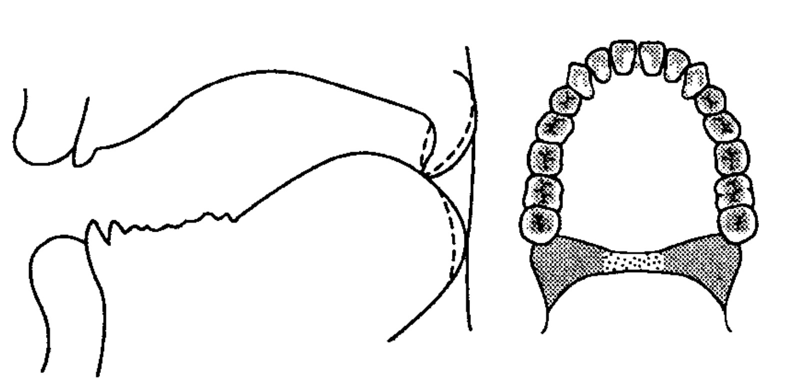


التسربية : بين الأسنان والشجرية و المنحرفة



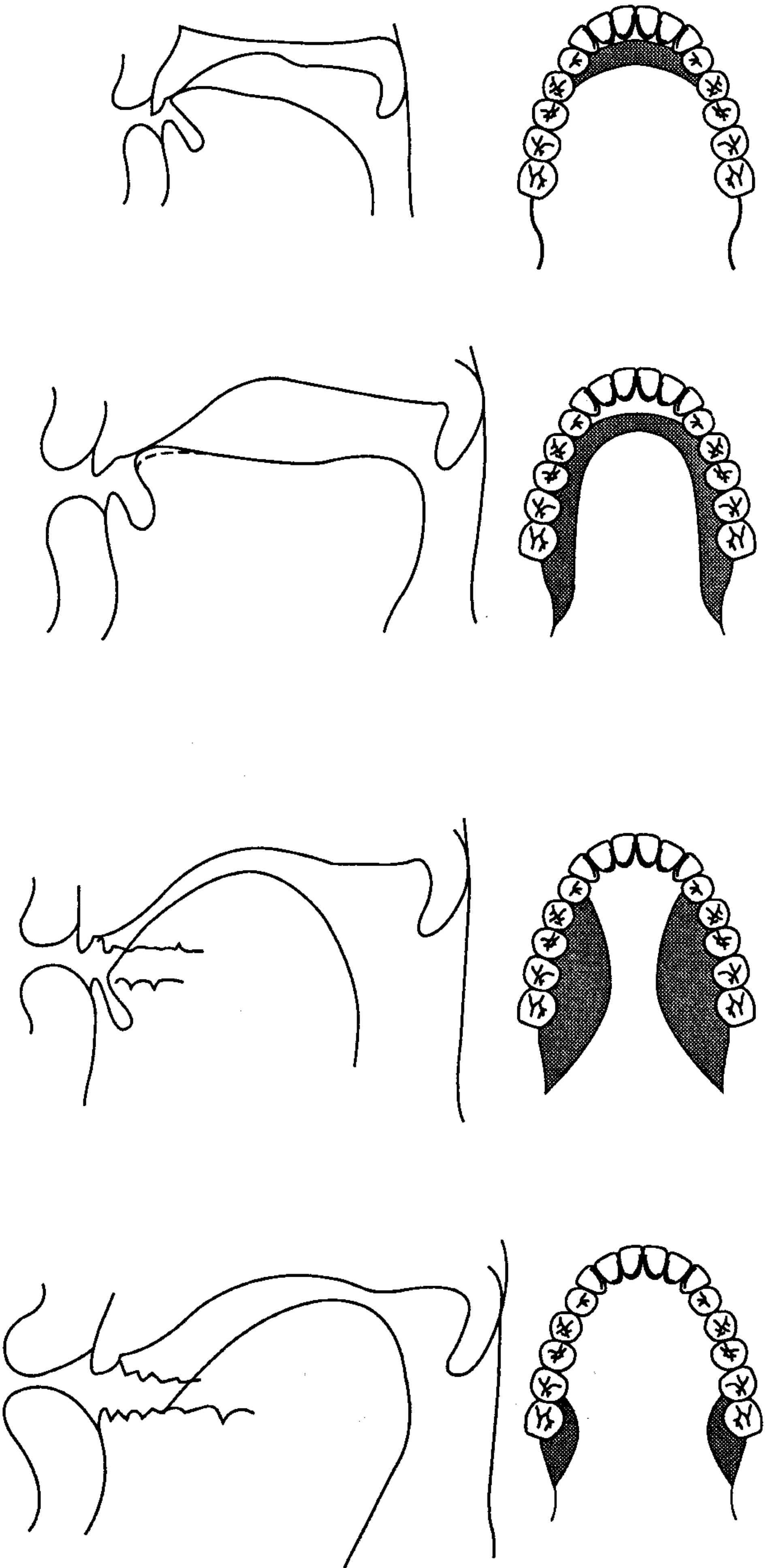
التسريبات : الشفوية الأسنانية و النطعية



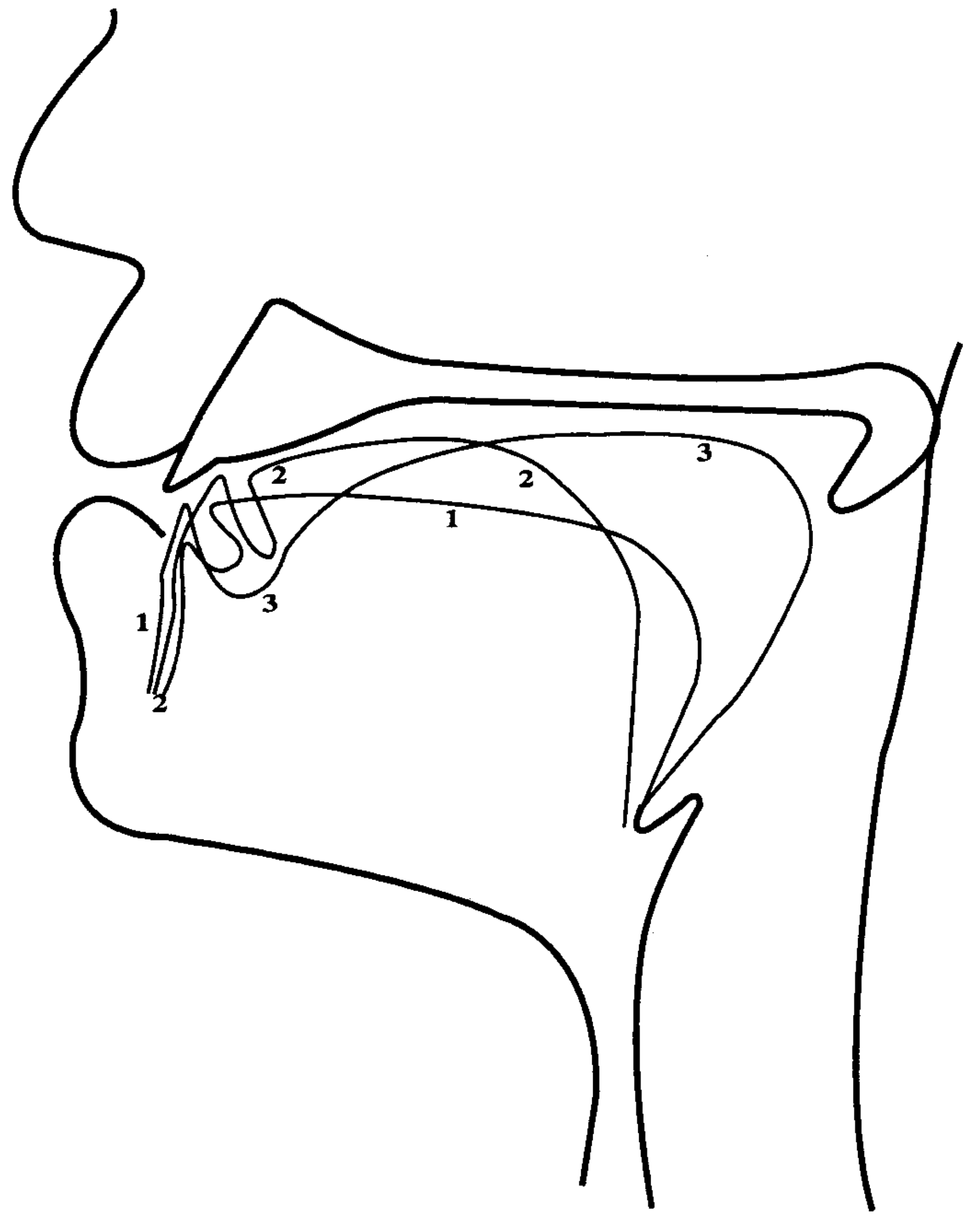


عندما تنطق لهوية

المكرّرة



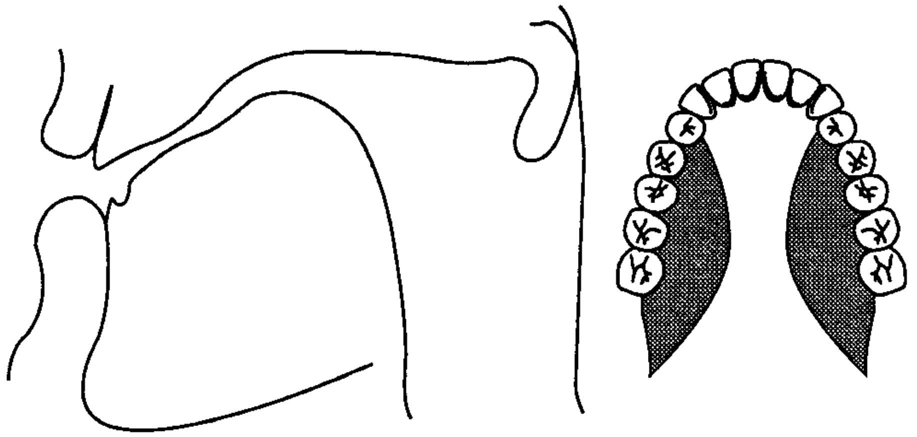
حرفان ليّنان : الواو و الياء



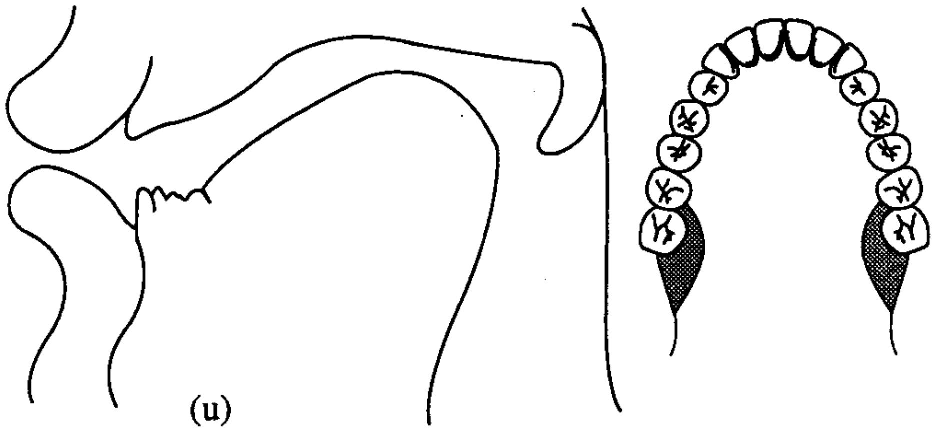
المصوتات العربية : 1– الفتحة

2– الكسرة مع إظهار حركة اللسان

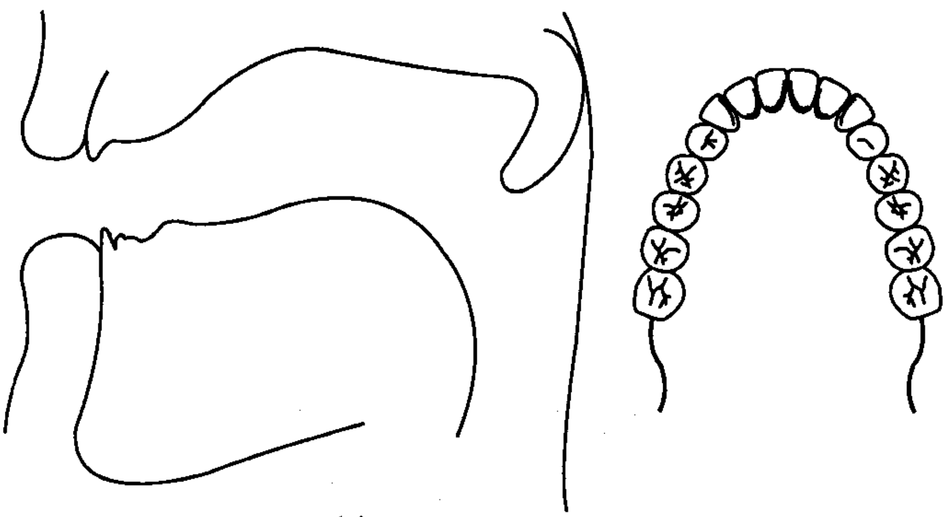
3– الضمة الخلفية و الأمامية.



(i)



(u)



(a)

الصوتيات الوظيفية : الفونولوجيا

إن وصف الأصوات اللغوية يعمل على تحديد مخارجها وصفاتها بدقة ذلك جيدّ وممتاز ولكنه غير كاف لأن اللغوى يريد أن يكتشف العلاقات التي تربطها ببعضها البعض داخل النظام اللغوي وأن يحدد منزلتها من هذا النظام والوظيفة التي يؤديها عند التبليغ.

هذا هو موضوع جزء هام من الدراسات الصوتية يعرف بالصوتيات الوظيفية [11] التي تعتمد في ذلك على الحقائق التي توصل أو تتوصل إليها الأقسام الأخرى من الدراسة الصوتية الفيزيائية والفيزيولوجية.

حقائق صوتية : حقائق حرفية مفهوم الحرف

من الحقائق التي أقرّتها الصوتيات الفيزيولوجية وهي تختص بالخصائص الفيزيولوجية للأصوات اللغوية أن مخارج هذه الأصوات عدة وكذلك هو الحال بالنسبة للصفات أي كيفيات الحدوث وأن الجهاز الصوتي البشري يقدر على النطق بالعديد من الأصوات لكننا نجد، في الواقع، أن كل لغة تستغل من هذه الإمكانيات إلاّ عددا يسيرا وقليلا إذ أنها تنتقى المخارج والصفات التي تناسب هيكلها ونظامها.

يغربل النظام اللغوي الإمكانيات الصوتية الموجودة والكامنة في الطاقة اللغوية ولا يبقى إلا على الإمكانيات التي تتقابل التقابل الذي تحصل به الفائدة في التبليغ أي بعبارة أخرى تنتقي اللغة من بين الإمكانيات الصوتية عددا محدودا من التقابلات التي تميز الأدلة اللغوية فيما بينها وينتج عنها فائدة وتبليغ.

والتقابلات التي تحصل على مستوى الأصوات مبنية على مبدأ هام جداً في الدراسات اللسانية الحديثة هو مبدأ الفضيلة الذي تميز بواسطته الحقائق الصوتية البنوية عن الحقائق الصوتية المادية، الحقائق الحرفية عن الحقائق الصوتية[11].

فالشيء الذي يميز الحرف أو ذات الحرف ينحصر في صفات خاصة يختص بها حرف دون الحروف الأخرى تسمى الصفات الذاتية بهذا الحرف المميزّة له عن بقية الحروف ولا تزول هذه الصفات فإذا زالت زال الحرف وهي التي تتدخل في التبليغ وتميز بين المعاني.

وقد سمي اللغويون العرب هذه الصفة الذاتية الفضيلة وهي الصفة المميزة للحرف كأن نقول مع رضى الدين الاستربادي «فضيلة الضاد الاستطالة، وفضيلة الواو والياء اللين، وفضيلة الميم الغنة، وفضيلة الشين التفشي والرخاوة ... وفضيلة التاء التأفيف وهو صوت يخرج من الفم مع النطق بالفاء وفضيلة الراء التكرير...» [13] وفضيلة الزاي على الصاد الجهر الخ ومبدأ الفضيلة مبدأ أساسي تبنى عليه كل التحليلات اللغوية إلا أن الصوتيات المحضة (الفيزيائية والفيزيولوجية) لا تلتفت إليه لأنها تهتم بالأصوات في ذاتها أي من حيث ماهيتها الفيزيائية الفيزيولوجية وكيفية حدوثها ولا تميز بين الصفات الذاتية والعرضية.

بما أنّ الصفات الذاتية هي التي تميز بين العناصر الصوتية فتجعل منها أجناسا من الأصوات المتمايزة فإنه يمكن حينئذ لصوتين مختلفين أن يدخلا في جنس واحد من العناصر الصوتية ولا ينجر عن ذلك تغيير في المعنى ولا في الاستعمال مثل صوت القاف والقاف في كلمة قال أو ڨال خلافا للكلمتين التاليتين قليت وڨليت اللتين تفيدان معنيين وهما القلي في الزيت والشواء على النار . فكل هذه التأدبات تدخل في جنس واحد، كل هذه المخارج تندرج في جنس واحد في حرف واحد.

والحرف في اللسانيات الحديثة هو صورة وهيئة لجميع الأصوات التي تندرج في جنس واحد من التأديات الصوتية المادية. فهو ظاهرة مجردة ترجع إلى النظام اللغوي أمّا الأصوات المختلفة فهي ظواهر كلامية مادية، مجموعة من الصفات والمخارج.

وقد عرّفه ياكبسون قائلا «الحرف حزمة من الصفات الذاتية» [14]

الحرف حقيقة صورية ضمنية لا يتحقق وجودها إلا بمقابلتها لغيرها من الحقائق في مستواها.

كيف يتوصل الباحث اللغوي إلى تشخيص حروف لغة من اللغات ذلك ما سنعرفه الآن ؟

التحليل الصوتي الحرفي للألسنة البشرية

الحرف كما سبق أن عرفنا ذلك هو أصغر قطعة يصل إليها التحليل ولا تدل على معنى وأنه يندرج في المستوى الثاني من التقطيع المزدوج.

كيف يحلل اللغوي هذا المستوى وما هي المناهج التي يستغلها ليتعرف عن حروف لغة من اللغات وما هي الطريقة المعتمدة في ذلك!

ينطلق اللغوي من جمع مجموعة من النصوص الصائتة المسموعة المدونة[15] ويعمل على نسخها بالكتابة الصوتية [16] التي تعطي لكل صوت رمزا خاصا به ثم يسلط عليها أدواته العلمية ويكشف عن أسرارها.

يقطع هذه النصوص ليصل إلى أصغر القطع غير الدالة الموجودة فيها ثم يحصيها مرتبا إياها من حيث الشبه والاختلاف في المخرج أو الصفة أو فيهما معا فتتضح له الفوارق الموجودة بينها والتي تبني كما بينا على الصفات الذاتية ومبدأ الفضيلة التي توظفه هذه اللغة فتبرز بذلك التقابلات الصوتية الوظيفية التي تشكل النظام الصوتي الحرفي لتلك اللغة ـ هذا النظام الصوتي الحرفي يصور شبكة العلاقات التي تندرج فيها الحروف على محوين محور أفقي ترتب هذه الحروف حسب مخارجها ومحور عمودي هو محور صفاتها وعند تقاطع المحورين نجد إحداثية الحروف المختلفة حيث أن لكل حرف إحداثيته (أنظر تصوير هذا النظام في الجداول الموجودة في آخر الفصل).

وكل ما خرج من الأحداث الصوتية عن هذا النظام يعتبر حقيقة كلامية تأدية فرعية للحروف المثبتة في النظام وهذه الحقائق الكلامية تسمى في

الاصطلاح اللغوي تنوعا [17] وهذا التنوع والاختلاف في تأدية الأصوات يحصل في النطق لا يمس كيان اللسان ولا يخل بالعلاقات الوظيفية البنوية لا ينتج عنه تميز في المعنى.

والصفات التي تتصف بها الأصوات عند تنوع أدائها صفات عرضية لا تؤدي وظيفة تبليغية بل تزول إذا زالت شروط وجودها وظروفه ـ والتنوع نوعان.

1) التنوع التركيبي

ويقال عنه أيضا إنّه اضطراري، يحصل عند تركيب الحروف في الكلمة فيؤثر كل صوت في الآخر، وهذه التأثيرات ناتجة عن التفاعلات بين الأصوات داخل مدرج الكلام والأمثلة كثيرة عن هذا التنوع نجد الكثير منها في كتب اللغويين العرب وكتب القراءات مثلما تستعمل في كلامنا اليومي العادي ؛ لن نذكر منه إلا بعض الأمثلة مثل قلب النون ميما في عنبر فتنطق عمبرا فالباء هي التي أثرت في النون.

وأشربت النون بشفوية الميم وهي التي تتفق معها في الغنة فقلبت النون ميما.

* قلب الجيم شينا في اجتماع فتنطق اشتماع. هنا التاء المهموسة أثرت في الجيم المجهورة أفقدتها جهرها والصوت الشجري المهموس الذي يقابل الجيم هو الشين فقلبت الجيم شينا.

* قلب الزاي صادا في قصدير فتنطق قزدير، في هذه الكلمة تتأثر الصاد بجهر الدال فتقلب زايا وهي من نفس مخرجها ولكنها مجهورة مثل الدال.

من الظواهر المعروفة للتنوع التركيبي إمالة الفتحة نحو الكسرة والنطق بالضمتة مفخمة بجوار حرف مفخم أو بجوار الرآء مثلا.

التنوع الحرّ

يرجع ظهوره إلى استعمال الفرد أو الجماعة أي تأدية الفرد أو الجماعة للغة

التنوع الفردي

يتمثل في النطق الخاص بفرد واحد والواقع ليس هناك ناطق يؤدي الأصوات بنفس الطريقة التي يؤديها غيره وهذا شيء أو ظاهرة طبيعية فلكل انسان عاداته اللفظية ـ ولكن توجد من التنوعات الفردية ما يعتبر عيبا نطقيا مرضيا أو انحرافا عن النطق العادي ويسمى في تلك الحال لثغة كأن يستعصي على الفرد النطق بالراء فيقلبها غينا أو النطق بالشين فيقلبها سينا أو زايا إلخ.

التنوع اللهجي

هذا التنوع خاص بجماعة من الناطقين قليلة الأفراد أو كثيرة إذا تؤدي هذه الجماعة صوتا من الأصوات بطريقتها الخاصة وغالبا ما ترجع أسباب هذا التنوع إلى عوامل اجتماعية وتاريخية. نذكر من الأمثلة لهذا التنوع اللهجي توزيع التأديات الخاصة بالقاف في الرقعة الناطقة باللغة العربية نجد أن الحواضر الكبرى المتحضرة أو التي وصلت في فترة من تاريخها إلى درجة عالية من الرقي والعمران تنفرد بنطقها القاف همزة وهي من الغرب إلى الشرق من الوطن العربي فاس وتلمسان والقاهرة وبيروت فدمشق أما النطق بالقاف مجهورة أي ڤ فنجدها في البوادي والأرياف ويبقى النطق بالقاف مهموسة في المناطق الأخرى حواضر وقرى كثيرة [18] والجدير بالملاحظة أن هذا التنوع لا يحصل بكيفية عشوائية بل يخضع هو الآخر إلى ضوابط وقوانين لغوية فمثلا نجد أهل الصعيد والبوادي في مصر الذين لا ينطقون بالجيم حبسية أي ما يشبه القاف ينطقون القاف ڤافا أمّا أهل مصر الذين يؤدون القاف همزة أو قافا فهم الذين يؤدون الجيم حبسية أي على الطريقة المصرية كما يقال.

قريبا منا في الجزائر نجد أن أهل الأغواط وضواحيها الذين يقلبون الغين قافا لا يخلطون بين القاف الأصلية وهذه بل يقلبون القاف الأصلية ڤافا. وذلك كله ناتج من اتقاء الوقوع في اللبس ولأن النظام اللغوي مبني دائما على التقابل والاختلاف والتباين.

النظام الصوتي للغة العربية : جدول المقابلات الحرفية كما وصفه سيبويه

I الحروف الأصول[1]

العضو المصوت	الذوائب (4) (= الخروف الهوائية المصوتة)	صفات الحروف (كيفية حدوثها) - الحروف الجوامد (3): المفخم	المجهور	المهموس	الأغن	اللين	المنحرف	المكرر	المخرج
شوارب أو لسان المزمار[2] الأوتار الصوتية	أ		ء	هـ					أقصى الحلق (= الحنجرة)
الحلق			ع	ح					وسط الحلق
			غ	خ					أدنى الحلق
عكدة = (أقصى اللسان)		ق G̣							اللهاة
ظهر اللسان				ك					أقصى الحتك
حافة اللسان		ض اِل							الأضراس العليا حتى الثنايا

ظهر اللسان	ي (المدية)		ج (gy)	ش		ي			وسط الحنك
عكدة اللسان وطرفه							ل		الأضراس حتى الثانيا
فويق طرف اللسان								ر	فوق الثنايا
					ن				فوق الثنايا
طرف اللسان = الذولق		ط ḍ	د	ت					بأصول الثنايا
		ص	ز	س					فويق الثنايا
		ظ	ذ	ث					أطراف الثانيا
الشفة السغلى				ف					
الشفتان	و المدية		ب		م	و			الشفتان

1 هي الحروف التوام أي التي لها صوت ندي في السمع ويقع بعضها موقع بعض في المادة الأصلية للكلمة. وتقابلها الحركات هي حروف صغيرة ناقصة بهذا الاعتبار أي من حيث تملكها الصوتي السمعي وهي أبعاض حروف المد التوام.

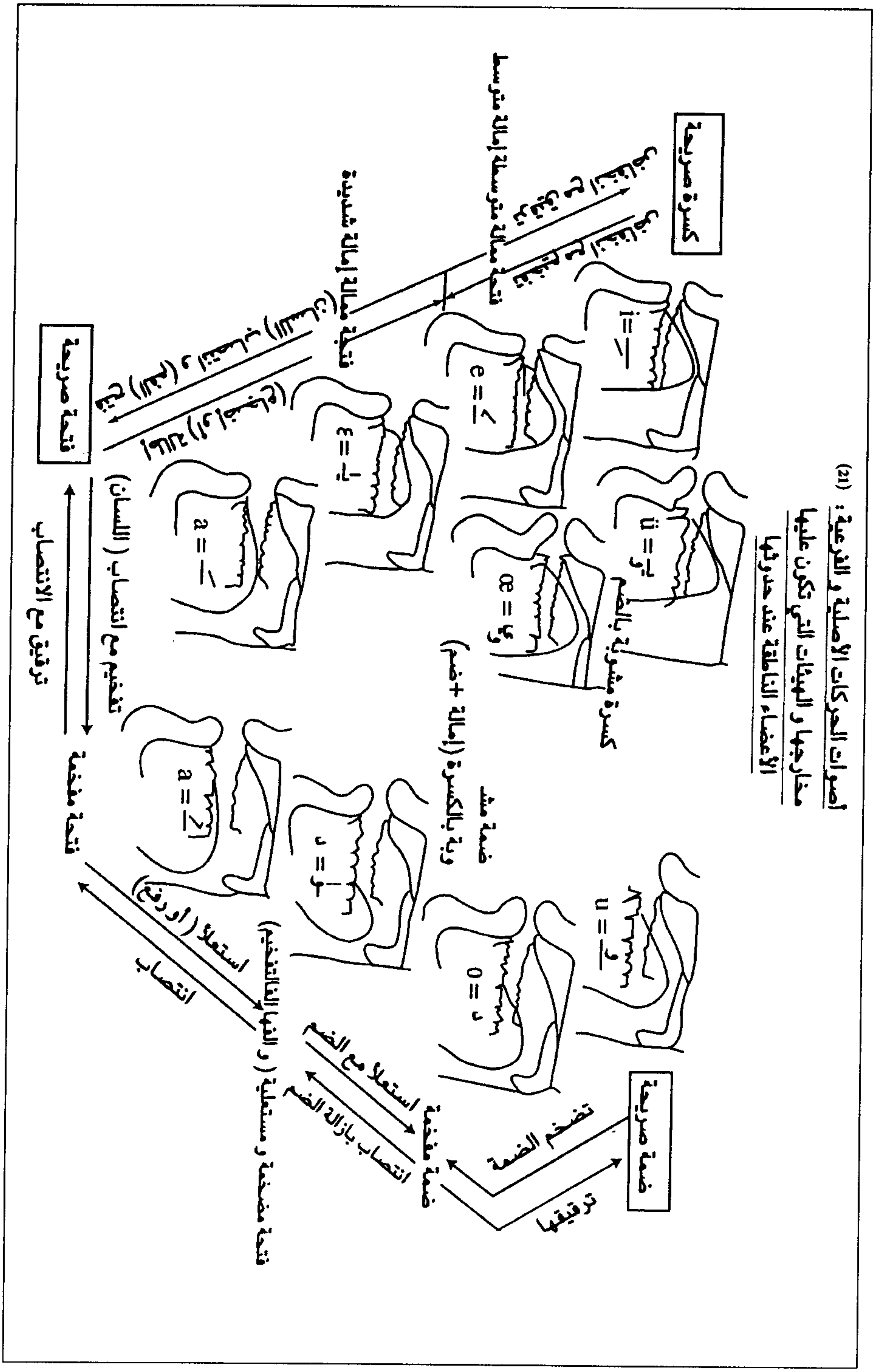
2 لفظ «الشوارب» أورده الخليل في كتاب العين ولم يذكره سيبويه وأما لفظ «لسان المزمار» فهو ترجمة قديمة لجاليونوس *glottis*.

3 هي الحروف التي سماها اليونانيون *anohpa* = الضوامت (بالفرنسية : *consonnes*)

4 هي القطع الصوتية التي يمدها صوت الحركات. ومجموع الحركة ومدتها تسمى «مصوتا ممدودا» عند الفرنسية *voyelles longues* وأصوات الحركات هي *voyelles brèves* وأما الحركة في ذاتها فهي مفهوم أوسع.[19]

المخارج / الصفات			الشفوي		النطعي (الذولف = طرف اللسان)					الشجري	الصفاقي	اللهوي	الحلقي		
			الشفتان	الشفة السفلى مع أطراف الثنايا	أطراف الثنايا	أصول الثنايا	فويق الثنايا اللثة	فويق الثنايا	الأضراس حتى الثنايا	ظهر اللسان	العكدة	العكدة	أدناه	وسطه	أقصاه
الحروف اللينة			و							ي					
الجوامد	الحبيسة	المفخمة: المجهورة				ض									
		المفخمة: المهموسة				ط						ق			
		المرققة: المجهورة	ب			د				ج					ء
		المرققة: المهموسة				ت					ك				
	التسريبية	المفخمة: المجهورة			ظ								غ		
		المفخمة: المهموسة					ص						خ		
		المرققة: المجهورة			ذ		ز							ع	
		المرققة: المهموسة		ف	ث		س			ش				ح	هـ
	البينية	الغنة	م					ن							
		التكرار						ر							
		الانحراف							ل						

النظام الصوتي الحرفي للغة العربية [20]


أصوات الحركات الأصلية و الفرعية: (21)
مخارجها و الهيئات التي تكون عليها
الأعضاء الناطقة عند حدوثها
كسرة صريحة
فتحة ممالة متوسطة إمالة متوسط
فتحة ممالة إمالة شديدة
فتحة صريحة
ضمة صريحة
كسرة مشوبة بالضم
ضمة مشوبة بالكسرة (إمالة + ضم)
تفخيم مع انتصاب (اللسان)
ترقيق مع الانتصاب
فتحة مفخمة
استعلاء (أو رفع)
انتصاب
استعلاء مع الضم
انتصاب بإزالة الضم
ضمة مفخمة
تضخم الضمة
ترقيقها

ظواهر ما فوق التقطيع : النبر والتنغيم

تسلسل الوحدات اللغوية، مثلما تبينا عند كلامنا عن البعد الخطي الدليل اللغوي وعن التقطيع المزدوج، في ظهورها الواحدة تلوى الأخرى لتشكل وحدات أكبر وفق ما اعتدنا نسميه السلسلة الصوتية أو مدرج الكلام الذي يصوّر عند الكتابة بالسطر على الورقة.

ولكن هناك من الظواهر اللغوية ما لم يظهر على مستوي مدرج الكلام فقد يختفي عن الظهور ماديا ويبقى معناه موجوداً وهذا سنعرض له في الفصل الموالي وقد يكون له وجود مادي صوتي ولكنه ليس ظاهرا بالكيفية التي تظهر بها الحروف والأصوات عند تركيبها ضمن التقطيع وسميت هذه الظواهر في المصطلح اللساني ظواهر ما فوق التقطيع وكذلك ظواهر النبر والتنغيم (التطويح عند الأستاذ الحاج صالح) [22] التي تضاف إلى وحدات التقطيع المزدوج في مستويه الأوّل والثاني معتمدة على الخصائص الفيزيائية للصوت اللغوي كالطبقة والشدّة والجرس والمدة [23] وهي :

التنغيم

يظهر من خلال تغيرّ طبقة الصوت حيث يحصل تموّج نسميه التنغيم وهو حاصل على مستوى الجملة حيث يتغير التنغيم في العلو والانخفاض فنجد مثلا أن الجملة المثبتة تكون ثابتة التنغيم في حين أنه يرتفع في الجملة الطلبية ويرتفع أكثر بالنسبة للجملة التعجبية. وهذا يحصل بالنسبة للكلام المنطوق الملفوظ حيث تنوب عنه في الكتابة علامة الإعجام والتنقيط.

ويخبرنا التنغيم أيضا عن هوية المتكلم، عن جنسه (حيث للنساء طبقة أرفع وصوتهن أحدّ)، عن سنه وعن حالته النفسية أو الجسمية ... نفهم من كل ما سبق أن للتنغيم دورا فعالاً في الكلام فقد يكون للتأكيد فقط في مثال هل تأتي ؟ أو في بعض الأحيان للتمييز وللإفادة تأتي ؟ [24]

النغمات

تعتمد هي الأخرى على الطبقة ولكنّها في اللغات التي تستعملها تكون دائما وظيفية أي أنّ دورها تمييزي في التبليغ والإفادة مثلما هو الحال في بعض

اللغات الزنجية في إفريقيا جنوب الصحراء أو في اللغة الصينية التي تختلف فيها السلسلة الصوتية *ma* (ما) بمجرد اختلاف النغمة من حيث الارتفاع أو الانخفاض والصعود أو النزول فعندما تنطق بنغمة مرتفعة موحدة تكون على الشكل التالي mā بمعنى «الأم، ماما»

و má بمعنى «القنّب» عندما تنطق بنغمة مرتفعة صاعدة ! و m̊a بمعنى «الحصان» عندما تنطق بنغمة منخفضة صاعدة ! وأخيرا mà بمعنى " سب"" عندما تنطق بنغمة منخفضة نازلة.[25]

النبر *L'accent*

يتمثل في إبراز مقطع باشتداد القوة الصوتية في موقع يحدَّدُ من خلاله في لغة معين ما يسمى بالوحدة النبرية. يمكن أن تطابق هذه الوحدة الكلمة مثلما هو الحال في الألمانية أو جزءا من الكلمة مثلما هو الحال في الإيطالية أو الجملة أو التركيب في اللغة الفرنسية. يبدو أنّ في العربية يبرز النبر مع المدّ في الحركات وإدغام الأصوات ممّا نرمز له في الكتابة بالشدّة.[26]

في اللغات التي تستعمل نبرا في موقع ثابت إذا أنّ النبر في اللغة التشيكية يقع دائما في آخر المقطع الأول دوره يكون مجرد دور تحديدي أي أنه يبرز حدود الوحدة اللغوية في حين أنّ في اللغات التي ينتقل فيها من موقع إلى آخر يكون دوره دوراً تمييزياً مثلما هو الحال في اللغة الإيطالية في المثالين التاليين

Princípi تعني الأمراء وتقابل Príncipi التي تعني «البداية» كذلك هو الحال في اللغة الإسبانية حيث أنّ

Término يعني «النهاية» ؟

و Termíno يعني «أنهي» ؟

وأخيراً Terminó يعني «أنهيتُ».

ودراسة هذه الظواهر التي يتولاها فرع من الدراسات الصوتية يسمى في المصطلح الأجنبي PROSODIE حديث العهد ولم يبلغ فيها الاهتمام الحدّ الذي بلغه في الدراسات الصوتية الأخرى ويقول BAYLON و FABRE في

هذا المجال أن العناية بها يجعلنا مضطرين إلى تغيير مفهومنا أو فهمنا اللغة حيث «إذا نقصر مصطلح اللغة على أداة تبليغ تتقطع تقطيعا مزدوجا وذات مظهر صوتي ملفوظ، فإننا نعتبر أن هذه الظواهر ثانوية. بالمقابل إذا اعتبرنا أن مدرج الكلام هو المعطى التجريبي الوحيد فلا بدّ أن نعْني بالتركيبات الحاصلة ضمن هذا المدرج نفسه دون تصنيفها فآنذاك تصبح الظواهر التنغيمية والنبرية أساسية... من ثمة لا يمكن لنا أن نجرّد إلا بصعوبة فائقة اللغة عن مسار الخطاب والقول والحديث»[28].

وقد لاحظنا أن هذه الظواهر تضاف لكل مستويات التقطيع اللغوي حيث أنها تساهم في تدعيم انسجام الكلام ولكنها في نفس الوقت تساعد على التعرّف عن مواقف المتكلّمين وسلوكهم وعواطفهم وبالتالي تشخيص الوظائف الأخرى للسان من خلال تنوع ظهورها من لسان إلى آخر[29].

الفصل الثاني
مستوى الكلمات أو الوحدات الدالّة

مفهوم الكلمة في اللسانيات الحديثة.

الكلمة هي القطعة التي تندرج في المستوى الأول من التقطيع المزدوج حيث إنها أصغر قطعة يصل إليها التحليل ممّا يدلّ على معنى [1].

وقد نعثر على تسميات عديدة لهذه الوحدة اللغوية : العنصر الدال، الوحدة المعنوية ، القطعة الدالة، أقل ما ينطق به ممّا يدل على معنى وقد تكون الكلمة مكونة من قطعة صغيرة جداً، مكوّنة من حرف واحد أو حرفين وقد تكون كبيرة الحجم فتتكوّن من عدد كبير من الحروف مثلما هو الحال بالنسبة لبعض اللغات كالفرنسية وأطول كلمة فيها Anticonstitutionnellement أو الألمانية التي تقبل كلمات أطول من ذلك في حين أن اللغة العربية تنفر من ذلك ولا تستسيغه.

تسمى الكلمة في اللسانيات الحديثة عند الفرنسيين أمثال مارتيني Monème « المونيم» وعند اللغويين الأمريكان «Morphème المورفيم» [2].

وقد تحدث سيبويه عن هذا النوع من الوحدات اللغوية في الأبواب الأولى من الكتاب وستكون لنا وقفة عند المفهوم العربي للكلمة في الصفحات التالية.

نودّ الآن أن نعرض ولو بكيفية موجزة إلى أهم الطرق التي حللت بها النظريات اللسانية الحديثة هذا المستوي من النظام اللغوي، ونقصر اهتمامنا على نظريتين ظنا منا أنهما تمثلان الاتجاهين الرئيسين في هذا المجال.

المدرسة الوظيفية وتحليلها لمستوى الكلمات في اللسان

إنّ صاحب هذه المدرسة وزعيمها هو اللغوي الفرنسي أندري مارتيني الذي أوضح أسسه فيما نشره من كتب ومقالات أهمّها مبادئ في اللسانيات العامة [3] وسميت هذه المدرسة بالمدرسة الوظيفية لأنّ الباحث فيها يحاول دائما أن يكتشف ما إذا كانت كل القطع الصوتية التي يحتوي عليها النص تؤدي وظيفة في التبليغ أم لا، يعني أنّه يبحث عن القطع التي تلعب دورا هاما في التمييز بين المعاني.

نفهم من ذلك أن هذه المدرسة تتخذ المعنى مقياسا هاما في تحليلها للنصوص الغوية وتعتبر أنّ المعنى يتغيّر بتغيّر اللفظ وهذا يقتضي شيئين في الحقيقة، إذا تغير المعنى فلا بدّ أن يتغير اللفظ وإذا ثبت على حال واحدة فلا بدّ أن يثبت المعنى كذلك.

وعلى هذا يجب على المحلّل أن يختار عددا من القطع الكلامية من مدوّنته. حيث لا تختلف ألفاظها ومعانيها إلاّ بالشيء القليل ثمّ يقارن بعضها ببعض لكي تستخرج منها الأجزاء الصغيرة التي تتحقق لفظها ومعنى أي الأجزاء المستمرة البنية والمعنى من جهة ثمّ القطع التي يتغير لفظها ومعناها من جهة. نمثل لهذا بتحليل نص من لغة إفريقية لقبيلة تعيش في شرق نيجريا (Ekpaye) وقد عمدنا اختيار نص من لغة بعيدة كلّ البعد عنا وعن اللغات المألوفة لدينا حتى تظهر الطريقة بوضوح [4]

اللفظ	المعنى
Edi (1)	يأكل
Edikpo (2)	ينتهي من الأكل
Edile (3)	أكل
Adikpole (4)	لقد انتهينا من الأكل
Edipohuo (5)	في وقت بعيد ينتهي من الأكل
Adigbale (6)	لقد أكلنا من جديد
Emekpohuole (7)	انتهى من عمله منذ مدّة طويلة
Amagbale (8)	عملنا من جديد
Amekpogbale (9)	انتهينا من عملنا من جديد

إذا قابلنا هذه القطع ببعضها البعض نلاحظ ما يلي :

(1) يقابل (3) من حيث زمن الفعل الحاضر والماضي فعلامة الماضي هي le وعلامة الحاضر هي علامة عدمية ⦰

(2) يقابل (5) وتظهر من جرّاء ذلك علامتان للمستقبل، مستقبل قريب وعلامته po ومستقبل بعيد علامته huo

(4) يقابل (6) فنجد أنّ kp يدل على انتهاء العمل و gb لاستئنافه من جديد.

(1) يقابل (4) من حيث الإسناد إلى الضمائر حيث أن e هو ضمير الغائب أمّا a فهو ضميرا المتكلّمين الجمع.

(6) يقابل (8) في معاني الحدث الذي يشير إليه الفعل إذ أنّ di معناه أكل و me معنّاه عمل.

(5) يقابل (7) وتتقابل فيهما الدلالة على الزمن البعيد في المستقبل وعلامتها huo بعلامة الزمن البعيد في الماضي huole فيعد التقطيع والاستبدال نحصل على الكلمات التالية :

po - huole - le - huo .o علامات الفعل الزمانية ؛

di - me أفعال ؛

kp - gb أدوات للفعل ؛

e - a ضمائر.

وعندما ما ينتهي المحلّل من استخراج الكلمات التي يشتمل عليها النّص يعمل على تصنيفها وتشخيص أنواع الدَّوال الموجودة في هذه اللغة ولكن قبل أن نتحدث عن هذه الأنواع لتفسيرها، نهتم بمدرسة لسانية أخرى اهتمت بتحليل الكلمات. وهي مدرسة أمريكية أي أنّها ظهرت في الولايات المتحدة.

المدرسة الاستغراقية أو القرائنية وتحليلها لمستوى الكلمات

لقد انبثقت اللسانيات الأمريكية من المجهودات التي بذلها اللغويون الأمريكيون في وصف اللغات الأمريكية الأصلية (لغات الهنود الحمر) وصفا موضوعياً.

وكانت هذه المحاولات الأولى لإجراء تحريات في عين المكان عويصة جداً حيث أن النظريات والمناهج التاريخية كانت مهيمنة على البحوث اللغوية وهي لا تنفع الواصف لأوضاع اللغة.

فاضطر الباحثون الأمريكان في البداية إلى ابتداع مناهج جديدة تناسب عرضهم وماهية تحوثهم ثمّ استنبطوا شيئا فشيئا من ممارستهم للعمل الوصفي مبادئ وقوانين نسقت في نظرية عامة تعرف بالنظرية الاستغراقية [5] وابتداء من سنة 1929 صارت اللسانيات الأمريكية تمتاز عن البحوث التي يقوم بها الأوروبيون وأخذت طابعها الخاص.

وقد بنيت هذه المدرسة اللغوية على أسس مغايرة تماما لما تعرّفنا عليه مع المذهب الوظيفي فإذا كان هذا الأخير يجعل من المعنى المقياس الحاسم للتمييزبين الوحدات المختلفة في كافة المستويات فالاسغراقيون ذهبوا مذهبا آخر إذ إنّهم ينفون للمعنى أي تدخل لأنّه ظاهرة لا يمكننا مشاهدتها مباشرة ولهذا يلجأ الإستغراقيون إلى مشاهدة السلوك اللغوي وما يصحبه من أحوال محسوسة متأثرين في ذلك بالنظرية التي كانت مستفحلة في الدراسات النفسية آنذاك وهي السلوكية [6].

كما أنّهم يرون أن المعاني تحدد بألفاظها فإذا جعلنا المعنى هو منطلقنا نقع في حلقة مفرغة وهم إذ يرفضون الإعتماد على المعنى في دراساتهم للغة يبتعدون عن الذهنية التي عرفت بها بعض اتجاهات البحث في اللغة في أمريكا خاصة عند اللغوي المشهور إدوارد سابير [7].

ففي نظرهم الطريقة المثلى التي ينبغي اتباعها في الوصف اللغوي طريقة صورية لا تهتم إلاّ بالوضع اللغوي والمظهر اللفظي للألسنة البشرية من جهة ومن جهة أخرى ترفض الاعتماد على مفهوم الوظيفة لأن هذا المفهوم مبهم ولا

يزال مبهما لأنّه من الأشياء التي يسلم بها اللغوي من خلال ما يعرفه عن اللغة المعنية.

تعتمد إذن هذه النظرية طريقة صورية في تقطيع النصوص اللغوية إلى وحدات متباينة تحدد بواسطة العلاقات الشكلية التي تربطها بالوحدات الأخرى في مدرج الكلام يعني أنها تحددسياقها اللفظي فقط حيث أنّ المبدأ الأساسي والذي سميت به المدرسة كلّها يقول إنّ لكل عنصر لغوي استغراقا قرائنيا ويتمثل هذا الاستغراق في مجموع القرائن والسياقات التي يمكن أن يظهر فيها ذلك العنصر في مواقع معينة من مدرج الكلام.

والقرائن جمع قرينة هي ما يحيط بالعنصر المعني يمينا وشمالا (أي قبله وبعده) في مدرج الكلام.

وهدف المذهب الاستغراقي هو إحصاء جميع هذه القرائن في المستوى الواحد فإذا أراد مثلا الباحث أن يتعرف على طبيعة كلمة الليل في ديوان امرئ القيس عليه أن ينظر في جميع الأبيات التي ظهرت فيها هذه الكلمة وإلى تغيّر مواقعها أو عدم تغيّرها ثمّ يحصيها كلها وبعد ذلك يستطيع أن يحدد استغراقها القرائني.

وبعد ذلك يعمل اللغوي على تصنيف هذه العناصر بوضع الشبيه مع الشبيه والنظير مع النظير إذ إن كل العناصر اللغوية التي تقع في نفس المواقع والسياقات تنتمي إلى نفس الصنف أو الجنس الاستغراقي.

وقد طبق اللغوي الفرنسي جان ديبوا هذه الطريقة على اللغة الفرنسية فنجده يقول مثلا «إذا اعتبرنا أصغر جزء مفيد من الكلام وهو الذي يتكوّن من وحدتين تركيبيتين إحداهما اسمية والأخرى فعلية فسنلاحظ أنّه ينقتسم أوّلا إلى قسمين : إحداهما [يمثل] جنس الأفعال ويتميز بما يقترن به من علامات وموقعه بالنسبة إلى المجموعة (الأخرى من الكلم). والآخر [يمثل جنس الألفاظ التي ليست بأفعال أي تلك التي لا تقع في موقع الأفعال في الجملة المفيدة. وهو أن القبيلان يتنافيان تمام المنافاة ويمكن أن ينقسم كل واحد منها إلى أنواع»[8].

فإذا نظرنا إلى جنس الصفات أو النعوت التي تحدد سياقاتها المخالفة لسياق الأسماء في اللغةالفرنسية يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أصناف هي على التوالي :

– صنف النعوت التي موقعها قبل الاسم Une demi - tasse (نصف فنجان)

– صنف النعوت التي موقعها بعد الاسم étude géologique (دراسة جيولوجية)

– وأخيرا صنف النعوت التي يتغير موقعها فيكون تارة قبل الاسم وتارة بعد الاسم

Une aventure extraordinaire, une extraordinaire aventure (مغامرة عجيبة)

لكن داخل الصنف الثاني يمكن الوصول إلى صنفين جزئين هما صنف الصفات التي تحتاج إلى فضلات وصنف لا يحتاج لها مثلا (مجروح) Bléssé أو Bléssé par أمّا الصنف الثالث فيجب فيه أن نحصي جميع السياقات لكي نكتشف ماهية كل وحدة فكثيرا ما ينتمي اللفظ الواحد إلى أكثر من جنس وتظهر معانيه حينئذ من سياقاتها المختلفة. فمثلا نجد أن في المثالين التاليين لنفس النعت معنيين مختلفين يحددان بقرائنهما المباينة La vie chère (للدلالة على ارتفاع المعيشة) و Mon cher ami للدلالة على الود والمحبّة [9].

أنواع الكلمات وأصنافها عند الغربيين

نستطيع من خلال الأمثلة التي حللت في الفصلين السابقين أن نشخص أنواع الكلمات وأصنافها أي أنواع الوحدات الدالة التي أقرّها الغربيون من خلال دراساتهم وتحليلاتهم.

وأوّل تمييز أجراه الغربيون عند تصنيفهم لأنواع الكلمات هو التمييز بين الكلمات ذات القوائم المفتوحة والعدد اللامتناهي أي الوحدات المعجمية أو الأوضاع كما يسميها اللغويون العرب مثل ولد، قط، فر، كلب ...إلخ

والكلمات ذات القوائم المغلقة، المتناهية العدد أي الأدوات النحوية [10] مثل الحروف أو حروف المعاني عند اللغويين العرب وأسماء الإشارة والضمائر إلخ من الوحدات التي يسهل تعدادها لأن عددها محدود من جهة وجهة أخرى التي تستعمل لتخصيص الوحدات المعجمية في أغلب الأحوال مثل ألف ولام التعريف في اللغة العربية بالنسبة للاسم.

أمّا الأنواع الأخرى من الوحدات الدالة التي أقرتها المذاهب الغربية فقد اعتمد اللغويون لتشخيصها مقياسا أساسيا يتمثل في قابليتها للتقطيع على مستوى مدرج الكلام،إذ إن الغربيين في تحليلهم للنظام اللغوي يتشبثون بذلك كثيرا. وينطلقون من القاعدة التي تقول إن لكل دال لفظي مدلولا أو بعبارة أدق لكل معنى لفظ يدلّ عليه يظهر في موقع ما من السلسلة الصوتية أي مدرج الكلام وكل لفظ قابل للتقطيع يستقل أثناء هذا التقطيع بنفسه فيشكل وحدة قائمة بذاتها وقد لاحظنا ذلك عند تحليلنا لمدوّنة اللغة الإفريقية أعلاه. تلك هي القاعدة إذن وكل ماشذ عنها يعتبر ظاهرة شاذة تحتاج إلى تعليل وتفسير خاص ومن هذه الظواهر الشاذة :

* العلامة العدمية

قد سبقت الإشارة إلى هذه العلامة أثناء تحليل المدونة الخاصة باللغة الإفريقية حيث قابلنا القطعة (1) بالقطعة (3) فوجدنا أن علامة الماضي في الفعل le تقابل علامة الحاضر ولكن هذه الأخيرة وإن كانت موجودة المعنى في السياق لم تظهر لفظا في مدرج الكلام.

وإن اقتبس اللغويون مفهوم العلامة العدمية من مفهوم المجموعة الفارغة المستعمل في الرياضيات الحديثة إلاّ أن هذا المفهوم معروف منذ عصور خلت عند الهنود القدماء والعرب كما سنبينه لاحقا ولتوضيح هذا المفهوم أكثر نورد الأمثلة التالية : في اللغة الفرنسية مثلا عندما نصرّف الأفعال في الأزمنة المختلفة نجد أن للماضي علامة مميزة وللمستقبل أيضا لكن الحاضر لا يتميز بعلامة لفظية ظاهرة على مدرج الكلام فنقول إذن أن علامة الحاضر علامة عدمية.

Je chante ϕ

Je chant<u>ais</u>

Je chant<u>erai</u>

نفهم من ذلك أن العلامة العدمية [11] تعني أن الكلمة موجودة بمعناها ولكنها مختفية غائية في مظهرها اللفظي المحسوس ويظهر ذلك عند مقابلتها بغيرها الاستبدلال إذ يظل موقعتها فارغا يرمز له بالعلامة العدمية

* مفهوم المزج أو الممزوج من الدوال

في هذه الحالة يُمْزَجُ مدلولان في دال واحد بحيث يستحيل على الباحث أن يحللهما إلى قطعتين متباينتين.

وأحسن مثال الدال الممزوج نجده في اللغة الفرنسية حيث أن كلمة au التي هي في الأصل à le هي نتاج مزج هذين الدالين إذ أن الكلمة تدل على معنيين هما التعريف والاتجاه. ويظهر ذلك بصفة واضحة جداً عندما نقابل هذه الكلمة أي au التي تستعمل مع المذكر من الأسماء بمماثلتها المؤنثة فنجد أن هذه الأخيرة غير مزوجة

Je vais au village (أذهب إلى القرية)

Je vais à la ville (أذهب إلى المدينة) [12]

* مفهوم المتقطع من الدوال

هذه حالة مناقضة للحالة السابقة إذ أنّ في هذه الحالة نجد أن المظهر اللفظي للكلمة أي الدال يتجزء إلى عدة أجزاء (اثنين أو أكثر) تظهر في عدة مواقع متفرقة من مدرج الكلام وهذه الأجزاء متلازمة الظهور حيث أن ظهور الأولى يلزم ظهور الأخرى. نجد مثال لذلك في اللغة الفرنسية دائما في علامات تصريف الأفعال مع الضمائر إذ نقول :

Je cours φ

Tu cours φ

Nous courons

Vous courez

كذلك هو الحال في علامات الجنس أو العدد في المثال الذي أورده مارتيني في إحد مؤلفاته

La grande montagne blanche
1 2 3

إذا قابلناها بجملة مكوّنة من أسماء مذكرة لوجدنا أن علامات الجنس تظهر في مواقع مختلفة من مدرج الكلام.

Le grand mont φ blanc φ[13]

1 2 3

علامات المؤنث هي أداة التعريف La، de في النعت الأوّل، كلمة Montagne ثمّ che في النعت الثاني أمّا علامات المذكر فهي le ثم mont ثم العلامات الخاصتان بالمذكر في النعوت. المدلول واحد هو المؤنث أو المذكر أمّا اللفظ فيمثله دال متقطع حيث يظهر في مواقع متفرقة من مدرج الكلام وهي

le φ mont φ
1 2 3 4

*- مفهوم التنوّع في الدال أو المدلول

رأينا في الفصل الأول في هذا الباب أن الأصوات تتنوّع تأدياتها بفعل عوامل لغوية وغير لغوية (جماعية وفردية) ؟ كذلك هي الحال بالنسبة للكلمات فتتنوّع هذه الأخيرة أيضا.

ويكون هذا التنوّع في الدال أي المظهر اللفظي للكلمة مثل ما يقع لفعل ذهب aller في اللغة الفرنسية الذي يتغير مظهره عند تصريفه مع الضمائر المختلفة وفي الأزمنة المختلفة :

je vais	j'allais	j'irai
tu vas	tu allais	tu iras
il va	tu allait	il ira
nous allons	nous allions	nous irons
vous allez	vous alliez	vous irez
ils vont	ils allaient	ils iront
الحاضر	**الماضي**	**المستقبل**

أو في محتواها الدلالي المعنوي أي في المدلول مثلما نلاحظه في فعل Courir جرى دائما في اللغة الفرنسية الذي تتنوّع دلالته فتارة يعني يجري أي يركد مثل العدّاء وتارة الجري وراءه المال أي التكالب عليه وتارة أخرى محاولة ملاحقة الحافلة وهي تغادر محطتها وكذلك معاكسة النساء بطريقة فظيعة وكلّ هذه المعاني تحدد بالسياق الذي ترد فيه الكلمة.

il court

il court après l'autobus

il court après la fortune

il court les femmes (14)

نجد مثل هذا الأمثلة في اللغة العربية حيث نقول ساق محمّد السيارة والساق عن جزء جسم الإنسان الموجود بين ركبته وقدمه وكذلك نقول برى الطفل أي شفي من مرضه ونقول برى القلم أي قلمه إلخ

وفي آخر عرضنا لمنهج الغربيين في تحليل هذا المستوى من النظام اللغوي وأن هذه النزعة التقطيعية المفرطة أدّت البنويين الغربين إلى طريق مسدود والتعسف وإخراج بعض التخريجات التي أهملت بعض الظواهر الهامة في التبليغ وجعلتها ضواهر ثانوية وتتمثل هذه الظواهر في التنغيم والارتفاع والنبر التي اعتبروها ظواهر خارجة عن التقطيع (15).

ثم إن اعتمادهم على محور الإدراج أي التركيب ومتابعة تسلسل الوحدات فيه جعلهم لا يبالون تماما بالمحور العمودي اللهم إلاّ عند إجرائهم للاستبدالات البسيطة وذلك راجع إلى كونهم ينظرون إلى المحورين التركيبي

والاستبدالي لا عند التقائهما وتقاطعهما بل ينظرون إلى كل محور مستقلا عن الآخر في حين أنّ الوحدات اللغوية في كل مستوى من مستويات النظام اللغوي تحدّد بتقاطع هذين المحورين حيث تشكل كل وحدة إحداثية أي نقطة اتصال التركيب والاستبدال وهذا ما سنعرض له فيما يتبع من الكلام.

الفرق بين مفهوم اللفظة والكلمة في اللسانيات العربية

يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح «اللغة منسجمة من الدلولات ذات بنية عامة أي ما يثبته العقل من انسجام وتناسب بين العناصر اللغوية والعلاقات التي تربطها [من جهة] ومن جهة أخرى ما يثبته من تناسب بين العمليات المحدثة لتلك العناصر على شكل تفريعي أو توليدي» (16) إن في كل مستوى من مستويات التحليل في اللسانيات العربية (17) نجد أن الوحدات اللغوية المندرجة فيه هي نتاج بناء لعناصر أو وحدات المستوى الأدنى تركب على شكل تفريعي إجرائي.

وقد أثبتت اللسانيات العربية عند تحليلها للغة المستويات التالية

المستوى 6	الحديث أو الخطاب
المستوى 5	أبنية الكلام أو البنى التركيبية
المستوى 4	اللفظات (ج لفظة)
المستوى 3	الكلِم أو الكلمات
المستوى 2	الدوال
المستوى 1	الحروف
المستوى صفر 0	الصفات المميزة للأصوات

أمّا الصفات المميزة للأصوات والحروف وهي الوحدات المندرجة في المستويّن صفر وواحد فقد فصلنا فيها الحديث في الفصول السابقة. وتتركب الحروف في وحدات أخرى حسب قوانين ومقاييس مضبوطة وينتج

عن ذلك في المستوى الثاني أربع وحدات هي الدوال الأربعة : المادة الأصلية أي المواد المكونة من حروف المعجم مثل «ض ر ب »أو «ك ت ب» إلخ ثم الوزن أو الصيغة المتمثلة في تلك القوالب التي تفرغ فيها المواد الأصلية - ذلك أن الكلمة العربية تتولد من تركيب المادة في الصيغة وتتمثل في الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة إلاّ أن الكلمة تنتمي أو تندرج بتعبير أدق إلى المستوى الثالث وليس للمادة الأصلية والوزن وجود محسوس بل هما كيانان اعتباريان يجردهما المحلّل بالمقابلة بين أجزاء من الكلام أمّا القطعة الدالة أو الدال الثالث المندرج الثالث في هذا المستوى فيعرفها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بما يلي «كلمة محسوسة بنيت بناءا لازما وظيفتُها تخْصِيصُ دلالة الأسماء والأفعال وقد يقوم بعضها مقام الأسماء والأفعال من حيث المعنى والإفادة فتُعَدُّ في أحد هذين القبيلين إلاّ أنها تبني بناءا لازما كالأدوات الأخرى وذلك مثل الضمير واسم الإشارة والاسم الموصول» [18].

أمّا الدال الرابع فهو العلامة العدمية أو ترك العلامة كما يسميها العرب القدماء [19] ويتمثل في غياب اللفظ الدال فيما يحقق من الكلام وتتجلى عند مقابلة القطع اللغوية بعضها ببعض من الأمثلة التالية :

طويل (للمذكر)، كتبت (للمتكلم)

طويلة (ة التأنيث)، كتب (للغائب)

وتندرج الكلمات في المستوى الثالث فلا يمكن أن نعتبرها أصغر قطعة يصل إليها التحليل وتدل على معنى وهي تحلل إلى عنصرين دالين هما المادة الأصلية والوزن على الأقل بالنسبة للأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة.

ونصل بعد هذه المستويات الثلاثة الأولى إلى المراتب التي تنتظم فيها الوحدات اللغوية انتظاما معقدا. ففي المستوى الرابع نلتقي بوحدات مركبة ومعقدة يقول فيها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح ما يلي «إن الكلام لا تنتظم في الكلام في مثل الانتظام البسيط الذي يتصوره بعض اللسانيين الغربيين وأكثر النحاة المتأخرين فإن الوحدات في هذا المستوى ليست هي الكلم مجرّدة من لوازمها بل هي وحدات يندرج فيها الاسم أو الفعل مع ما يقترن به لزومها بل هي وحدات يندرج فيها الاسم أو الفعل مع ما يقترن به لزوما من أدوات مخصصة له ثابتة وغير ثابتة (على صورة دخول وخروج يسمى عندنا

التعاقب) بل من وحدات مماثلة (أي من جنسها ومستواها) تخصصها على مثل ما تفعله الأدوات وتقوم مقامها وتؤدي ما تؤديه وذلك مثل المضاف إليه والتركيب المسمى بالصلة المتواصل والصفات وحتى الأبنية المسماة جملا».[20] ولقد سمى الأستاذ هذا الصنف من الوحدات اللفظة [21].

واللفظة هي عبارة عن تركيب أحد أنواع الكلم مع ما يدخل عليه من علامات ومخصصات تلازمه دائما فإذا تأملنا العبارات التالية :

* # رجل #
* # رجل عظيم #
* # الرجل العظيم#
* # الرجل الذي يشهد له بالعظامة ....#
* # ...# من الرجل العظيم #

نرى أن كل واحدة منها بمنزلة لكلمة واحدة تتفرع من الأصل (وهو هنا كلمة واحدة) وكل واحدة منها مكوّنة من اسم مقترن بأسماء أو كلمات أو حروف معاني موصولة به. اللفظة الأولى خالية من كل علامة أو مخصص في حين الثانية مخصصة بنعت في حين أن في اللفظة الثالثة نجد أن كلمة رجل مخصصة بالتعريف والنعت وفي الأخيراللفظتان الآخيرتان معقدتان أكثر بوجود الصلة الموصول في الأولى وحرف الجر في الثانية.

لقد عرف سيبويه هذه الوحدة وعبرّ عنها في أماكن عديدة من **الكتاب** بعبارة كالاسم الواحد أو بمنزلة الاسم الواحد. فيقول عند التعرّض لموضوع النعت «فأمّا النعت الذي جرى مع المنعوت فقولك : مررت برجل ظريف قبل، فصار النعت مجرورا مثل المجرور لأنهما كالاسم الواحد» وفي موضع آخر من الكتاب يقول «مررت برجل مسلم وثلاثة رجال مسلمين لم يحسن فيه إلاّ الجر لأنك جعلت الكلام اسماً واحدا حتى صار كأنك قلت : مررت بقائم ومررت برجلين مسلمين وفي موضع آخر بذلك يقول في النافية للجنس أما لا النافية للجنس واسمها فجعلت وما عملت فيه بمنزلة اسم واحد ...

فلا تفصل بين لا وبين لامنفي، كما لاتفصل بين ما وما تعمل فيه» [22]
فاللفظة إذن هي مجموعة من الكلمات تجري مجرى الكلمة الواحدة وللتفريق بين هذه الوحدات ولتحديدها يعتمد مقياسين أولهما هو مقياس الانفصال

والابتداء. فيمكن ترتيب القطع اللغوية بالنظر إلى قابليتها للانفصال وإمكانية البدء بها إلى المراتب التالية :

* وحدات يبتدأ بها ولا يوقف عليها مثل إلى في «إلى القسم»
* وحدات لايبتدأ بها ويوقف عليها مثل تُ في «دَخَلْتُ»
* وحدات يبتدأ بها ويوقف عليها مثل «رجل» للجواب عن «من دخل»

ونستطيع يعد ذلك أن نحصيي جميع القطع الصغرى التي تنفصل عمّا قبلها يمينا وما بعدها يسارا فيبنى بها الكلام.

وتبين بعد المشاهدة ولاستقراء أن اللفظة هي أصغر قطعة في الكلام ممّا يمكن أن تبتدأ وتنفصل [23].

أمّا المقياس الثاني فهو مقياس التمكن [24] يتمثل في قابلية القطعة على تحمل الزيادات يمينا ويسارا على محور التعاقب والاسم في العربية أكثر الكلمات تمكنا يقبل عددا كبيرا من الزيادات على اليمين واليسار.

قد اقتبسنا القارئ من رسالة الدكتوراه التي قدم فيها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح نظرية اللفظة مثالا واحدا لتوضيح هذا المفهوم وهو مثال اللفظة الاسمية حيث نعرض حدّ الاسم كما تصوره صاحب النظرية ثمّ تفسير الحدّ الذي يمثل على الشكل التالي :

حدّ الاسم (اللفظة الاسمية) [25]

2 حرف الجرّ	1 التعريف	0 موضع النواة	1 الإعراب	2 التنوين الإضافة	3 التخصيص
	#	كتاب	#		
	# ال	كتاب	#		
	#	كتاب	/ـُ	/ن	/مفيد #
	#	كتاب	/ـٌ	/ زيد	/المفيد #
# بـ	الـ	كتاب	/=	/ـ	/ المفيد #
# بـ		كتاب	/=	/ زيد	/ هذا #

علامة الابتداء والوقف أو علامة الانفصال والابتداء.

هذه هي اللفظية الاسمية والعلاقات التي يربط فيها الاسم بما يدخل عليه من علامات ومخصصات ضمن علاقات وصلية فأما أن تكون العلاقة علاقة تخصيص للاسم بمثل دخول أداة التعريف عليه أو تكون علاقة عمل كالتي تقع بين حرف الجر والاسم المجرور به. فلكل وحدة موضعها في اللفظة محدّدة لا يتغير إذا أن الترتيب فيها ثابت لا نستطيع أن نقدم فيها أو تؤخر عنصر من العناصر

وتتعاقب هذه العلامات على الاسم أي أن دخول وحدة منها يقتضي خروج الأخرى فإذا دخلت أداة التعريف الاسم ذهبت علامة التنكير أي التنوين فهما إذن يتعاقبان مثلما يعاقب التنوين الإضافة التي تعرّف الاسم المضاف وتخصصه على حدّ تعبير سيبويه في ذلك «لأن المجرور داخل في المضاف إليه معاقب للتنوين» [26]. ـ أمّا الموضع الأخير فهو موضع المخصصات (التي موضعها على يسار الاسم) فإنّها تضيف معنى آخر للفظة والجذير بالذكر أن هذا الموضع ليس محصوراً مقيّدا من حيث الطول بل يمكن أن نطولّها إلى ما لا نهاية كأن يقول : الكتاب الى رأيته في المكتبة التي توجد بالقرب من قاعة المسرح التي عرضت فيه آخر مسرحية للكاتب المشهور صاحب المسحرية ... الخ إلاّ أن الاستعمال ينفر من هذا التطويل ولا يستطيع المتكلّمون تذكر هذه اللفظة الطويلة التي تجهد المتكلّم الي يتلفظ بها والسامع الذي يتعب عند تتبعها وربما في إدراك معناها.

والاسم يخصص بالنعت والبدل والمضاف إليه وبتركيب الصلة والموصول واسم الاشارة وقد يأخذ المخصص شكل بنية كلام مستغني في مثل قولنا «كتاب رأيته على الطاولة».

أمّا مصفوفة اللفظة الفعلية أو حد الفعل فنجد لها نفس الشكل إلاّ أن العلامات تتغير وعناصر اللفظة مختلفة إذ أن للفعل علاماته الخاصة أمّا المقاييس الأخرى فتنطبق على هذه اللفظة مثلما تنطبق على اللفظة الاسمية[27].

وفي الأخير، يمكننا أن نستنتج من هذا التحليل استنتاجا هاما له انعكاسات عظيمة في مجال تحليل النظام اللغوي وتشخيص وحداته وهو أن اللفظة هي أصغر قطعة في الخطاب أو الحديث إذ لا نجد فعلا أو اسما في الخطاب إلاّ ويحدّد داخل هذه المصفوفة أي داخل المصفوفة الخاصة به ولهذا الإقرار نتائج عظيمة ليس فقط على صعيد التحليل اللغوي[28] بل أيضا في مجال تعليم اللغات.

الفصل الثالث
مستوى أبنية الكلام

مستوى أبنية الكلام (التراكيب والجمل)

تشكل الكلمات عند تركيبها نظاما جزئيا هو النظام التركيبي مكوّن من التراكيب التي تندرج في المستوى الثالث في اللسانيات الغربية والمستوى الخامس بالنسبة لللسانيات العربية. هذا المستوى هو مستوى أبنية الكلام (أو التراكيب والجمل). وأبنية الكلام ليست أبنية الكلم ولا ينبغي أن نخلط بينهما لأن أبنية الكلم يقصد بها الأوزان أو القوالب التي تفرغ فيها المفردات مثل فَعَلَ بالنسبة «لكَتَبَ».

أمّا أبنية الكلام فهي القوالب التي تفرغ فيها الكلمات لتكوّن وحدات أكبر تسمى تراكيب أو جملا.

الجملة :

في مفهومها التقليدي هي الجملة المفيدة ذات تركيب مكتف بنفسه وتامة الإفادة وهي مؤلفة من كلمتين أو أكثر وهي في الحديد آخر أقل مايفيد من الكلام لقولك جاء الولد أو أكل الولد تفاحة وأقل ما يفيد هو المسند والمسند إليه أي التركيب الإسنادي [29] فقد يكون المسند فعلا أو خبرا أما المسند إليه فيكون إمّا الفاعل في الجملة الفعلية أو المبتدأ في الجملة الاسمية وهذا التعريف للجملة تعريف دلالي مبني على مفاهيم الإفادة في التبليغ فمن هذه الحيثية يمكن أن نقول أن الجملة هي أصغر قطعة يصل إليها التحليل ممّا يفيد وليست وحدة بنوية تمت بصلة بنظام اللغة التقديري وهذا لأنّ المستويين من التحليل البنوي والدلالي لا يتطابقان بالضرورة.

وقد دخل تعريف الجملة الكثير من أسلوب المنطق ومفاهيمه فما تعرّف به كذلك أنها حكم شيء على شيء آخر كالحكم على محمّد بالاجتهاد في قولك «محمّد طالب مجتهد»[30].

التركيب

قد نجد هذا المصطلح مستعملا لدلالة على مفهوم الجملة ولكنّه أوسع مجالا منه إذ يدل على أنواع من التراكيب عديدة لا تدخل في عداد الجملة مثل التركيب العددي والتركيب المزجي والتركيب الإضافي إلخ[31]

النحو التركيبي الوظيفي عند مارتيني

وضع مارتيني[32] ثلاثة مقاييس لتحديد العلاقات التركيبية داخل الجملة والتعريف على وظيفتها في التبليغ وتصنيفها في صنف تركيبي معين وهي :

* مفهوم الاستقلال التركيبي ؛
* الوحدات الوظيفية ؛
* موقع الكلمة في التركيب.

وقد أعطى مارتيني نوعا معينا من التراكيب مكانة في نظريته حيث جعله النواة الأساسية للجملة وأقل ما يمكن أن يكون عليه الكلام وأقل ما يفيد ويتمثل في **التركيب الإسنادي** الذي يتكون من عنصرين هامين هما المسند وهو نواة الخطاب (الحكم) والمسند إليه الذي تكتمل به الجملة (المحكوم عليه). فنجد مثلا في العبارة التالية «يلعب أولاد الجار في البستان»

Les enfants (du voisin) jouent (dans le jardin).

التركيب المكوّن من «الأولاد يلعبون أو يلعب الأولاد».

Les enfants jouent هو نواة التركيب الإسنادي الذي يشكل أساس الجملة لا يمكن أن يزول وإذا زال فسدت الجملة وهو تركيب مستقل لأنه يدلّ بنفسه على وظيفته، أمّا بقية العناصر الأخرى فمتعلقة به وهي فضلات تضاف لتحديد الزمان والمكان أو لتخصيص أحد عناصر الإسناد فإذا حذفناها لا تختل الجملة إذ أن الوقف ممكن بعد التركيب الإسنادي وتصنف هذه الفضلات في أحد هذه الأصناف :

* الوحدات أو التراكيب المستقلة

هي الوحدات غير التابعة للكلمات أو التراكيب الأخرى بحيث تلتزم مكانا واحد مستقراً في الجملة فهي مستقلة الرتبة لا تحتاج إلى وحدات أخرى لتحديد وظيفتها فوجدة (أمس) Hier وحدة مستقلة لأنها متغيرة الرتبة يمكن أن تقع في مواقع مختلفة من الجملة ولا تغيّر وظيفتها اللهم إلاّ من حيث دلالاتها الأسلوبي والبلاغي.

Hier, il y avait fête au village [33]

«أمس أقيم حفلٌ بالقرية»

* الوحدات غير المستقلة أو التابعة

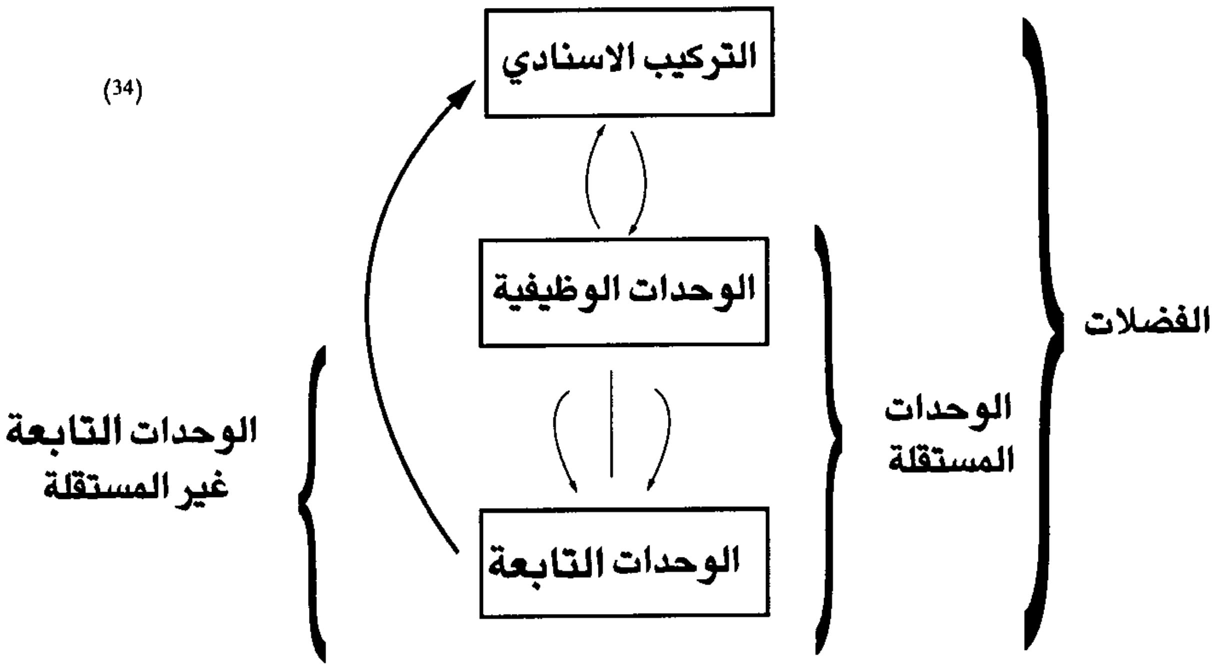
تقابل هذه الوحدات غير المستقلة الصنف الأول من الوحدات وهي التي تكون دائما تابعة لوحدات أخرى وخاصة منها التركيب الإسنادي وكثيرا ما تحدد وظيفتها بواسطة وحدات أخرى تربطها بباقي أجزاء الجملة فكلمة Jardin أو كلمة Village في المثالين السابقين تحددان بوحدتين هما وAu وDans اللتين تربطهما بعناصر الجملة الأخرى كذلك تفعل Du بكلمة Voisin في المثال الأول.

* الوحدات الوظيفية

وهي الوحدات التي تحدد وظيفة الوحدات الأخرى داخل التركيب مثل au du, dans; السالفة الذكر.

أمّا بقية العناصر التي لا تستقل بنفسها ولا تحتاج إلى وحدات وظيفية فتشخص وظيفتها في التركيب بموقعها في الجملة فهي تلتزم موقعا ثابتا مثل المفعول به في الفرنسية الذي يتبع دائما الفعل أو النعت الذي يسبق أو يتبع المنعوت حسب اللغات.

لعل هذا الرسم البياني يساعدنا على توضيح أهم مفاهيم النحو التركيبي الوظيفي.



الجملة في النحو التوليدي التحويلي

رائد هذا الذهب هو نوام تشومسكي عالم أمريكي ذاع صيته عندما نشر أول كتابه له عنوانه البنى التركيبية سنة 1957 وقد انطلق تشومسكي في دراساته من انتقاد المناهج البنوية التي شاع استعمالها منذ دي سوسور بالنسبة للأوروبيين بلومفيلد بالنسبة للأمريكان [35] فهذه المناهج وصفية بنيت على مقاييس دقيقة وغايتها القصوى هي أن تصف آليات اللسان وصفا علميا دقيقا. فهي من هذه الحيثية وصلت إلى نتائج مرضية إذا ماقارناها بالنحو التقليدي الأروبي الذي كان يعتمد كليا على المنطق الأرسطي.

وهي بهذا قد ابتعدتْ عن الأفكار المسبقة وتوصلت إلى تجزئة النصوص اللغوية إلى قطع صغيرة ثم تصنيفها تصانيف مختلفة أفادت كثيرا العلوم الفرعية الأخرى مثل صناعة تعليم اللغات ومعالجة أمراض الكلام.

وميزة هذه المناهج الأساسية تكمن في التصنيفية المطلقة في حين أنّها لم تعط للتفسير والتعليل قسطا من العناية بالإضافة إلى كونها سكونية لا تلتفت إلى ما وراء الظواهر المحسوسة الظاهرة على مدرج الكلام ولم تفسر كيفية إدراك الكلام وإحداثه فهي من هذه الحيثية فاشلة في نظر تشومسكي وخاصة عند تحليلها للمستوى التركيبي إذ إنّها اهتمت بالجزئيات وأهملت العلاقات التي تربط هذه الجزئيات بعضها ببعض ولم تعطها ما تستحقه من الاهتمام وربما نتج ذلك لعدم ابتكارها لمناهج مناسبة لذلك.

ظهر إذن المذهب المسمى النحو التفريعي التوليدي التحويلي في أواخر الخمسينات من هذا القرن وأخذ يتطور محدثا انقلابا جذريا في الدراسات التركيبية بل في الدراسات اللسانية كلها وزعزع عدّة أفكار كانت تبدو وكأنها مسلمات لا يمكن التراجع عنها.

قد كان صدور كتاب تشومسكي البنى التركيبية بمثابة الانطلاقة الأولى لذيوع هذه النظرية التي ستعرف تطورا كبيرا وستحتل مركز الصدارة في الستينات والسبعينات وكان لها ولا يزال آثارا عظيمة في توجيه لأبحاث اللغوية وفتح آفاق جديدة في مجال تحليل اللغات ودراسة السلوك اللغوي البشري [36].

يقول تشومسكي أن اللسانيات البنوية ليست إلاّ مرحلة ولا غاية قصوى فيجب على اللغوي أن يبتكر مناهج جديدة لتحليل المستوى التركيبي بل اللسان كله. هذا وقد أغفلت البنوية الكلاسيكية ولم تول أي اهتمام لتلك الميزة البشرية الأساسية المتمثلة في قدرة الانسان على إحداث جمل غيرمتناهية العدد لم يسمعها ولم يتفوه بها قط من قبل وفي نفس الوقت قدرته على إدراك عدد لا متناه من الجمل ما سمها ولا تفوه بها قط من قبل. [37]

وجاءت نظرية تشومسكي لتسد هذا الفراغ وترجع الأمور إلى مجاريها فإن كانت البنوية عد اعتمدت أولّ قبل كل شيء على تحليل الكلام دون أن تلتفت إلى كيفية إحداثه وإدراكه من قبل المتكلمين فإن تشومسكي تجاوز هذه المرحلة. اللغة ليست ظواهر لفظية محضة فحسب بل هي ظواهر نفسية ولفظية في آن واحد يجب أن يعطي كل جانب قسطه من العناية والدراسة وإن كان دي سوسور قد وضع تقابله المشهور بين اللسان والكلام فإن تشومسكي فرّق بين الملكة والتأدية.

الملكة هي القدرة الراسخة لدى المتكلم على أن يحدث ويشخص ويحدد ويعرف ويحقق سلسلة صوتية لها بنية تركيبية ومعنى . تتمثل التأدية في تحقيق هذه الملكة وإنجازها أي هي ما يقوم به المتكلم عند إحداث الكلام [38].

ومُهِمَّةُ النظرية اللغوية تتمثل في وضع النموذج المثالي للملكة اللغوية ولا يمكن أن نضع نموذج التأدية إلاّ بعد إثبات نموذج الملكة.

نقف عند كل ما سبق لندرك مدى المسافة التي توجد بين التقابل السوسوري والتقابل تشومسكي إذ يمتاز مفهوم الملكة بالدينامية والحركة في حين أن دي سوسور يقول معرفا اللسان ما يلي «رصيد مستودع في الأشخاص الذين ينتمون إلى مجتمع واحد بفضل مباشرتهم للكلام وهو نظام نحوي يوجد وجودا تقديريا في كل دماغ» [39] فكانت نظرية اللسان نظرة سكونية ثابتة في حين أن تشومسكي يركز على مفهوم هام جداً والمتمثل في قدرة المتكلم على إحداث الكلام وإدراكه.

وبعد إقراره لهذه المبادئ الأساسية بَنَى تشومسكي النحو أي النظام النحوي المثالي للسان البشري (وقد اعتمد في ذلك على معرفته للغته أي اللغة الانجليزية) على شكل جهاز من القواعد المتناهية العدد يتفرّع عنها عدد لا متناه من الجمل، يصور هذا الجهاز الطاقة التفريعية الكامنة في اللغة فهو إذن عبارة عن مجموعة من القواعد التوضيحية تتفرّع عنها الجمل.

ويشترط في ذلك شرط أساسي وهو ألاّ يتفرع عنها إلاّ الجمل السليمة المقبولة لدى الناطقين بهذه اللغة.

و يفضي بنا هذا إلى الحديث عن مفهومين هامين في النظرية التشومسكية الأول مفهرم السلامة النحوية شديد الاتصال بالبنية التركيبية حيث أنه يشترط في الجملة أن تكون سليمة من حيث تركيبها النحوي، متماشية وقياس اللغة أمّا الاستحسان فأن تكون الجملة مقبولة من الناحية أي أن تكون مناسبة لمدلولات اللغة المعنية. ولتوضيح هذين المفهومين يورد تشومسكي الأمثلة التالية :

1. Colourless green ideas sleep furiously.

2. Furiously sleep ideas colourless green.

3. John arrives later to school.

بعد تأملنا لهذه الأمثلة نلاحظ أن الجملة (1) سليمة من ناحية تركيب النحو الإنجليزي أمّا من ناحية الاستحسان فهي غير مقبولة في الحديث اليومي وكذا من حيث المعقول والمنطق إذ لا يعقل أن للأفكار ألوانا وأن تكون في نفس الوقت غير ملونة ثم أن تنام بغضب فهذا هو العجب العجاب !

فقد تكون مقبولة في الشعر والأدب الذي يحتمل ما لا تحتمله الأوضاع اللغوية العادية

أمّا الجملة (2) فإنها تجمع بين عدم السلامة النحوية وعدم الاستحسان المعنوي ونأتي إلى الجملة (3) فنجدها سليمة معنى ونحو فهي تتحقق وفقا ما تقتضيه أوضاع اللغة الانجليزية وبعد تحديده لمهمة النحو أو النظرية اللسانية أخذ تشومسكي في وضع نموذجه الجديد في وصف اللغات وتحليلها. قلنا أنّه ينقض البنوية المصنفة ولكن هذا ليس معناه أنّه ينبذها كلّية إذ نجده قد انطلق من هذا النقض معتمدا على الجوانب الإجابية في التحليل البنوى ثم طور وعدل هذا التحليل حتى يستطيع أن يصور الطاقة التفريعية الكامنة في اللغة [41]. وماهذا التحليل في صورته الأولى إلاّ صورة وصيغة رياضية لتحليل الكلام إلى مقوماته القريبة [42] باستعمال قواعد تحويل الكتابة التي تكون على شكل التالي س ⟵ ص أي أن س يعاد كتابته في ص أي تحويل الرمز المكتوب على اليمين إلى رمز آخر يكتب على يساره وبينهما سهم يدل على التحويل المذكور ويضع تشومسكي عددا من قواعد تحويل الكتابة أو إعادة الكتابة ثم يطبقها أو يجريها بترتيب العمليات التحويلية إلى أن يصل إلى تصوير التركيب بعناصره المختلفة ثم يعطي لكل تركيب مثاله أو صورته التفريعية على شكل تفريعي ومشجرّ يسمى باسم شجرة تشومسكي.

نورد فيما يلي مثالا لهذا التحليل، فنضع أولا قواعد إعادة الكتابة ثم نرتب العمليات التحويلية إلى أن نحصل على التفريع المشجر.

*** قواعد إعادة الكتابة**

(1) - ج ⟵ م س + م ف (مجموعة اسمية + مجموعة فعلية)

(2) - م ي ⟵ ع + كس (كتلة اسمية)

(3) - تس ⟵ أ د + س (أداة – اسم)

(4) - م ف ⟵ ز + كف (كتلة فعلية)

(5)- كف ⟵ ف + م س (فعل)

(6) - ع ⟵ علامة المفرد أو الجمع

(7) - ز ← زمن الفعل وعلامة الفعل

(8) - س ← Apple, Boy إلخ (إسم)

(9) - ا د ← an, the إلخ

جـ فَ ← eat

*** العمليات التحويلية**

(أ) ج ← م س + م ف (تطبيق القاعدة الأولى)

(ب) ج ← ع + كس + م ف (القاعدة 2 على 1)

(جـ) ج ← ع + أ د + س + ز + كف (3 على ب)

(د) ج ← ع + أ د + س + ز + كف (4 على جـ)

(ر) ج ← ع + أ د + س + ز + ف + م س (5 على د)

(ز) ج ← ع + أ د + س + ز + ف + ع كس (2 على ر)

(س) ج ← ع + أ د + س + ز + ف + ع + أ د + س (3 على ز)

(ص) ج ← مفرد + أ د + س + ز + ف + أ د + س (6 على س)

(ط) ج ← مفرد + أ د + س + غائب خاضر + ف + أ د + س (7 على ص)

(ف) ج ← مفرد + أ د + س غائب حاضر + مفرد + أ د + س (6 على ط)

(ع) ج ← مفرد + the + س + غائب حاضر + ف + مفرد + أ د + س (ب على ف)

(غ) ج ← مفرد + the + س + غائب حاضر + ف + an + س (ب على ع)

(هـ) ج ← مفرد + the + boy + غائب حاضر + ف + an + س (أ على غ)

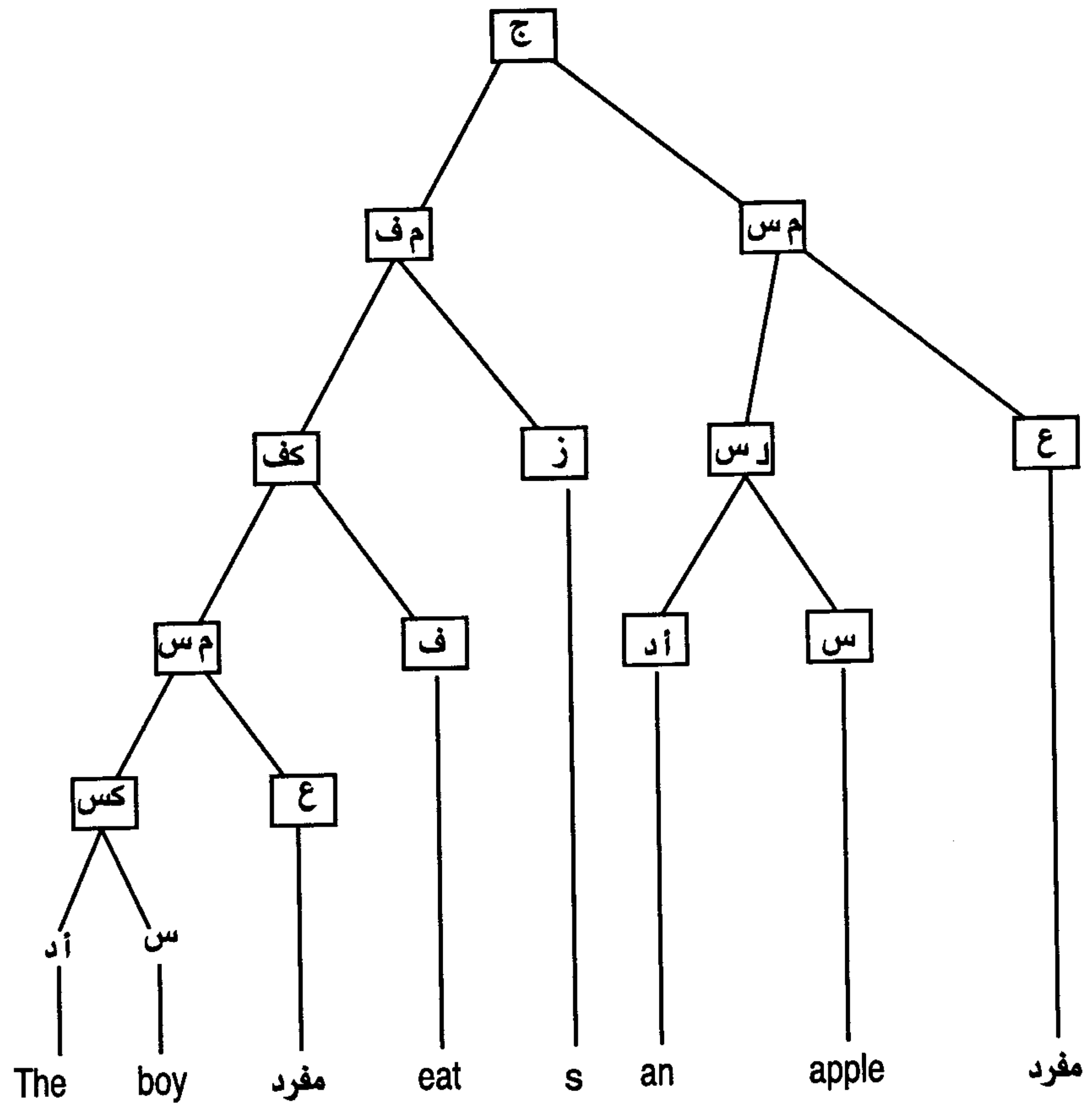
(و) ج ← مفرد + the + *boy* + غائب حاضر + ف + an + apple (أ على ع)

(ي) ج ← مفرد + the + boy + غائب حاضر + eat + an + apple (جـ على و)

إلى أن نصل أخيرا إلى

ج The boy eats an apple

فنصور شجرة الجملة كالتالي :



الأوضاع اللغوية هي الرموز النهائية وتشكل السلسة النهائية ووظيفة العنصر النحوي تتجلى في مفارع الشجرة أو الرسم البياني الذي يحدد العلاقات التي تصل العناصر اللغوية بعضها ببعض في الجملة ويشرح المثال التركيبي المشجرّ تركيب الجمل. وهو في نفس الوقت يطو ر مبدأ التفريغ الذي يؤكد عليه تشومسكي كثيرا.

لكن تشومسكي نفسه سرعان ما تفطن إلى نقائص نموذجه وكذلك عجزه على تصوير بعض الظواهر الهامة في اللغات البشرية نذكر منها مشكل الجملة المحولّة كالتحويل من الإثبات إلى النفي مثلا وقضية العلاقات التي تربط الجمل فيما بينها (كعلاقات الشرط) وأخيرا مشكلة الاشتراك أو الالتباس المعنوي الذي يظهر في قولنا (يغنَي الشاعر الليل) Le poète chante la nuit فلسنا ندري ونحن نقرأ هذه الجملة ما إذا كان الشاعر يتغنى بالليل أي أنه يستلهمه موضوعا له أو أنه يصنع شعره ليلا.

لذلك ولتلافي هذا العجز أدخل تشومسكي في تحليله مفهوما إجرائيا إضافيا هو مفهوم العنصر أو المبدأ التحويلي إذّ إنّنا نلاحظ أنّ الجملة أعلاه لها معنيان وأنّها في الحقيقة تركيبات اثنان يتفقان في صورة واحدة هي البنية الظاهرة على مدرج الكلام أو البنية السطحية لكنهما يختلفان في البنية العميقة ففي رأيه لكل جملة صورتان.

* البنية السطحية المتمثلة في تسلسل العناصر المكونة من الكلمات في مدرج الكلام.

* البنية العميقة المجرّدة الذهنية [43]

فهذا الذي تدركه حواسنا من المدارج الكلامية هو في الحقيقة القشرة والسطح الأعلى وما لا يظهر في البنية العميقة يوجد في ذهن الانسان ولا يحققها إلاّ بتحويلها إلى سلسلة كلامية. إلى البنية العليا الظاهرة والسطحية التي كانت ولا تزال هي موضوع الدراسات اللغوية.

ولما كانت هذه البنية خفية فلا نتعرف عليها إلاّ بتتبع عمليات التحويل التي يقوم بها المتكلّم فأراد تشومسكي أن يتتبع هذه العمليات وقد تبين له بعد ذلك أن هذه البنية العميقة هي نتيجة لفعل القواعد الفريعية أمّا عمل القواعد

التحويلية فيتمثل في تحويل هذه البنية العميقة إلى بنية سطحية مكوّنة من العناصر اللغوية تحدّد هي الأخرى بفعل القواعد اللفظية.

ونلاحظ أن العنصر التركيبي الذي تتفرّع عنه الجمل منقسم إلى ثلاثة أقسام أي أن التفريع يتم على ثلاث مراحل، المرحلة الأولى هي المرحلة التي يتكون فيها قاعدة النحو أي البنى العميقة ثم تأتي المرحلة الثانية التي تحول فيها هذه البنى العميقة إلى البنى السطحية باستعمال قواعد التحويل وأخيراً في المرحلة الثالثة تشكل الجملة لسلسلة من الأصوات الدالة على معنى ..

التحويل التركيبي هو الذي يبيّن العلاقة الصورية بين البنيتين . بهذا نكون قد عرضنا ولو باختصار نظرية تشومسكي الموسومة بالنحو التفريعي أو التوليدي التحويلي كما وصفها في مؤلفه «البنى التركيبية» ولكن نظريته شهدت تطورات وقد أعاد بناءها في مؤلف آخر مبادئ في النظرية النحوية قدم فيها المبادئ التي ينبغي أن ترسى عليها النظرية النمطية للغة[44] قد أجرى تعديلا على نظريته بعدما تبيّن له أن الصفة الأولى للنحو التوليدي التحويلي أهملت جانبين هامين في اللسان هما الجانب الإفرادي والجانب المعنوي. ونتيجة لهذا التعديل انقسمت قواعد التفريع إلى صنفين صنف القواعد الخاصة بالوضع اللغوي وصنف القواعد الخاصة بالوضع النحوي.

ومهمة هذه القواعد تكمن في تحديد العناصر الإفرادية التي تكن لها مكانة خاصة محدّدة في النموذج الأول، علمنا أنها كانت تحدد فقط بفعل القواعد التركيبية التي تسند لكل رمز في الشجرة محتواه اللفظي مثل اسم Boy ولكن هذا غير كاف في نظر تشومسكي فقطع شوطا آخر في سبيل الوصول إلى تصوير النظام اللغوي تصويرا صوريا دقيقا فأثبت هذين النوعين من القواعد مهمتهما تحديد ماهية العناصر الإفرادية في اللغة. قواعد الوضع النحوي. تبين مثلا أن الفعل متعد أو لازم وقواعد الوضع اللغوي وتشير إلى كونه حدث متعلق بالأكل أو الجري الخ وغيره ذلك من المميزات النحوية واللغوية التي تتدخل في تشخيص الأوضاع اللغوية.

وشهدت بعد ذلك نظرية تشومسكي تطورات عديدة على يد تشومسكي نفسه فيما يسمى علم الدلالة التفسيري أوالنظرية الموسعة.

وعلى يد تلاميذته له في هذا الاتجاه مثل بوستال وكارتز وفي نفس الوقت خرج عنه بعض التلاميذ مثل لاكوف الذي تزعم [45] مدرسة علم الدلالة التوليدي التي حاولت أن تنافس مدرسة تشومسكي تلك هي إذن حوصلة لأهم النظريات التي اهتمت بتحليل المستوى التركيبي في النظام البنوي قد نأخذ عليها الكثير من المآخذ ولكننا في نفس الوقت لا ننكر ما قدمته من إنجازات ومساهمات في مجال تطوير المعرفة اللغوية وتطور التفكير اللساني [46].

الفرق بين مفهوم البناء والجملة في اللسانيات العربية.

ماذا تقصد ههنا بالبناء إن مفهومه يخالف مفهوم البناء الذي يقابل الإعراب الخاص الكلمة (الكلمة المعربة التي تقبل حركات الإعراب والكلمة المبنية بناءا لازما فلا تتغير مع تغير محلها من الإعراب).

الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح يعرفه بما يلي «البناء أن تجعل عنصرا لغويا تابعا لعنصر لغوي آخر بحيث أنهما يكونان عنصرا أوسع من مستوى أعلى ولا يعاقب أي واحد من العنصرين العلامة العدمية أي لا يمكن أن يحذف وإن حذف ولم يرجع العنصر الأول إلى أصله زال عن الوجود» [47]

وتتشكل البنى التركيبية أو أبنية الكلام في المستوى السادس من التحليل اللغوي كما سبق أعلاه حيث تبنى الألفاظ على بعضها بمقاييس معينة إذ إنّ البناء علاقة صورية تتمثل في ربط لفظة بلفظة أخرى بتغير حكم كل واحدة منهما تسمى اللفظة الأولى اللفظة المبني عليها والثانية اللفظة المبنية. وتكون اللفظة المبينة تابعة للفظة الأخرى التي لا تتبع أي عنصر بل تبتدأ بها الكلام وليست محمولة على أخرى ونريد هنا الحمل على اللفظ ولا الحمل على المعنى ونلتمس بذلك الفرق الموجود بين البناء المتعلق بالنظام الصوري والإسناد الذي يرجع إلى الإفادة والتبليغ مثلما يتبين ذلك من خلال التحديدات التي وصفها النحاة العرب القدماء للعلاقة الإسنادية فنسمع ابن يعيش يقول في شرح المفصل «تركيب الإسناد أن تركب إحداهما إلى الأخرى أنه لم يرد مطلق التركيب بل تركيب الكلمة مع الكلمة إذا كان لإحداهما تعلق بلأخرى على السبيل الذي له به يحسن موضع الخبر وتمام الفائدة» [48].

وقد فرّق سيبويه بين المفهومين فالمسند والمسند إليه عنده « كلاهما لا يستغني واحد منهما عن الآخر» [49] فعبد الله أخوك كلام مستغني ونِمْتُ كلام مستغني أي جملة مفيدة.

أمّا البناء فشيء آخر غير الإسناد ويحدّده سيبويه عند عرضه لموضع الابتداء فيقول «فالمبتدأ كل اسم ابتدئ ليبني عليه كلام، والمبتدأ والمبني عليه رفع فالابتداء لا يكون إلاّ بمبني عليه» [50]

وفي اللغة العربية توجد علاقتان بنيويتان اثنتان، ففي «الوقوف مطلوب» (تلك العبارة التي نقرؤها في حافلاتنا) البناء يقع بين لفظتين اسميتين أمّا في «قرأتُ الرسالة» يجمع البناء بين لفظة مكونة من فعل وفاعل ولفظة اسمية تقع في موضع المفعول الذي يصنف في التحليلات المعنوية المبنية على مفهوم الإسناد في عداد الفضلات المنصوبة التي تضاف إلى معتمد الفائدة ومعتمد البيان كما يقول اللغويون العرب القدماء في حين أنّه القطب الثاني.

في العلاقة البنوية - ويؤكد ذلك سيبويه فيقول في باب «ما يكون فيه القسم مبنيا على الفعل قدم أو أخر وما يكون فيه الفعل مبنيا على الاسم» ما يلي «فإذا بنيت الاسم عليه قلت : ضربت زيدا، وهو الحدّ، لأنك تريد أن تحمل عليه الاسم كما كان الحد ضرب زيد عمرا، حيث كان زيد أول ما تشغل به الفعل. وكذلك هذا إذا كان يعمل فيه - وإن قدمت الاسم فهو عربي جيّد كما كان ذلك عربيا جيّدا، وذلك قولك : زيدا ضربت والاهتمام والعناية هنا في التقديم والتأخير سواء، مثله في ضرب زيد عمرا وضرب عمرا زيد. فإذا بنيت الفعل على الاسم قلت : زيد ضربته فلزمته الهاء - وإنما تريد بقولك مبني عليه الفعل أنه في موضع منطلق إذا قلت عبد الله منطلق، فهو في موضع هذا الذي بنى على الأول وارتفع به، فإنما قلت عبد الله فنسبته له ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء» [51].

أمّا الفاعل فلا يكوّن مع الفعل بناءا بل لفظة من نوع خاص ليست بمنزلة اللفظة المكونة من حرف الجرّ والاسم المجرور ولكنها ليست بناءا مع ذلك فهي في منزلة وسطى بينهما. ذلك أن الفعل يفرغ ويشغل بالفاعل فلا يجد بدا منه، ولايمكن أن يقدم عليه المفعول ولا يقدم هو أبدا على فعله أمّا إذا كان ضميرا أي اسما مضمرا فهو متصل بفعله كأنه جزء منه [52] فالفعل والفاعل بمنزلة اسم واحد أي لفظة يبنى عليها أو تبنى على غيرها.

أصغر بناء في العربية مكوّن دائما من عنصرين هما المبني والمبني عليه.وأصغر بنية تركيبية عربية وهي الأصل هي المكونة من الاسم المبتدأ والاسم المبني عليه (أي الخبر) فهي تنقسم إذن إلى موضعين : موضع المبتدأ وموضع الخبر المبني عليه.

والابتداء يعني هنا التعرية من العوامل اللفظية حيث أن المقياس في التفرقة بين اللفظة المبتدأ بها واللفظة المبنية هو دخول الأفعال والحروف الناسخة عليها وهي التي تحولّها إلى معمول ويصير العامل والمعمول بمنزلة اسم واحد وتكون هذه اللفظة في موضع ابتداء مثلما هو الحال بالنسبة للا واسمها التي يقول فيها سيبويه ما نصه «وأعلم أن لا وما عملت فيه في موضع ابتداء كما أنك إذا قلت هل من رجل فالكلام بمنزلة اسم مرفوع مبتدأ» [53] أما المقياس الذي به تفرق بين المفعول به المبني والعناصر الأخرى التي يعمل فيها الفعل فينصبها مثل الحال والمفعولات الأخرى فهو في إمكانية تحويل المفعول به إلى مبتدأ مع الحفاظ على معنى المفعولية فنقول «ضرب زيدا عمرا» و«عمر وضربه زيد» وكلاهما عربي صحيح وفصيح أمّا بقية العناصر الأخرى كالحال والتمييز والأسماء لمنصوبة فهي مخصصات تضاف إلى البناء إذ لا نستطيع أن نفعل بها ما فعلناه بالمفعول به فإنها زيادات على الألفاظ التي يبنى بها الكلام وهناك شيئان فقط يمكن أن فقدمهما عى الفعل هما المفعول به كما سبق تبيانه والظرف الذي يتوسع فيه ويؤخر ويمكن أن يقوم مقام الألفاظ التي يبنى بها الكلام.

ولعل الجدول الذي نقدمه في الصفحة التالية يوضح أكثر هذه المفاهيم وهو خاص بالبناء الذي يبنى فيه الخبر على المبتدأ [54] .

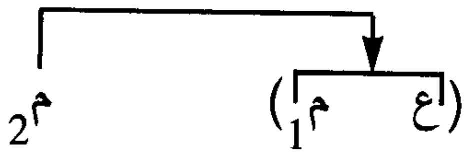
هذا وقد أوجز الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أبنية الكلام في اللغة العربية (في كل اللغات ؟) في رسم بياني حيث قال إن أصغر ما يبنى من الكلام يتلون دائما من عامل (ع) ومعمول أول (م 1) ثم معمول ثان (م 2).

يكون العامل والمعمول الأول اللفظة المبني عليها التي يبتدئ بها الكلام أما المعمول الثاني فيشغل موضع اللفظة المبنية .

أقل ما يبنى من الألفاظ

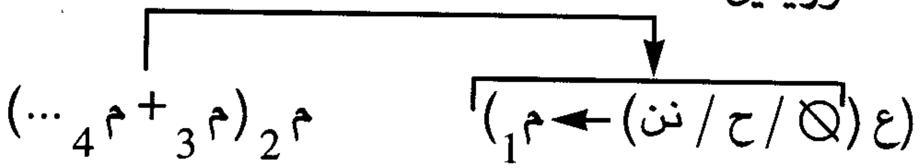
اللفظة المبتدأ — اللفظة التابعة — ألفاظ تابعة ثانوية

موضع عامل الاسم			موضع الاسم المبتدأ				موضع المبني على المبتدأ			ألفاظ تابعة ثانوية
حروف الابتداء	إثبات ???	العامل	أداة التعريف	الاسم	الإعراب		الفصل	حروف الجر	المبني	
∅	∅	∅	الـ	رجلُ	≥	–	∅	–	منطلقٌ	
أ	∅	∅	زيـــد		≥	نْ	هو	–	منطلق	
أ	ما	∅		كِتـــاب	≥	زيدٍ	هو	–	هذا	
ظل		∅	→	أنا (أنت، أنت، هو الخ)		←	–	في	الدار	أمس
∅	ما	∅	→	زيـــد	≥	نْ	–	بـ	منطلق	هنا
	∅	كان	الـ	رجـــل	≥	–	∅	في	الدار	في الدار
أ	ما	زالت	–	بنـــت	≥	خالك	∅	–	ساكنة	
أ	لم	يكن	–	أخـــ	ـو	ك	∅	–	موجودا	
لو	∅	ظل	← [هو] →				∅	–	ههنا	
لو	لم	تكن	← [أنت] →				∅	∅	متأدبا	
← إنّ →			الـ	رجـــل	=	–	∅	–	منطلق	
← لعل →			–	كِتـــاب	=	زيدٍ	هو	في	الدار	
لو	أنّ		الـ	رجـــل	=	–	∅	∅	معكم	اليوم
إنّ	∅	كان	زيـــد		≥	نْ	∅	–	نازلا	غدا
إنّ	لم	تكـــ	ـــونوا ←				∅	–	منطلقين	
→ إنّـــ			ـــه ←				–	–	منطلق	
∅	ليس		الـ	رجـــل	≥	–	–	–	منطلقا	
	لَسْـــ		ـــتُ ←				أنا	–	المنطلق	
∅	∅	∅	–	[في الدار]	–	–		–	رجل	

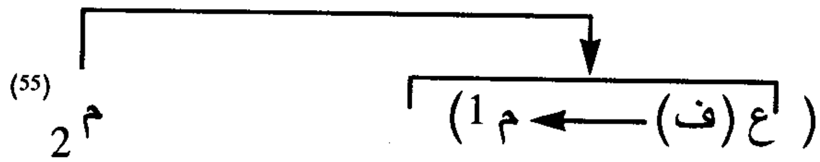


وقد اختصر الأستاذ الحاج صالح كل البنى اللغوية الممكنة في هاتين الصيغتين الصوريتين.

-أ-



-ب-



شرح الرموز:

ع عامل

Ø الإبتداء المطلق (العرية من العوامل)

ف فعل

ن ناسخ

ح حرف

(أ) هي الصيغة التي تحول عندما نحذف كل الزوائد والفضلات إلى الأصل للبناء التركيبي هو المبتدأ والخبر.

(ب) يمكن أن يدخل على هذه الصيغة عدداً كبيراً من العناصر المخصصة.

بين ع (ف) وم 1 ونجد أن الظرف من بينها هو أكثر العناصر توسعا لأنه ينتقل بكل حرية داخل البناء التركيبي. نورد في آخر هامش من هذا الفعل نموذجاً يحلل فيه الأستاذ فقرة بتطبيق هذا النموذج[56].

الفصل الرابع

المفردات والدلالات اللغوية

إلى هذا الحد من دراستنا لم نتناول الكلمة والتركيب اللغوية أي الوحدات التي يتكون منها النظام اللغوي إلا من حيث خصائصها اللفظية البنوية وكذلك وظيفتها البنوية النحوية ولم نهتم بخصائصها المعنوية الدلالية وقد علمنا – وقد أقر ذلك دى سوسور – أن الدليل اللغوي وجهين أو جانبين : جانب لفظي سوري هو الدال وجانب معنوي دلالي مفهومي هو المدلول. ولم يحظ هذا الجانب الدلالي عكس الأول بالعناية الكافية وذلك لأسباب عديدة يعود بعضها إلى انصراف بعضهم إلى دراسة الخصائص البنوية للغات البشرية وبعضهم لعدم توفرالأدوات المناسبة لدراسة هذا الجانب أو لتغافل بعض اللغويين لهذا الجانب في اللغة. وقد فرق القدماء من عرب وعجم منذ العصور الغابرة بين الدراسات النحوية التي تعني بالقوالب البنوية أي البنى اللغوية (بنى وتركيب) للكلام وتضبط قوانينها وبين الدراسات اللغوية التي تهتم بدراسة اللغة أي مفرداتها.

لذلك يجدنا القارئ، في هذا الفصل، نستعمل مصطلح المفردة بصفتها وضعا من الأوضاع اللغوية ولا نلجأ إلى الاعتبارات اللفظية النحوية إلا عندما تقتضي الحاجة إلى ذلك.

هذا ويتبين الدارس أن العناية بالجانب الدلالي في اللغة اتجهت نحو اتجاهين بارزين، اتجاه يعنى بدراسة الكلمة في دلالاته من حيث هي مفردة موضوعة لتدل على معنى واتجاه يحاول أن يكشف عن الكيفيات التي بها يمكن أن تنتظم الدلالات اللغوية.

أما الاتجاه الأول فتنضوي ضمنه الدراسات الإفرادية التي تدرس مفردات اللغة فتبحث عن أصلها ومعانيها وتغير هذه المعاني وتطوّرها وذاك هو علم

المفردات أو علم اللغة كما يقول العلماء العرب القدماء [57] ونجد أيضا علم صناعة المعاجم [58] وهو علم معروف منذ العصور القديمة، عرفته كل الحضارات والشعوب منذ أن فكر العلماء في جمع لغاتهم وحفظها في القواميس والمعاجم.

وقد ازدهر هذا العلم أيما ازدهار في الحضارة العربية واعتنى به الكثير من اللغويين القدماء فوضعوا المعاجم والقواميس ولعل أشهرها وأقدمها في نفس الوقت معجم العين للخليل بن احمد الفراهيدي وقد تبعه واقتفى خطاه العديد من العلماء فوضعت معاجم لا تزال إلى يومنا هذا من الأدوات الهامة التي لا يستغني عنها البحاث والدارس للغة العربية نذكر على سبيل المثال الصحاح للجوهري وتاج العروس للزبيوي ولسان العرب لابن منظور [59].

ومع أواخر القرن الماضي وبوادر القرن الحالي بدأ اهتمام العلماء يتجه نحو دراسة الدلالات اللغوية في حد ذاتها محاولين اكتشاف العوامل التي تساهم في بلورتها والقوانين التي تنتظم بفعلها. وبدأت الدراسات اللغوية تستقل لتشكل مجالا دراسيا قائما بذاته هو علم الدلالة [60].

وعلى الرغم من الصعوبات التي يجدها الباحث عند تناوله للجانب الدلالي في اللغة لتدخل عوامل متعددة لغوية وغير لغوية في تكوينه فان علم الدلالة وهو فرع من فروع اللسانيات يهدف الى الوصول إلى إرساء قواعد نظرية تفسيرية شاملة للظواهر الدلالية في اللغات البشرية.

أجناس المفردات وأصنافها

الكلمة تنقسم إلى اسم وفعل وحرف من حيث ماهيتها اللغوة أما من حيث موقعها في مدرج الكلام فيمكن أن تكون فاعلا أو مفعولا الخ... أما إذا كنا ننظر إليها من منظور آخر هو منظور الدراسات الإفرادية فإن المفردات تصنف أصنافا عديدة متعددة اعتبارا لأصلها ومعناها وثبوتها أو عدم ثبوتها في متن اللغة المعنية.

فعندما ما نقوم بالبحث التأثيلي التأصيلي للمفردة نحدد أصلها وبالتالي نفرق فيها بين ما هو أصلي ينتمي لأوضاع اللغة المعنية وما هو دخيل أي أن أصله من غير اللغة المعنية. وتعرف كل لغات العالم هذه الظاهرة وهي ناتجة

عن الاتصال الذي يتم بين الشعوب والأمم حيث تتداخل الحضارات فتقتبس كل لغة ما تحتاج اليه في اللغة الأخرى. فنجد مثلا في اللغة العربية ومنذ العصور القديمة الكثير من المفردات الدخيلة والمعربة [61] مثل أستاذ (من الفارسية) وفردوس (من الإغريقية) إلخ ؛ مثلما نجد في اللغة الفرنسية الكثير من الكلمات التي أصلها عربي.

alcool, amiral, magasin, mesquin, algèbre.

أما إذا نظرنا الى المفردة من حيث معانيها فنجد أن في كل لغة هناك عددا من المفردات التي تتفق شكلا أي الشكل (الصوت والكتابة) وتختلف في المعنى مثل في اللغة العربية مفردة «عين» التي تعني عين البصر وعين القلب (البصيرة) وعين الماء (المنبع) وكذلك مفردة ساق التي تدل على الجزء من عضو الانسان الموالي للقدم الى الركبة والفعل الماضي الدالة على السياقة. أما في اللغة الفرنسية فنجد (إلى) vers (أخضر) vert (نوع من الفرو vair (الدودة) ver وتسمى هذه الظاهرة في الاصطلاح ظاهرة الاشتراك[62] والظاهرة المقابلة لاشتراك هي ظاهرة الترادف [63] التي تجعل للمعنى الواحد عدة مفردات تدل عليه مثل ما نجده في اللغة العربية من مسميات عديدة للإبل والأسد وكذلك في مجال آخر استعمالنا لقعد وجلس للدلالة على نفس الحدث. أما في اللغة الفرنسية نجد

(نهى) défendre / interdire، (فهم) comprendre / entendre (خاف) craindre/redouter...

وتتطور الحضارات وتظهر مستحدثات جديدة واحتياجات جديدة تحتاج الى مسميات فنلجأ إلى الرصيد اللغوي من المفردات ما يقدمه النظام اللغوي من وسائل الاشتقاق والنحت فنبتكر الكلمات والمفردات الجديدة أو نطور معاني المفردات المثبتة بعد في متن اللغة ونخرجها تخريجات جديدة وذلك هو المولد [64]. فنجد العرب في هذا العصر يستعملونه مفردة القطار للدلالة على نوع من أنواع النقل الحديثة في حين أن المفردة نفسها كانت في القديم تدل على قافلة الإبل أما إذا أردنا أن نمثل للمولد من المفردات الجديدة فنجد مفردة الحاسوب تستعمل للدلالة على مفهوم computer أو ordinateur تلك الآلة التي غزت حياتنا اليومية في كل المجالات.

أما إذا درسنا المفردات من حيث دلالاتها فنجد أن كل واحدة منها وضعت لتدل على المعنى المثبت في معجم اللغة المعنية أي المعنى الأصلي المعروف وضعا واصطلاحا. وهو المعنى الذي نستشقه من قيمة المفردة داخل النظام اللغوي تتميز به عن بقية المفردات الأخرى ولكنها تكتسي عند استعمالها دلالة او دلالات اخرى إضافية عند إدراجها في سياق الفعل الكلامي. ذلك ان معناها يتحدد أيضا من خلال المقام والسياق الذي ترد فيه المفردة. على القارئ أن يتأمل مثلا الاستعمالات المختلفة لمفردة نظر في اللغة العربية.

ونجد كذلك أن هذه الدلالة الأساسية تدعم بقيم عاطفية فردية أو جماعة تضاف لها فتجعل معناها ينتقل من دلالته الأصلية النظامية والسياقية الى معنى مجازي يلعب دورا كبيرا في الافادة والتبليغ [65].

دراسة بنوية للمعاني اللغوية ؟

ولإن كان جلُّ اللسانيين يجمعون على أن معجم اللغة أي مفرداتها لا يمكن أن يكون مجرد قائمة أو ركام من المفردات ينهل منها المتكلمون عند الحاجة فإنهم مع ذلك يقرون أنه لا يمكن أن يخضع إلى نفس التنظيم الذي تخضع له أصوات اللغة أو بناها النحوية ففي هذا الصدد يقول مارتيني «يبدو صعبا ان نختزل المعجم الى عدد من الأنماط البنوية (مثلما هو الحال بالنسبة للأصوات او النحو)» [66].

ويذهب بلومفيلد إلى أبعد من ذلك إذ يؤكد على صعوبة الإحاطة بالدلالات اللغوية لأنها نتاج حضا رة تتدخل في تحديدها كل المعارف فهي أكبر مما تحصى في مجال الدراسات اللغوية وحدها ففي نظره «لكي يتسنى لنا تحديد دلالة صيغة لغوية معينة تحديدا علميا دقيقا لا بد لنا من معرفة علمية حقيقية بكل ما يشكل عالم المتكلم، بيد أن المعرفة البشرية محدودة اليوم إذا ما قورنت بسعة هذا العالم» [67] وما دامت معارفنا اليوم لم تصل الى مستوى يسمح لها بالاضطلاع على هذه السعة فإنه من المستحسن أن نرجئ دراسة المعنى الى مرحلة لاحقة وقد جاوزه تلاميذته من اللغويين التوزيعيين الى أن تحاشوا الاعتماد على المعنى وأبعوده تماما عن دائرة اهتمامهم، ومع ذلك وعلى الرغم مما يمكن ان يجده العلماء من صعوبات عند تناولهم المستوى

المعنوي في اللغات الطبيعية بالدراسات والتحليل فانهم أولُوهُ اهتماما معينا وحاولوا بناء النظريات وتوضيح الأسس والمبادئ التي تنظمه، نعرض بعضها في الفقرات التالية :

1- النظرية المقامية

يقول بلومفيلد وهو يعرض نظريته فى الدلالات اللغوية محتاجا بصعوبة الوصول الى تحديدها ما يلي «ان دلالة صيغة لغوية ما إنما هي في المقام الذي يفصح فيه المتكلم عن هذه الدلالة والرد اللغوي أو السلوكي الذي يصدر عن المخاطب» [(68)] فلمعرفة هذه الدلالات ينبغي على العالم أن يستقرئ جميع المقامات التي تستعمل فيها هذه اللغة وحصرها وذلك عمل يكاد يكون مستحيلا لضخامته ولعدَمِ توفر الأدوات العلمية اللائقة به فاستنتج بلومفيلد مثلما أوضحنا ذلك أعلاه أنه ينبغي أن نرجئ الاهتمام بالمعنى الى حين نمتلك الأدوات اللازمة لذلك. وإن كنا نقر مع بلومفيلد أن للمقام دورا كبيرا في تحديد الدلالات اللغوية فانه لا ينبغي على حد تعبير سالم شاكر «قبول الأطروحة القائلة بوجود حتمية ضيقة وآلية بين المقام والقول : ذلك أنه من الواضح ان مقاما قد توافقه صيغ لغوية مختلفة (والعكس بالعكس)» [(69)]

2- النظرية السياقية

تعتمد هذه النظرية أو يعتمد أصحاب هذه النظرية في تحديدهم للدلالات اللغوية على المنهج الذي اشتهرت به الدراسات الفيلولوجية في تحقيقها للنصوص القديمة فيرون انه يجب لتحديد وحدة لغوية ان نتتبع ونستقرئ جميع السياقات التي تحققت فيها. يقول الفيلسوف النمساوي الأصل فيڤنشتاين «ليس للكلمة دلالة بل لها استعمالات ليس إلا» [(70)]. ويقول سالم شاكر في هذه النظرية ما يلي «ان هذه الأطروحة تنضوي على فائدة عظمى لما لها من صرامة، كما أنها تخبرنا عن واقع الاستعمالات اللغوية إخبارا جيدا، علما بان الطفل والكهل لا يتمثلان ولا يحددان معنى الوحدة اللغوية إلا بواسطة استخدامها في سياقات جديدة» [(71)].

وتعتبر هذه النظرية أكثر النظريات الصورية صرامة في تناولها لمشكل المعاني اللغوية وهي على الرغم من الانتقادات التي وجهت اليها كمثل صعوبة تطبيقها ومعجم اللغة واسع جدا تتغير فيه السياقات باستمرار بتغير

ظروف التبليغ والتعبير وكذلك مغالتها في الاعتماد على السياق لتحديد معنى المفردة لأن لهذه الاخيرة معنى أوليا هو المعنى المعجمي الأصلي... قد أثبتت نجاعتها في بعض الدراسات الدلالية التي تهتم ببعض الظواهر المعجمية مثلما هو الحال عند الفصل بين المترادفات أو عند دراسة عدد محدود من المفردات في مدونة مغلقة وواضحة المعالم.

3- نظرية السمات المعنوية

تعد هذه النظرية أحسن مثال لإيمان اللغويين بإماكنية تنظيم المستوى الدلالي في اللغات البشرية وأكبر ممثل لهذه النزعة هو اللغوي الدانماركي يامسلاف[72] فقد انطلق هذا اللغوي من الفكرة التي تؤمن بوجود توازن مطلق بين مستوى اللفظ ومستوى المعنى في اللغة (التعبير والمضمون عند يامسلاف) فمثلما حلل اللغويون المستوى اللفظي الى قطع صغيرة دنيا يستطيعون تحليل المستوى الدلالي الى أن يصلوا إلى أصغر القطع التي ما بعدها تحليل ولا تقطيع وقد سماها يامسلاف السمات المعنوية وصور ذلك في الخطاطة التالية.

المادة	الصورة	الصورة	المادة
غير لغوي	الدال	المدلول	غير لغوي
	الحروف	السمات	
التعبير		المضمون[73]	

والذي يمكن أن نجسده في المثال التالي :

المادة	الصورة	الصورة	المادة
الدال اللفظي	[الفرس] *faras*	"فرس" المدلول	الفرس الحيوان
الأصوات في ماهيتها المشخصة	الصورة الصورتية	من ثدييات خيل	الموجود في الطبيعة
الفيزيولوجية	الحروف ف ر س فتحة	حصان ...	
والفزيائية	*f r s...*		
التعبير		المضمون[74]	

وقد تكون لهذه الطريقة في تحليل المدلولات اللغوية فوائد ومزايا معتبرة وكثيرة إلا أن لا يلمسلاف ولا أتباعه الذين اعتمدوا هذه الطريقة خصصوا لها دراسة مستفيضة، اكتفوا بإشارات حول التعمق فيها. وأغلب أمثلتهم مقتبسة من الميادين المعجمية المنظمة المغلقة والتي يسهل بالتالي تطبيق هذه النظرية عليها كأسماء النباتات والحيوانات او تصوير العلاقات العائلية الاجتماعية الخ....

وربما يكون نوام تشومسكي عند وضعه لنظريته الدلالية المبنية هي الأخرى على مفهوم السمات قد تأثر بأفكار يلمسلاف اذ إننا نجد في بعض مؤلفاته وفي مؤلفات تلاميذته كاتز وفودور تطويرا لنظرية السمات الدلالية ولكنتهم بالغوا في التحليل والتجريد إلى حد أفقدوا نظريتهم كل فعالية ولم يقدموا بالتالي مساهمة فعالة في حل مشاكل التحليل الدلالي.

العلاقات بين المدلولات : مفهوم الحقل او المجال

إن المحاولات التي تهدف الى تنظيم الدلالات اللغوية وبنائها تبلورت كلها في اطار مفهوم المجال او الحقل الذي يتشكل بفعل العلاقات التي يمكن ان تربط المدلوات اللغوية فيما بينها داخل النظام اللغوي.

وأول من أشار الى وجود هذه العلاقات هو دي سوسور حيث بين أن المفردات يمكن ان تدرج في نوعين من العلاقات : علاقات مبنية على التشابه في الصورة وعلاقات مبينة على التشابه في المعنى.

اما العلاقات الأولى فهي التي تربط مثلا enseigner بـ enseignement الخ في حين أن العلاقات المبنية على .... تربط مفردات مختلفة تدل على معنى مماثل أو مقارب مثل enseignement و apprentissage و formation وقد سمي دي سوسور هذا النوع من العلاقات بالعلاقات الاشراكية [75]

والحقيقة ان كل الدراسات التي تناولت هذه القضية بالبحث نهجت نهج دي سوسور فبعضها اهتم ببناء أو إظهار العلاقات الصورية الحاصلة بين المدلولات والبعض الآخر اهتم ببناء المجالات الدلالية المعتمدة على المعاني والمفاهيم.

1- المجالات او الحقول الدلالية

يعرف جورج مونان في مؤلفه «مفاتيح الى علم الدلالة» الحقل الدلالي قائلا «انه نظام دلالي مغلق يتكون من وحدات تبليغية ينظم بكيفية تجعل كل وحدة تشترك مع الوحدات الأخرى بصفة محددة على الأقل وتقابلها بصفة على الأقل مثلا لو أخذنا مثالا في حقل العربات نجد[76] تمثيلا لهذا، حقل العربات حيث أن كلا من السيارة والشاحنة والحافلة تتفق في صفة وتختلف في أخرى :

سيارة	شاحنة	حافلة
1 تسير بمحرك	تسيرمحرك .	تسيرمحرك
2- أربع عجلات	أربع عجلات أو أكثر	أربع عجلات أو أكثر
عدد الركاب أقل من 10	بضائع	عدد الركاب أكثر من 10 [77]

ومع ذلك يأخذ الأستاذ سالم شاكر على هذه المحاولات مآخذ عدة منها «ان المعايير التي تسمح بافتراض وجود حقل دلالي ما ليست معايير لسانية ذلك ان الاهتداء الى الحقول الدلالية انما تم بفضل عملية تصورية (غير صورية) او باللجؤ الى العلوم المجاورة... زيادة على هذا فان جعل هذه الحقول يحاذي بعضها ببعض ينضوي على تصور ساذج وخاطئ، فثمة تداخل غير متناه بين الحقول : فالوحدة قد تنتمي الى عدة نظم صغرى في ذات الوقت. فكلمة سيارة مثلا تنتمي في ذات الوقت الى حقول العربات، الأشياء الصناعية، الاشياء ذات محرك ... لذا فان بناء الحقول الدلالية المغلقة لا يمكن ان يكون سوى مقاربة جزئية بالنسبة لقضية العلاقات بين الأدلة»[78].

2- المجالات او الحقول المعجمية او الصورية

كما تبين أن بناء الحقول الدلالية يوقع في مآزق نظرية وتطبيقية لا يستطيع الباحث التخلص منها الا باعتماد مقاييس لسانية صورية تبدو اكثر موضوعية من الاولى ، انصرف الباحثون الى توضيح العلاقات بين المدلولات المبينة على المظاهر الشكلية في الخطاب.

فجمعوا كل المفردات التي جاءت على صيغة واحدة او تجمعها خاصية صورية واحدة مثلما هو الحال في اللغة الفرنسية *boulangerie - crémerie - épicerie - boucherie* الخ. فكل هذه المفردات تنتهي بنفس اللاحقة /rie / او مثلما نجد في اللغة العربية الكلمات التي تشترك في نفس الوزن الذي يدل على معنى من المعاني مثل مطرقة وملعقة وممحاة الخ. أو المفردات التي تجمعها مادة اصلية واحدة معلم ومعلمة وعلم وتعليم إلخ. révolution - révolutionnaire إلخ.

وغني عن البيان أن هذه الطريقة معروفة منذ زمان وهي مبنية على قوانين الصرف والاشتقاق. ومعظم المعاجم تعتمدها لتصنيف المفردات. وهناك اتجاه ثان في مجال جمع المفردات والمدلولات يعتمد على السياقات التي تقع فيها المفردة وقد اقترح جان ديبوا الاعتماد على سياقات الجمل. وقد تمثل منهجه في البحث داخل المدونة عن سياقات الجمل التي تمكنه من استخراج العلاقات بين وحدات المعجم الاجتماعي والسياسي الذي اعتمده حقلا للدراسة [79].

ويقول الأستاذ سالم شاكر في هذه الطريقة ما يلي «على غرار كل الابحاث التي سبق فحصها فانه لا ريب في أن هذه المحاولة تمثل منهجا خصبا لبناء نظم مغلقة معطاة سلفا. ولكنها، مع ذلك، لا تسمح ببناء سوى جزء من الأنظمة المعجمية والدلالية المغلقة ولا تمكننا من بناء حقول دلالية شاملة. وهذا ما خلص اليه العديد من اللسانيين منذ أن أمد لا يستهان به... ومن جهة أخرى فإنه من الواضح أن هذه المناهج الصورية لا يمكنها أن تفرز سوى قيم (بالمعنى السوسوري) كما أن هذه المناهج تضرب صفحا عن قضية التجديد الايجابي للمدلول والتي تبدو أنها مقصورة على التحاليل المفهومية الصرفة» [80].

في الاخير، يمكن القول انه مهما كانت هذه المحاولات كلها جذيرة بالاهتمام يعترف لها انها حاولت ان تدرس هذا الجانب الصعب المنال في الألسنة البشرية لتشعب اطرافه وتداخل عناصره. والواقع أن التوازي المطلق بين مستوى الدال ومستوى المدلول امر مستحيل ويمكننا الاعتقاد أن القواعد التي بفضلها وبفعلها تصبح البنية اللسانية دالة وقادرة على تصوير البنية الفكرية بالغة التعقيد.

ويظل بالتالي المعنى ظاهرة مجردة صعبة المنال ومتشعبة الجوانب تتداخل في تكوينها مختلف المستويات اللغوية من صوت ونحو وتركيب ومدلول فلا يمكن ان نقتصر على محور واحد أو زاوية واحدة نتناول من خلاله او من خلالها هذه الظاهرة وقد أفرزت هذه الصعوبات كلها تفكيرا ابيستمولوجيا خصبا وعميقا ألقى الضوء على الظاهرة نفسها التي هي موضوع علم اللسان اي اللسان وأدى هذا التطور في التفكير الى التوجه الدراسات اللغوية نحو اتجاهين اساسيين هما :

1- اتجاه يختص بدراسة المدلولات الافرادية والتركيبية داخل النظام اللغوي تلك هي الدلالات اللسانية.

2- اتجاه يهتم بالمعاني المقصودة اثناء تحقيق الكلام في الأفعال الكلامية تلك هي الدلالات الكلامية.

وينضوي هذا التجاه اي الاتجاه الثاني ضمن تيار جديد ظهر في السنوات الاخيرة يريد به أصحابه أن تكسر الحواجز بين الدراسات النحوية والدراسات الدلالية بدراسة اللسان أثناء تحقيقه وعلاقته بالمتكلمين المستعملين له.

الهوامش

الفصل الأوّل

الأصوات والحروف

1) علم الأصوات أو الصوتيات Phonétique

الصوتيات الفيزيولوجية Phonétique physiologique ou articulatoire

الصوتيات الفيزيائية Phonétique acoustique

الصوتيات السمعية Phonétique auditive

أصبحت هذه المصطلحات شائعة ومستعملة، على القارئ أن يرجع إلى المعجم الموحدّ.

ونحن في عرضنا للتحليل الذي يسلط على المظهر الصوتي الملفوظ للغات الطبيعية مدينون لهذا لمعجم كثيرا ولأستاذنا الجليل أيضا من خلال مذكراتنا عن دروسه التي سبق ذكرها غير ما مرّه في هذا المؤلف.

ولمزيد من التوضيح وخدمة للعلم والمعرفة نورد ملحقا لعملنا هذا فهرسا لهذه المصطلحات وكل المصطلحات التي نستعملها في مختلف أبواب هذا المؤلف وفصوله مع مقابلاتها الأجنبية.

2) هناك آلات كثيرة تستعمل عند تحليل الصوت تحليلا فيزيائيا منها المهزاز oscilloscope يحلل الصوت إلى مختلف الترددات ثمّ المشباح sonagraphe الذي يظهر من خلال شبح الصوت مثلما نجده في الرسومات التي أوردناها.

واليوم تستعمل بالإضافة إلى هذه الآلات، آلات متطورة تجمع بين المشباح والحاسوب لتحلّل الصوت وتعيد تركيبه مستغلة آخر ما وصل إليه العلم في هذا المجال.

لمزيد من التوضيح والتفصيل انظر مؤلف أستاذنا :

E. EMERIT, (1977), Cours de Phonétique Acoustique, S. N. E. D., Alger.

3) شبح الأصوات الموجودة في جملة من اللغة الفرنسية (Qui est là chez toi ?). هذا الرسم مأخود من مؤلف E.EMERIT الذي ذكر في الهامش السابق.

4) حظينا أثناء حضورنا لمحاضرات الأستاذ الحاج صالح بهذا النص الهام الذي يحدد مفهوم الأوتار الصوتية ويوضح وظيفة هذا العضو في إحداث الأصوات اللغوية.

اعتاد علماء الأصوات، في وصفهم للجهاز الصوتي، الابتداء بالأوتار الصوتية، إلا أن هذه التسمية ليست في الحقيقة إلا ترجمة حرفية لـ cordes vocales الفرنسية، أما الذي أعطاها هذا المصطلح فهو العالم Ferrein كما هو مستفاد من مقالة نشرها في مجلة المجمع العلمي الفرنسي لسنة 1741 بباريس.

فقد شبه هذا العالم الشفاه الموجودة داخل الحنجرة والتي تهتز فينتج عنها الصوت بأوتار آلات العزف.

فهل عرف العرب القدماء هذه الأوتار الصوتية ؟ وهل عرفوا بنيتها ووظيفتها ؟ يجيب العالم الفرنسي CANTINEAU صاحب كتاب *Cours de Linguistique arabe* بالإثبات ؛ ولا بد من الرجوع في ذلك الى كتب القدماء (للاطلاع على المصطلحات التي أعطوها للأوتار الصوتية) يقول سيبويه : «أما الالف والهاء والهمزة فانها من أقصى الحلق». فهو لا يبين ماذا يوجد في داخل اقصى الحلق، غير ان الانصاف يقتضي أن نشير الى ان أقصى الحلق الذي يعتبر حدا لما بين الجوف والفم يقع في مستوى الأوتار الصوتية. فسيبويه وإن لم يسم الأوتار الصوتية بمثل هذه التسمية (وهي تسمية خاطئة كما سنراه ولكن العادة اقتضت استعمالها) فقد تفطن لذلك وأحل الأصوات التي تحدث بها هذه الأوتار محلها الحقيقي.

وبالاعتماد على مخطوطة لحمزة الاصفهاني سماها الموازنة بين العربية والفارسية، نرى ان الخليل –وقد تعرض له المؤلف – يسمي الأوتار الصوتية «شوارب» ويقول عنها إنها عروق تقع في رأس الحلقوم وهي مخرج الصوت [السـاذج].

وقد تبين لعلماء الأصوات أن ما يسميه الأوروبيون cordes vocales ليست أوتارا وإنما هي عضلات تتذبذب وباهتزازها السريع جدا يحدث الصوت. والحقيقة أن هناك جلدة تقع في حواشي هذه العضلات وهي التي تهتز وتذبذب كما دل على ذلك التصوير الراديو سينما توغرافي (السريع اللقطات). ولقد سبقت الاشارة إلى أن سيبويه يسمي الصوت الحادث في مستوى الشوارب بصوت الصدر لعلاقة المجاورة بينهما، والواقع أنّ هذه التسمية من باب التجاوز وهي مألوفة عند نحاة العرب وعلمائهم، فالحروف التي يسميها الخليل، مثلا، لَثَوِيَةً، يصفها سيبويه بأنها تقع بطرف اللسان وأطراف الثنايا العليا وليست من اللثة وإنّما صداها يحدث بجواز اللثة.

فلو اعتمدنا على ما ذهب إليه الخليل، فمعنى ذلك أنّ اللسان يعتمد في هذه الحالة على مغارز الأسنان، والحقيقة غير ذلك، وإنّما الاعتماد يكون على أطراف الثنايا، فهذا حينئذ نوع من التجاوز على الباحثين أن يتفطنوا له.

أما الأطباء العرب المتأثرون بالثقافة اليونانية فإنّهم شرّحوا الحنجرة ونخص بالذكر منهم ابن سينا الذي اعتمد على كتاب جالينوس Gallien منافع أعضاء الانسان وقد ترجمه حنين بن اسحاق الى العربية. ويشبه جالينوس الأوتار الصوتية بلسان المزمار ويسمي الأوتار نفسها glottis أي اللسان الصغير الموجود في داخل المزامير. فلسان المزمار الذي يتحدث عنه جالينوس والشوارب ليسا في الحقيقة إلاّ تسميتين لشيء واحد وهو ما يسميه الغربيون خطأ الأوتار الصوتية. فابن سينا استساغ تسمية جالينوس، وأدرجها في المصطلحات الطبية العربية، فحذا حذوه بعض الباحثين إذ أنهم أسقطوا لفظ لسان واحتفظوا بالمزمار (فقالوا في cordes vocales مزمار فقط).

والأوتار الصوتية تقع داخل الحنجرة التي هي عبارة عن مجموعة غضاريف تكون بمثابة الدرع من شأنها أن تقي الأوتار، وتكون ناتئة عند الرجل. وتدعى من حيث المظهر الخارجي بالحرقدة.

والأوتار الصوتية تحدث عند اهتزازها ما يسمى بالصوت الانساني الساذج الذي هو «صوت الصدر». إلا أن هذا الصوت يخرج من الحنجرة حادا تنفر منه الأذن. وبمروره بالتجاويف العليا في

الفم والانف يكتسب الجرس المطرب اللذيذ فيصير له وقع حسن في الأسماع، إذ أنّ لتلك التجاويف دورا في جعل الصوت مستلذا مثل الدور الذي تلعبه أوعية المعازف التي تركب بين عناصر الصوت المختلفة عند انعكاس التموجات الصوتية في داخلها وتواردها على مورد واحد وهذا ما يسمى بظاهرة الرنين أو الصدى».

5) نحن مدينون مرّة أخرى لأستاذنا الجليل بالنسبة إلى هذه الرسوم.

6) مصطلح المخرج إذا كان مصاغا على وزن اسم المكان كأن نقول مخرج الجيم هو الشجر وما يحاذيه من ظهر اللسان فنريد مكان حدوثه أو خروجه، أمّا إذا قلنا مع سيبويه إن مخرج الميم أجلد من مخرج الباء (أنظر الكتاب، الجزء 4، ص. 434) فهنا نعني كيفية إخراج الصوت وحدوثه.

سيبويه، الكتاب. تحقيق عبد السلام هارون. مكتبة الغانجي القاهرة.

7) يقول سيبويه في الكتاب، الجزء الرابع، الصفحة 434 :

«حرف رخو لرخاوة التلفظ به وعدم الاصطكاك ... وكذلك إن قلت طس وانقص وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت ... حرف شديد الاصطكاك الغصوى العنيف وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه».

أمّا ابن سينا فيقول في رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمّد حسان الطيان ويحي مير علم، عن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة 1983، عن الحروف الحبسية (الشديدة عند سيبويه) والتسريبية (الرخوة عند سيبويه) مايلي :

«وذلك لأن زمان الجنس التام لا يمكن أن يحدث فيه صوت حادث عن الهواء وهو مسكّن بالحبس ؛ وزمان الإطلاق ليس فيسمع فيه شيء من هذه الحروف لأنها لا تمتد البتة، إنما هي مع إزالة الحبس فقط، أمّا الحروف الأخرى فإنها تشترك في أنّها تمتد زمانا وتفنى مع زمان الإطلاق العام ...». ص. 61 ـ 62.

8) يقول سيبويه في المجهور في الجزء الرابع من الكتاب، ص. 434 ما يلي : «إنّ المجهور ما أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينتفض عليه ويجري الصوت». ويشرح السيرا في كلام سيبويه قائلا : «إنما الفارق بين المجهور والمهموس أنك لو تصل إلى تبين المجهور إلاّ أن يدخله الصوت الذي لا يخرج من الصدر». (نقلا عن الأستاذ الحاج، مذكرات الدروس، سنة 1972).

9) لمزيد من التفاصيل والتوضيح في مسألة الحركات العربية، انظر مقال الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في العدد الأول من المجلد الأول سنة 1971 وعنوانه :

- *La notion de syllabe et la théorie cinético- impulsionnelle des phonéticiens arabes*

10) اقتبسنا هذه الرسومات عن اللغوي G. STRAKA الموسوم *Album Phonétique* الصادر عن مطبوعات جامعة لافال، كندا، سنة 1965.

11) الصوتيات الوظيفية أو الفنولوجية كما يقول البعض تعريبا لـ Phonologie، فرع من فروع الدراسات الصوتية لا يهتم بالأصوات في حد ذاتها بل بوظيفتها داخل النظام اللغوي

وظيفتها أي دورها في التبليغ والإفادة. الفضل في وضع اللبنة الأولى لهذه الدراسة يعود إلى اللغويين المؤسسين لحلقة براغ، أشهرهم رومان ياكبسون وتروباتزكوي صاحب المؤلف المشهور :

N. S. TROUBETZKOY, (1970), Principes de Phonologie, traduction française, Klincksieck, Paris.

12) بفائق التقدير والاحترام نورد هنا مقتطفات من درس أخذناه عن أستاذنا الجليل سنة 1972 ويقول في مبدأ الفضلية Principe de pertinence «إن الفرق بين الصوت اللغوي المسموع وبين الحرف أو ذات الحرق ينحصر في صفات خاصة يختص بها الحرف دون حروف أخرى. فالحرف حسب المفاهيم اللغوية لعلم اللسان هو صورة وهيئة لجميع الأصوات التي تدخل في باب واحد، أي في جنس واحد أو ضعف واحد. والحرف ما هو إلاّ لقب لجنس من الأصوات.

فالحرف هو مجموعة من الأصوات تتصف بنفس الصفات (اسم الباء، مثلا، يدلّ على الجنس أو الصنف من الأصوات التي تخرج من الشفتين وذلك بإطباقها وحبس الهواء ثمّ إطلاقه بفتح الشفتين). غير أن هذه الصفات ليست كلها متساوية فهناك صفات ذاتية وهناك صفات عارضة أو عرضية.

فالصفات الذاتية هي الصفات التي تخص ذات الحرف وتميّزه عن حروف أخرى وهي لا تزول وإلاّ لزال الحرف بزوالها (صفة الشفوية لحرف الباء هي صفته الذاتية، صفة الجهر وهي صفة ذاتية لحرف الزاي في اللغة العربية، صفة الهمس هي صفة السين الأساسية بالنسبة إلى الزاي لأنها تميّزها عن الزاي إذن مخرجهما واحد فلا تتميزان إ لاّ بهذه الصفة).

ونستطيع أن نشير إلى صفة الحرف الذاتية بكلمة «الفضيلة» كما فعل «النحاة العرب»، فيقولون مثلا إن فضيلة الصاد على السين هي الإطباق أو التفخيم، أي الصفة التي تمتاز بها الصاد عن السين هي التنغيم.

ومبدأ الفضلية (principe de pertinence) أساسي في كل اللغات، فكل التحليلات الصوتية بنيت على هذا المبدأ.

والملاحظ أن الصوتيات المحضة لا تلتفت إلى هذا المبدأ ولاتلتفت إلى الصفات الذاتية ... للحروف وإنّما تهتم بالأصوات في ذاتها، أي من حيث ماهيتها الفيزيائية وكيفية حدوثها، وتنظرإلى الصفات الذاتية والعرضية للحروف على السواء.

وهي لاتقتصر على هذه المتقابلات، وبما أنّ الصفات الذاتية هي التي تميز بين الحروف فتجعل منها أجناسا من الأصوات المتمايزة، فإنه يمكن حينئذ لِصوتين مختلفين أن يدخلا في جنس واحد من الحروف ولا يَنْجَرُّ عن ذلك تغير في المعنى فالجيم في العربية ينطق بها، g و dz و dj و j وزايا وحتى ياءا عند البعض وحرف R في الفرنسية يلفظ به غينا في باريس وراءا في جنوب فرنسا.

غير أن هذه الأصوات (أو هذه المخارج) تندرج في جنس واحد هو حرف الجيم في العربية وحرف R في الفرنسية رغم تمايزها الصوتي ولا يتغير المعنى في «الاستعمال». أمّا فيما يتعلق بصوتي الراء والغين في العربية حرفان متقابلان من حيث المخرج، فالعربي يفرق بين الراية أي العلم والغاية أي المراد أو الهدف، في حين أن صوتي *g* و *j* في الفرنسية يمثلان حرفين متقابلين حيث أن الفرنسي يفرق بين gant (القفاز) و gens (الناس).

13) أنظر شرح شافية ابن حاجب، تأليف الشيخ رضي الدين محمّد بن الحسن الاستراباذي تحقيق محمد نور الحسن، محمد الزفراف ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الجزء الثالث، ص. 270

14) أنظر ياكبسون، مرجع سبق ذكره، ص. 108

15) المدوّنة corpus تمثل حصيلة النصوص (الصائتة والمكتوبة) بمختلف أنواعها التي يكون اللغوي قد جمعها قصد إجراء التحليلات المختلفة عليها. والمصطلح قديم، استعمله العرب القدماء ولا يزال شائعا إلى يومنا.

16) منذ عهود قديمة، احتاج الإنسان إلى رسم الأصوات التي يتلفظ بها وسمعها، فاخترع النظم المختلفة للكتابة التصويرية (المصرية القديمة والصينية) والمسمارية (في الحضارة الأشورية). وأخيرا الأبجدية (ونظمها مختلفة ومتعددة تعدّد الحضارات التي اعتمدتها). ولكن ولأسباب ترجع إلى تاريخ هذه النظم وتصورها، ما فتئ البون بين رسم اللغات الكتابي والنطق بها يزداد مع مرّ السنين.

لذلك لدراسة أشكال النطق المختلفة للأصوات اللغوية، احتاج العلماء المختصون إلى اختراع نظام آخر لتسجيل كل هذه الأشكال. وبعد محاولات عديدة، تم في السنوات المتراوحة بين 1886 و1900 اعتماد الأبجدية الصوتية العالمية، (Alphabet phonétique international)، التي وضعها العالمان D. JONES و P. PASSY وتم اعتمادها في كل الدراسات. إلاّ أنّ هناك نظاما آخر كثير الاستعمال عند العلماء الذين يشتغلون على العربية أي المستشرقين الذين وضعوا نظاما خاصا نجده مستعملا في كلّ أعمالهم كما يمكن الحديث عن المحاولة التي قام بها الاستاذ الحاج صالح، حيث وضع نظاما للكتابة الصوتية استعمل فيه الرسم العربي للحروف. للمزيد من التفصيل في مسألة الكتابة الصوتية، أنظر المجلد 16 من Encyclopedia Universalis, Paris1980.

17) سبق وأن تحدثنا عن هذه الظاهرة الطبيعية في كلّ اللغات عند تعرضنا للتقابل بين اللسان (اللغة) والكلام في الفصل الأول من الباب الأول.

18) انظر في ذلك مقالا للأستاذة زكية رحموني في العدد الأول للمجلد الأوّل من مجلة السانيات، عنوانه : «بعض الملاحظات حول النطق بالقاف والڨاف في إحدى لهجات الجزائر».

19) هذا الجدول من وضع الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وفق الأوصاف التي أوردها سيبويه في كتابه وهذا أيضا مرجعه الدروس التي درّسها لنا الأستاذ الجليل، وينبغي ملاحظة أن هذه الأوصاف ليست بالتمام الأوصاف التي نجدها في كتب المحدثين ويرجع ذلك طبعا إلى تطور النطق العربي.

20) تبعا للهامش السابق ولأن النطق العربي تغير منذ عهد سيبويه، اجتهدنا في وضع جدولا للحروف العربية كما تنطق اليوم فيما يمكن أن نسميه العربية النمطية، أي ذلك الاستعمال الفصيح الذي يشترك في استعماله كل المتعلمين العرب وتستعمله وسائل الإعلام المختلفة.

21) خلافا لما يعتقده الكثير فإن نظام الحركات في اللغة العربية أعقد ممّا يتصور على الأقل من خلال تنوعاتها الحرة والتركيبية التي يوردها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في هذا الجدول، وقد ترقى هذه التنوعات لتصير وظيفية فتشكل جنسا من الأصوات مثلما هو الحال في التقابل بين الفتحة الصريحة والفتحة الممالة في الأمثلة التالية :

دار (يدور) من الدوران ودار (يدير) أي يعمل؛ برى أي شُفِيَ وبرى أي قلّم القلم.

جاري أي من يسكن بجواري وجاري نوع من أنواع الحسوة مشهور في الشرق الجزائري.

22) لمزيد من التفصيل أنظر، بالإضافة إلى المراجع التي سبق ذكرها :

MALMBERG, B. (1971), *La Phonétique*, P. U. F., Paris.

DUCROT. O, SCHAEFFER J. M. (1995), *Nouveau Dictionnaire Encyclopédique des Sciences du langage*, Le Seuil, Paris .

MARTINET A. (dir.) (1968), *Le Langage*, La Pléïade, Gallimard, Paris .

23) انظر ما قلناه عن هذه الصفات الفيزيائية في هذا الفصل أعلاه.

24) نرى هنا أن الجملة المثبتة التي لا تحمل علامة مبينة للسؤال (لا أداة ولا اسم استفهام) تسمع أنها طلبية لأنها حققت بنغمة مرتفعة متصاعدة ـ التنغيم هنا يلعب دورا تمييزيا بين معاني الكلام وأعراضه

25) أنظر مقال A. RIGALOFF حول اللغة الصينية في المؤلف الذي تم نشره تحت إشراف مارتيني والمشار إليه في الهامش رقم 22.

26) يخضع النبر في اللغة العربية لتركيبات وبناء المقطع (syllabe) ومدّة الصوت. المعروف أن العربية تميّز الحركات الطويلة (حروف المد) عن الحركات القصيرة وتقابل بينهما تقابلا يماثل التقابل الموجود بين الفتحة والكسرة أو الياء والميم من حيث الفائدة والتبليغ. فكثيرا ما يجد النبر موقعة المفضل على الحركة الممدودة أو الحرف المدغم. لمزيد من التفصيل أنظر مقال الأستاذ الحاج صالح المذكور في الهامش 9 أعلاه.

27) أنظر C. BAYLON وP. FABRE مرجع سبق ذكره، ص. 101– 102.

28) نفس المرجع، ص. 102 – 103.

29) أنظر مقال G. BOULAKIA في معجم O. DUCROT وJ. M. SCHAEFFER المذكور في الهامش 22 أعلاه.

الفصلان الثاني والثالث

* مستوى الكلمات (الوحدات الدالة)

1) انظر ما قلناه في هذا الصدد في الفصل الثاني، وقد بينا في الهامش 39 من نفس الفصل كيف يتم التقطيع إلى أدنى الوحدات في المستويين الأول والثاني من التقطيع المزدوج. ونريد في هذا الهامش أن نفصّل الكلام بعض الشيء في مفهومي التقطيع والاستبدال المستعملين في التحليل البنوي للغة الطبيعية. إن النقطة التي ينطلق منها هذا التحليل هي الإجماع على أن اللسان نظام من الأدلة المصطلح عليها (أنظر الباب الأول)، نظام من الوحدات يتداخل بعضها ببعض على شكل عجيب وتتقابل فيما بينها تقابلا تحصل به الفائدة والدلالة في التبليغ.

فالنظام اللغوي لأي لغة من اللغات بني على مفهوم العلاقات التي تربط العناصر اللغوية (أي الوحدات اللغوية) فيما بينها وأن هذه العلاقات تشكل نظما جزئية تتداخل فيما بينها في كل مستوى من مستويات اللغة. فقد رأينا في الفصل السابق الكيفية التي يتشكل بها النظام الصوتي الحرفي من إندراج الأصوات والحروف ضمن هذه العلاقات البنوية.

وإذا أردنا أن نتعرف على الكيفية التي تتشكل بها الوحدات الدالة، أي الكلمات، ينبغي أن نرجع إلى مدرج الكلام لنلاحظ أن هذه الوحدات تتركيب فيما بينها على المحور الأفقي (rapports syntagmatiques) أمّا إذا أخذنا كل عنصر دال في موقفه من المدرج فنجده قابلا لأن يستبدل بعنصر من جنسه على المحور العمودي وهو محور العلاقات الإشراكية (rapports associatifs) عند دي سوسور والعلاقات الاستبدالية لمن أتى بعده من اللغربيين (rapports paradigmatiques). في هذا المحور تندرج إذن العلاقات الناتجة عن إنتماء الوحدات اللغوية إلى جنس واحد التي يمكن أن تستبدل فيه بعناصر أخرى في نفس الموضع كأن تستبدل في التركيب التالي أكلت بما يقابل من الوحدات مثل نا، ب، بِ، واْ ... فتقول :

* أكلْـ/ـتُ
* أكلْـ/ـتَ
* أكلْـ/ـتِ
* أكلـ/ـنْا
* أكلـ/ـوا

أمّا المحور الأفقي فتتشكل فيه العلاقات التي تربط الوحدات فيما بينها حسب سياق الكلام، وتكون نتيجة هذا التركيب إنشاء وحدة أكبر كأن نقول عند تركيب أكل مع تاء ضمير المتكلمين نحصل على الوحدة التالية : أكلت ويتمكن اللغوي من إبراز هذه العلاقات وبالتالي تشخيص الوحدات اللغوية المدرجة فيها من خلال عمليتين ابتدعتهما اللسانيات البنوية الحديثة. وهما عمليتا التقطيع (segmentation) والاستبدال (commutation) ماذا يعني اللسانيون بلفظه التقطيع ؟ إن المقصود هنا هو تحليل النصوص في مختلف مستوياتها من مستوى الحرف إلى مستوى الجملة حيث يجزء النص إلى عناصره الصغيرة والغاية طبعا هي الوصول في كل مستوى إلى أصغر الوحدات فيه : الحرف ثم الكلمة ثم البناء التركيبي.

أمّا عملية الاستبدال فتتمثل في استبدال عنصر بعنصر آخر كأن نحول الكلمة إلى كلمة أخرى في موقعها لنتعرف أيضا على حروف الوحدات اللغوية فندري أين ومتى ينبغي أن نقطع مثلما نبيّن ذلك من خلال المثال الذي نحلله في هذا الفصل.

2) للتعرف على هذه المصطلحات أكثر أنظر ما قلناه عن التقطيع المزدوج أعلاه والمراجع التالية مضافة إلى التي سبق ذكرها في الفصول السابقة

GLEASON H. A. (1969), *Introduction à la linguistique*, traduction française, Larousse, Paris.

LEPSCHY, G.C. (1968), *la linguistique structurale*, traduction française, Payot, Paris.

LYONS. J. (1970), *Introduction à la linguistiques*, traduction française, Larousse, Paris.

ROBINS. R. H. (1973), *Linguistique générale* : *une introduction*, traduction française, A. colin, Paris.

3) أنظر ما قلناه عن هذا اللغوي في الهامش 34 من الباب الأول، الفصل الثاني منه.

4) لقد اقتبسنا هذا المثال من التمارين التي قمنا بها مع الأستاذة زكية رحموني سنة 1973 ـ 1974 حيث كنا نحضر شهادة في اللسانيات العامة وقد وظفنا العديد من هذه التمارين أثناء تدريسنا لهذه المادة بمعهد اللغة العربية وكانت مفيدة جدا لتقريب المفاهيم إلى الطلبة.

5) نسميها بهذا الاسم مقتطفين خطى أستاذنا من جديد. أمّا القارئ فسيجد تسميات أخرى في مؤلفات المحدثين من اللغويين العرب مثل التوزيعية، ويبدو أن هذا المصطلح الأخير هو الذي شاع في الاستعمال.

أقطاب هذه المدرسة هم بلومفيلد L. BLOOMFIELD زعيم المذهب، صاحب كتا اللسان *Language* الذي صدر سنة 1933 وولس *J. Wells* الذي أرسى أسس نظرية المقومات القريبة التي سيأتي الكلام عنها لاحقا وهاريس J. HARRIS الذي وسع النظرية وصاغها صياغة رياضية محكمة في مؤلفه *Methods in structural linguistics*.

تجدون في مؤلف G. Lepschy عرضا جيّدا لأهم المبادئ التي بني عليها التحليل الاستغراقي واللسانيات البنوية الأمريكية وهي بنوية لأنها تعتمد مفهوم العينة في تحليلاتها، مثل اللسانيات البنوية الأوروبية التي نشأت في نفس الفترة.

6) السلوكية (Behaviorisme) مذهب نفساني كان مهيمنا في تلك الفترة، زعيمه واتسون Watson الذي لا ينظر في تحليله للسلوكات الانسانية إلاّ إلى مظاهرها الخارجية والتي يمكن مشاهدتها وملاحظتها وكذلك إجراء التجارب عليها. وأحسن ممثل لهذا المذهب وليام سكينر من خلال مؤلفه المشهور : *Verbal Behavior*, ..., Appleton-Century Crofts, New. York, 1957 لمزيد من التفصيل والتوضيح أنظر :

HÖRMANN. H. (1972), *Introduction à la psycholinguistique*, Payot, Paris.

7) إدوارد سابير E. Sapir (1884 ـ 1939)، ألماني الأصل، هاجر إلى أمريكا حيث استوطنت عائلته الولايات المتحدة. أتم دراساته الجامعية في مدينة شيكاغو ثم في جامعة يال وهو أكثر اللغويين الأمريكان أصالة في تلك الفترة بثقافته وتكوينه ومنتقدا المذهب الاستغراقي. رفض تطبيق النموذج الآلي السلوكي، وهو من خلال أفكاره يمثل اتجاها أصيلا حيث عمل على أن لا تنحصر الدراسات اللغوية في دائرة هذا النموذج، ولا تزال أفكاره حصيفة ومنهلا ينهل منه الكثير من اللغويين إلى يوم الناس هذا.

8) أنظر : DUBOIS J. (1970), Grammaire structurale du français : nom et pronom, Larousse, Paris.

9) المرجع نفسه ص. 14 – 15، لعلّ النص المأخوذ من مؤلف C. HAGEGE الموسوم *L 'homme de paroles* الصادر عن Fayard بباريس يوضح أكثر قضية موقع النعت في الفرنسية ودوره في تحديد المعنى المقصود، الصفحة 187:

«Ce benêt, pauvre enfant, n'appartient pas au milieu des enfants pauvres, brave homme dans le civil, serait-il un homme brave à la guerre ! Une certaine compétence ne signifie pas une compétence certaine ; Napoléon apporte la preuve qu'il n'est pas besoin d'être un homme grand pour devenir un grand homme, le sale type était bien trop soigné pour paraître un type sale ; ce sont ces propres termes, et ce n'étaient pas les termes propres ; dans la chambre, un simple tapis, aux volutes assez compliquées, voilà une vraie phrase mais ce n'est pas hélas une phrase vraie».

10) الوحدات المعجمية أو الأوضاع (lexèmes) تتمثل في قوائم الأسماء والأفعال اللامتناهية العدد في كل لغة يقول عنها مارتيني أنها ذات قائمة مفتوحة.

أما الأدوات أو الوحدات النحوية (morphèmes grammaticaux) فهي دائما ذات قائمة مغلقة، عددها محصور ومعروف في كل لغة. مثلا عدد الضمائر في اللغة العربية ثابت ومعروف سواء بالنسبة للمتصل منها أو غير المتصل ؛ لو أخذنا مثالا في اللغة الفرنسية نجد أن عدد العواطف أو حروف العطف معروف وثابت وهي.mais, où, et, donc,or,ni,car

11) يمكن تقريب هذا المفهوم من مفهوم الصفر في الرياضيات وكذلك مفهوم المجموعة الفارغة في الرياضيات الحديثة.

والجدير بالملاحظة أن مفهوم العلامة العدمية قديم جدا تحدث عنه اللغويون الهنود والعرب منذ قرون. وهو موجود كظاهرة في كل اللغات الطبيعية.

12) أنظر مؤلف مارتيني *les Eléments* السابق الذكر، ص. 105 – 110.

13) المرجع نفسه، ص. 105.

14) المرجع نفسه، ص. 105 – 110، أنظر الفصل الرابع الخاص بمعالجة قضية المعنى والدلالات في اللغة وكذا أجناس المفردات.

15) أنظر في الفصل من هذا الباب ما قلناه عن هذه الظواهر.

16) أنظر مقال الأستاذ الحاج صالح المذكور أعلاه، ص. 38.

17) هنا لا نتحدث عن كل التوجهات المعاصرة للسانيات العربية وهي كثيرة، نذكر على سبيل المثال لا الحصر جهود الأستاذ أحمد المتوكل في المغرب الأقصى التي تنحو نحو الدراسات التداولية وجهود الأستاذ عبد السلام المسدي التي تهدف إلى إعادة قراءة تراث الفلاسفة وعلماء الأصول، وجهود تمام حسن بمصر، إلخ، نحن نريد وفية لأستاذنا أن نقدم للقراء اتجاها جديدا يسمى نفسه النظرية الخليلية الحديثة la théorie néo-khalilienne تعتبر هذه النظرية نفسها امتدادا مباشرا لنظرية النحو العربي القديمة (علم العربية) التي وضعها الخليل بن أحمد القراهيدي وسيبويه ومن جاء بعدهما من العلماء الأفذاذ أمثال أبي علي الفارسي وابن جني ورضي الدين الاستراباذي.

نرجو أن يوفق الفريق الذي يعكف هذه الأيام على جمع مقالات وكتابات الأستاذ إلى نشرها في أقرب الأجال ليجد القارئى باللغة العربية ما يشفي غليله وهو يريد أن يكتشف المبادئ والمفاهيم التي بنيب عليها هذه النظرية.

تجد رالإشارة إلى أن الأستاذ الحاج صالح قدم هذه النظرية عند مناقشته لرسالة الدكتوراه سنة 1979 بجامعة السوربون بباريس وعنوانها :

Linguistique arabe et linguistique générale. Essai de méthodologie de ilm al àrabiyya

يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في محاضرة ارتأينا أن نعرض جزءا منها ليتعرف القارئ الكريم على هذه النظرية ما يلي:

المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي

للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، أستاذ بجامعة الجزائر ومدير وحدة البحث في علوم اللسان والتكنولوجيااللغوية.

المقدمة

لقد اشتهر العالم اللغوي العربي الكبير الخليل بن أحمد الفراهيدي عند عامة الناس باختراعه للعروض وكثيرا ما يذكر في الكتب القديمة والحديثة بلقب «صاحب العروض». وهذا وإن كان اعترافا له بهذا الفضل إلا أنه ظلم من بعض الجوانب اذ يعرف الرجل المثقف أنّ الخليل قد ابدع في جميع ميادين اللغة والدراسات اللغوية العربية خاصة. فنحن مدينون له بجزء كبير مما اثبته العلماء المسلمون في علم الأصوات والنظام الصوتي العربي وكذلك الفكرة البديعة التي بني عليها أول معجم أخرج للناس وهي فكرة رياضية محضة سابقة لأوانها كما سنراه (وما يترتب عليها من المفاهيم الرياضية كمفهوم (factorielle) وقسمة التركيب (combinatoire) ومفهوم الزمرة الدائرية وغير ذلك، كما ندين له بالكثير من التفاسير والتعليلات العلمية العجيبة للظواهر اللغوية، ولا ننسى أيضا اختراعه للشكل وهو لا يزال مستعملا إلى يومنا هذا في الكتابة العربية.

هذا ومن الغريب جدا أن تكون هذه الأعمال التي لا تقل أهمية عن أعمال أكبر العلماء المحدثين في العلوم الأخرى مجهولة تماما عند أكثر الناس، بل ومجهولة تماما في كُنْهِهَا وجوهرها عند الكثير من الاختصاصيين المعاصرين. هذا وقد حاولنا منذ ما يقرب من ثلاثين سنة ان نحلل ما وصل إلينا من ثرات فيما يخص ميدان اللغة وبخاصة ما تركه لنا سيبويه وأتباعه من ينتمي إلى المدرسة التي سميناها بالخليلية وكل ذلك بالنظر في الوقت نفسه في ما توصلت اليه اللسانيات الغربية. وكانت النتيجة أن تكوّن مع مرور الزمان فريق من الباحثين المختصين في علوم اللسان بمعناها الحديث يريد أن يواصل ما ابتدأه الخليل وسيبويه ومن تابعهما ولكن بعد التمحيص لما تركوه من الأقوال والتحليلات، أي بعد التحليل النقدي الموضوعي لها وبعد أن تبين لهم الأهمية العظمى التي تكتسيها هذه الأشياء لا سيما في أيامنا هذه حيث ظهرت النظريات الكثيرة والمناهج العلمية الهامة لدراسة الظواهر اللغوية. وقد بدأت اللسانيات الغربية تنتشر دراستها شيئا فشيئا في البلدان العربية، فالغاية من هذا البحث هو قبل كل شيء التعريف بهذه النزعة التي تصف نفسها بأنها امتداد منتقي للآراء والنظريات التي أثبتها النحاة العرب الأولون وخاصة الخليل بن أحمد، وفي الوقت نفسه مشاركة ومساهمة للبحث اللساني في أحدث صورة وخاصة البحث المتعلق بتكنولوجيا اللغة، وهذا لب البحث. وسنحاول أيضا أن نصف بعض المحاولات التي ظهرت في العالم العربي منذ عهد قريب حتى يمكن أن نحل النزعة المذكورة محلها من النزعات الأخرى.

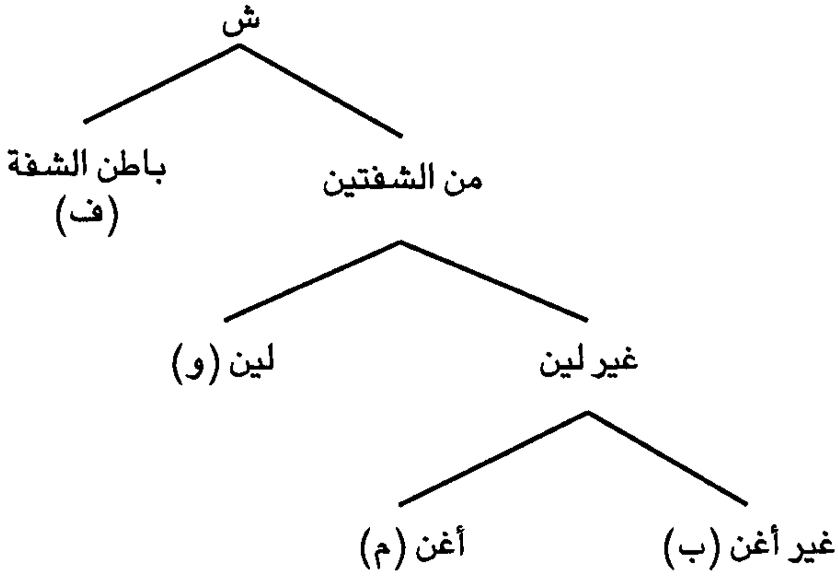
أصالة النحو العربي في القرون الأربعة الأولى من الهجرة

سبق أن قلنا إن نظريات النحاة العرب الأولين تكتسي أهمية كبيرة وهذا لا من حيث إنها ما تزال ذات قيمة كبيرة من الناحية العلمية بل من حيث إنها يمكن ان تستغل مفاهيمها في الميدان التطبيقي كالعلاج الآلي للنصوص وتركيب الكلام الاصطناعي وعلاج المصابين بالحبسة وغير ذلك. وقد يبدو هذا الكلام غريبا خصوصا لمن اقتنع بما ذهب اليه الفيلسوف الفرنسي أوكست كونت (Auguste Comte) من أن عقل الانسان، وبالتالي التقدم العلمي والتقني للأمم إنما مر على أطوار ثلاثة : ديني ثم ميتافيزقي ثم ايجابي (أي علمي تجربي)، والعهد الذي عاشه هذا الفيلسوف هو «العهد الايجابي»، فعلى هذا الأساس فكل من جاء قبله لا يمكن ان يكون علميا. وهيهات أن يكون أمر على هذه البساطة. فقد دل التنقيب التاريخي والنظر الدقيق في أحداث الماضي أن الأمم قد تمر على طور كله اختراع واجتهاد خلاق ثم يستقر نشاطها الخلاق بل يتوقف لعدة قرون ويتقهقر وقد يكتشف العالم في وقت ما أشياء ثم يختفي فيعود شعب آخر ويقوم علماؤه من جديد بنفس الاكتشاف وذلك كدروان الأرض على الشمس والدورة الدموية وكالكثير من المفاهيم الرياضية التي وجدت عند بعض الأمم قبل أن يثبتها من جديد العلماء الغربيون (انظر في ذلك ما كتبه رشدي راشد عن الرياضيات عند العرب). هذا فيما يخص العلوم عامة. أما العلوم الانسانية والاجتماعية فلا بد ان نقر أن هذه العلوم لم تبلغ عند الغربيين الآن ما بلغته العلوم الدقيقة وخصوصا التكنولوجيا ونستطيع أن نقول مثلا إن بعض نظرياتها كالبنوية مثلا، هي في الحقيقة – كما بيّناه في مكان آخر – تنزع منزع الفلسفة الارسطوطالسية دون ما شعور من أصحابها غالبا وخاصة في التحليل الفنولوجي، فإن جوهر هذا المذهب هومبدأ الهوية فيكتفي أساسا بتشخيص العناصر والوحدات بانيا كل ذلك على مبدأ التقابل بين العناصر الصوتية وهو

أساس النظرة التشخيصية(réifiante) التي ينظر أصحابها دائما الى الاشياء كأشياء وكذوات حتى ولو كانت أحداثا وهي نظرة تأملية محضة. وقد بنيت من الناحية المنطقية على مفهوم الاشتمال (أو الاندراج أو التضمن) (inclusion) ولم تراع العلاقات الأخرى غير الاشتمال. ونمثل لذلك بما اشتهر عندهم من التحليل التقطيعي للكلام الى وحدات يسمونها بالفونيمات. فإنّهم يكتفون بتقطيع مدرج الكلام الى أدنى القطع الصوتية، تتحدد كل واحدة منها بقابليتها للاستبدال بقطعة أو أكثر من قطعة تقوم مقامها مع بقاء الكلام كلاما مفهوما، وعند ذلك ينظرون هل يتغير المعنى (وهذا في مذهب الوظيفيين)، فإذا تغير المعنى حكموا على القطعة بأنها تحصيل لفونيم معين يدخل في النظام الفنولوجي للغة المعنية إلا فهو مجرد وجه من وجوه الأداء وعندئذ يشخصون هذا الفونيم بمقابلته لغيره من الفونيمات التي حصلوا عليها بنفس الطريقة. وذلك بادراجهم إياه في جنس من الأصوات يمتاز عن غيره بصفات معينة أو يحدد دونه سلبيا بما ليس له من الصفات. وبهذا تظهر ميزة هذا المذهب الذي يكتفي باستخراج الوحدات وإدراجها في نظام تقابلي ليس غير. ويزعمون أنّ هذا النظام السكوني من المتقابلات هو «بنية اللغة» (في المثال السابق : في مستوى الأصوات). وقد حاول غير الوظيفيين أنْ يستغنوا عن مقياس المعنى بحصر كل السياقات الممكنة للقطع الصوتية (مذهب الاستغراق الأمريكي) وبذلك كان اهتمامهم موجها أكثر الى القرائن اللفظية (ما يجري في مدرج الكلام أي المحور التركيبي (axe syntagmatique) فهذا وإن كان قريبا من التصور العربي الذي بني على ما كانوا يسمونه «بقسمة التركيب» (combinatoire) أو قسمة المواقع (الرماني، شرح الكتاب) فإنه لم يخرجهم أبدا من النزعة التشخيصية الساذجة، أي تلك التي تشخص الوحدات بإدراجها في أجناس متداخلة بعضها في بعض لأنهم لم يهتموا بالنظر في العلاقات المباشرة (غير المتداخلة) التي تربط به العناصر التي تدخل فيها، ومثل هذا العمل التحليل التشخيصي يجرونه على مستوى الدوال (الوحدات الدّالة او المورفيمات)، فههنا أيضا يقطعون الكلام الى أصغر أجزائه مما يدل على معنى بنفس الطريقة. وقد حاول الوظيفيون أن يصنّفوا المورفيمات، أي الدوال، إلى أصناف ثم بحثوا عن كيفية تركيب كل صنف منها. وكذلك فعل الاستغراقيون.

فكل هذا صادر عن النظرة المشار إليها التي لا تعرف من أنواع العلاقات إلا النوع الاندراجي (الاشتمالي) وهي نظرة قاصرة لأنها لا تعرف إلا التحديد بالجنس والفصل (أرسطو) وتقتصر بالتالي على التصنيف الساذج الذي لا يعرف الا اندراج الشيء في الشيء. وقد وفق اللغوي الأمريكي نوام تشومسكي عند نقده للبنوية بأنها نزعة تصنيفية أكثر منها تفسيرية. إلا أن هذا اللغوي لم ينتبه إلى العلاقة التي تربط هذه النظرة بالفكر الفلسفي اليوناني وأحسن دليل على ما نقول هو أن اللغوي الفرنسي جان كانتينو استطاع أن يحصر جميع العلاقات التي بنيت عليها الفنولوجية في الاندراج أو الاشتمال (inclusion) ثم التقاطع (intersection) ثم التباين (exclusion). فالشيء حسب هذه النظرة إما داخل في جنس وإما مشترك بين جنسين أو أكثر وإما خارج عنه فهذا دليل واضح على أن التحليل البنوي إذا صيغ صياغة رياضية فإنّه لا يتعدى التحليل التصنيفي ومثال ذلك في الفنولوجية : جنس الحروف الشفوية العربية.

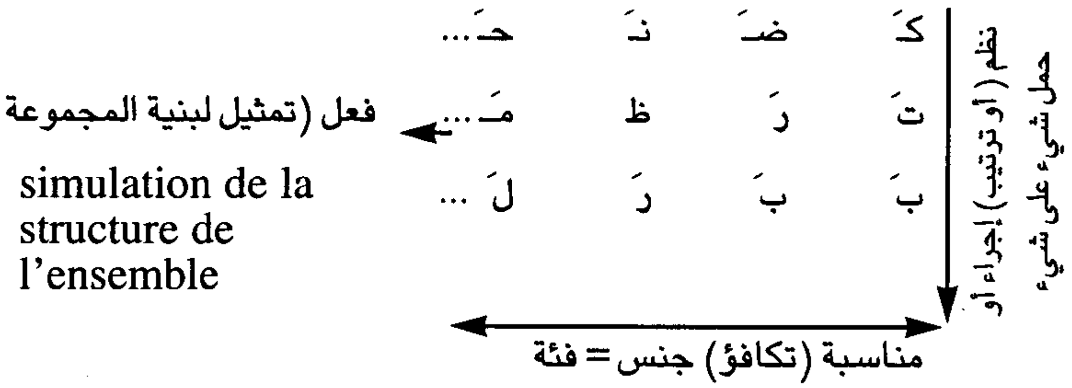
ف / و / (م / ب) أوبالتمثيل الشجري :



أما في مستوى تراكيب الكلام فقد صاغ تشومسكي التحليلات التقطيعية صياغة رياضية وتظهر على صورة شجرة أيضا تمثل فروعها انتماء الجزء (= اندراجه بالتالي) إلى ما فوقه لم يرد بذلك أن يبين أن البنوية اندراجية في جوهرها بل الذي أراده هو أن يبين فقط أن هذا التناول غير كاف لتفسير بعض الظواهر اللغوية التي يمكن ان تلبس في ظاهر اللفظ (وذلك كالتراكيب التي تحتمل اكثر من تأويل).

وكان فضل المدرسة التوليدية التحويلية أن أدخلت في التحليل مفهوم التحويل وبذلك وسعت النظرة الأولى بأن جعلت بين كل شجرة علاقات غير اندراجية بل مباشرة، إلاّ أنها لم تهتم إلا بنوع واحد من التحويلات وهي التحويلات التقديرية كما سنراه.

أمّا النحو العربي الخليلي فهو لا يقتصر على التحديد بالجنس والفصل (أي باكتشاف الصفات المميزة) (traits pertinents) وبالتالي لا يكتفي بعملية الاشتمال بل يتجاوزها بإجراء الشيء على الشيء أو حمل عنصر على آخر : فهو لا يكتفي بالجنس الذي ليس إلا مجرد فئة تشترك عناصرها في صفة واحدة أو مجموع صفات بل يتجاوزون ذلك بإجراء عنصر على آخر على حد تعبير النحاة أي بجعل علاقة مباشرة بين العناصر التي توجد بين مجموعتين على الأقل الاستنباط البنية التي تجمعها جميعا. وأبسط مثال في ذلك هو إثباتهم لصيغة الكلمة :



فالجامع بين كل هذه الوحدات ليس فقط جنسهم (بل وقد لا نهتم بالجنس) بل البنية التي تجمعها، ولا يمكن أن تستخرج بادخال بعضها في بعض بل يحمل كل جزء منها على نظيره إن كان هناك نظير مع مراعاة انتظامها، أي مع اعتبار كل جزء في موضعه. فالتحديد عند النحاة أكثره من هذا القبيل وهو يهتم في نفس الوقت بالمحورين الاسبتدالي والتركيبي، أي بالتركيب بين التكافؤ (الانتماء) والنظم. فالفئة (la classe) عندهم ليست أبدا بسيطة، أي مبنية على الكيف (qualitatif) تحددها صفة مميزة فقط، بل في الوقت نفسه على الكيف والكم، والكم هنا هو العدة مع الترتيب بمراعاة كل شيء في موضعه.

وما دمنا بصدد الكلام عن صيغ الكلام فإنّنَا نعتقد أنّ النزعة التقطيعية الساذجة لا يمكنها أبدا أن تحلل بكيفية مُرْضية وعلمية اللكلام العربية بل الكثير من الدوال في عدد كبير من اللغات كالانكليزية والألمانية، إذ ليست كل اللغات بنيت دوالها على انضمام قطعة إلى أخرى، فهناك من الوحدات الدالة ما ليس من قبيل القطع إطلاقا.

وإذا حاول البنوي أن يسلط تحليله التقطيعي على كلمة مثل «أصحاب» فإنّه سيتعسف عندما يحاول أن يجد أي قطعة فيها تدل على الجمع ! وهذا لأنّ مفهوم المجموعة (ذات الترتيب) تنقصهم وكذلك مفهوم الموضع كما يتصوره العلماء العرب. وسيظهر كل هذا جيدا فيما يلي .

وخلاصة القول ههنا هو أن النحو العربي قد وضع على أسس ابستمولوجية مغايرة لأسس اللسانيات البنوية وخصوصا في المبادئ العقلية التي بنيت عليها تحليلاته. هذا وليس الاختلاف متوقفا على هذا الجانب بل هناك أيضا اختلاف آخر في النظرة الى البحث في اللغة نفسها وتدوين الكلام من أجل التحليل.

أما البحث اللغوي فينبغي، كما يقولون أن لا يتصف بالمعيارية، أي أن لا يفضل اللغوي لهجة على أخرى أو كيفية في الأداء على أخرى لسبب من الأسباب (غير العلمية) بل يجب أن يكتفي بالوصف الموضوعي لكل ما ورد في مدونته وإلا فإنه سيهدر الكثير مما هو موجود ويفرض ما يستحسنه فيكون له بذلك موقف ذاتي بعيد عن العلم. فهذه ظاهرة صواب، إلا أنه لا يراعي أصحابه الكثير مما تتصف به اللغات البشرية. فالنحاة العرب الأولون قد التجأوا هم أيضا الى السماع ودونوا كلام العرب وربما يقول قائل إنهم قد حَصَرُوا اللغة في هذا المعيار الذي سموه بالفصحى وتركوا غيره. وطبعا هناك أسباب دينية اجتماعية وهو الاعتناء بلغة القرآن أمّا أن يقول بأنّهم وقفوا من اللغة موقفا غير علمي فلا لأن العلم لا يتحدد بالغاية التي يرمي اليها أصحابه انتفاعية كانت أم غير انتفاعية بل بمقياسين اثنين وهما : المشاهدة والصياغة. وأفادت معلومات جديدة وكشفت بذلك عن أسرارالظواهر والأحداث كانت أحرى بأن توصف بأنها علمية. ثم، زد على ذلك أن للغة كيانا يتمثل في نظام صوتي خاص ومفردات وتراكيب ذات أبنية خاصة. فإذا تغيرت في هيكلها صارت لغة أخرى ؛ فإذا عمد اللغوي إلى وصف لغة من اللغات فلا يصح أن يصف هذا الكلام أو ذاك بأنه ينتمي إلى العربية أو الانكليزية إلا إذا خضع المأخوذ عنه لقوانينها الأساسية وأصول تأديتها، أي لمواضعات أصحابها.

فالمسألة ليست في تفضيل وجه من الأداء على آخر، فهذا لم يحصل أبدا عند العلماء الذين شافهوا فصحاء العرب (الذين لم تتغير لغتهم بالنسبة إلى ما كانت عليه قبل الفتوحات). وقد قال سيبويه بهذا الصدد : «استحسن من هذا ما استحسنت العرب وأجريه كما أجروه» (الكتاب، 1، 252) كما قال الخليل : «كل شيء من ذلك عدلته العرب تركته على ما عدلته عليه وما جاء تاما لم تحدث فيه شيئا فهو على القياس» (الكتاب، 1، 69). ففي داخل المجموعة من الناطقين الذين لم

تصر لغتهم لغة أخرى فان المقياس الوحيد في تفضيل كيفية على أخرى هو استحسان جمهور الناطقين انفسهم. أمّا الكيفية الصادرة عن القليل منهم فكان يحفظ ويدون وينبه على قلته وانحراف أكثر العبر عنه.

وهذا الذي قلناه يترتب عليه شيء قد تجاهله الوصفيون وهو أنّ اللغة ليست فقط نظاما من الأدلة المسموعة بل هي، زيادة على ذلك، قوانين وأصول يعمل بها كل من يتكلم بها دون ما شعور (يشعر بها عندما يعثر لسانه). وهذا هو عين الخلاف بين النحو الأوربي التقليدي واللسانيات البنوية، اذ تمتنع البنوية من النظر في القواعد لأنها تفرض في نظرها معيارا معينا. وفي هذا الموقف يكمن سبب السكون المهول الذي تتصف به هذه النزعة، إذ كيف يهدر أهم شيء في اللغة وهو السلوك اللغوي أو بعبارة أخرى كيف يترك البحث في الكلام نفسه كفعل من الافعال التي يتحصل بها نظام اللغة. وهذا موقف الإيجابيين والظاهرية اللغوية الغربية التي لا ترى في اللغة إلا ما يسمع ثم ما يتسق ويتقابل في داخل التسلسل الكلامي ولا تلتفت أبدا الى تصرف المتكلم في اللغة في دورة التخاطب وفي أحوال معينة فأخرجوا بذلك الذات (le sujet) وهو المتكلم ناسين أن اللسان هو شيء (un objet) وأفعال أيضا تسلط على الشيء.

أما فيما يخص نظرية تشومسكي فلا بد أن نعترف لهذا الرجل العبقري بالفضل الكبير على اللسانيات كما لابد أن نلفت نظر الاخوان اللسانيين إلى أنه قد عرف الشيء الكثير عن النظريات والتصورات اللغوية العربية وذلك من خلال دراسته للنحو العبري الذي وضعه أحبار اليهود في القرون الوسطى وكذلك من خلال دراسته الأجرومية على أستاذه روزنتال. وقد التفت إلى مفهوم القاعدة النحوية وتفطن إلى أهميتها لا كمجرد قاعدة تفرض معيارا من المعايير بل كنمط يكتسبه الطفل بانشائه إياه شيئا فشيئا من استماعه ومساهمته في كلام محيطه وهو نوع من الاستنباط الانشائي (constructif) وليس بمجرد تدخل الذاكرة.

ثم أرجع لمفهوم التحويل (transformation) قيمته ودوره وقد كانت اللسانيات التاريخية ثم البنوية قد نفته تماما من البحث اللغوي. إلا أن النظرية التوليدية التحويلية في الوضع الذي كانت عليه في بداية السبعينيات تختلف في أشياء كثيرة عن النظرية العربية القديمة (الاصيلة فقط). وذلك كمفهوم التحويل فان المدرسة التوليدية في النظرية standard لا تعرف إلاّ نوعا واحدا من التحويل وهو الذي يربط بين ما يسمونه بالبنية العميقة والبنيةالسطحية. فهذا نظيره في النظرية العربية هو التحويل التقديري ؛ فكل كلام يحتمل أكثر من معنى – في أصل الوضع – فإن النحاة يقدرون لكل معنى لفظا وهذا يحصل خاصة عندما يحاولون تفسير الكثير من الأبنية الملبسة أو التي وقع فيها حذف أو التي لم تأت على البناء المتوقع، أي بناء نظائرها (انظر كتاب سيبويه مثلا، أبواب الاتساع والايجاز والاختصار والاضمار في مستوى الكلام، ص. 108 وما بعدها، وكذلك أبواب الابدال والقلب وغيرها في مستوى الكلم. وهذا التحويل لا يغير المعنى لأنّه مجرد تمثيل (simulation) لما يترتب من التغيير اللفظي إذا حمل ظاهر اللفظ على أصله الذي يقتضيه القيام (أي الباب الذي ينتمي اليه هذا اللفظ). وهذا التغيير هو عبارة عن مجموع من العمليات ترتب ترتيبا منطقيا لتصل إلى النتيجة المطلوبة وهو ظاهر اللفظ، ولا بد في حالة تطرح، من تقدير الأصل إذا لم يوجد، كما لابد من تقدير عدد العمليات ونوعها وترتيبها بالدقة المتناهية، وهذا النوع من التحويل كان يسميه النحاة الأولون بالتصريف وقد بنوا على ذلك ما أسموه بمسائل التصريف (في مستوى الكلم) وهو عبارة عن نظام أكسيوماتيكي لصياغة العمليات التحويلية المذكورة. وهناك فرق جدير بالذكر : فقد التزم النحاة برفض التقدير اذا جاء اللفظ على

ما يقتضيه بابه، أي على أصله فكلما اتفق اللفظ في ظاهره مع الأصل فلا كلام فيه وهذا بخلاف ما يزعمه اتباع تشومسكي حين عمموا (في نهاية الستينيات) مفهوم التحويل التقديري وجعلوا لكل لفظ ظاهر بنية عميقة ذات دلالة ومن ثم نشأت نزعة مخالفة لتشومسكي كانت تلقب بمدرسة علم الدلالة التوليدي(génerative semantics).

إلا أن النحاة العرب لم يكتفوا بالتحويل التقديري، بل عمموا التحويل غير التقديري وأجروه على التحويل بأجمعه أو بعبارة أخرى جعلوا النظام اللغوي كله أصول وفروع، وههنا يكمن الفرق الأساسي بين النحو التوليدي النمطي (théorie standard) والنحو العربي : فالتحويل عند النحاة هو شبيه بالتحويل الذي أشار اليه تشومسكي في كتابه البنى التركيبية (*Syntactic Structures*) وهو عبارة عن تفريع بعض العبارات عن عبارات أخرى تعتبر أبسط منها وبالتالي أصولا لها، كالجملة المبنية للفاعل فهي أصل للمبنية للمفعول وتعتبر نواة (Kernel)، أي منطلقا للتفريع. فكل هذا اختفى في النظرية النمطية. والأصل عند العرب هو ما يبنى عليه ولم يبن على غيره وهو أيضا ما يستقل بنفسه – أي يمكن أن يوجد في الكلام وحده – ولا يحتاج إلى علامة ليتمايز عن فروعه، فله العلامة العدمية (marque zéro) على حد تعبير اللسانيات الحديثة).

والفرع هو الأصل مع زيادة أي مع شيء من التحويل. فالانتقال من الأصل إلى الفروع هو تحويل يخضع لنظام من القواعد، ولا بد من التنبيه أن التفريع له مقابل وهي الحركة العكسية للتفريع وهو عند النحاة : «رد الشيء الى أصله». فالتحويل على هذا طردي وعكسي فهو تطبيق أو مقابلة بالنظير (objection) لمجموعة من العناصر على مجموعة أخرى في اصطلاح الرياضيات. وعلى هذا فالتحويل بهذا المعنى هو إجراء أو حمل الشيء الذي سبق أن ذكرناه. وسنرى أن مجموع العمليات التحويلية التي تؤدي الى نتيجة معينة تكون دائما ما يسمى عند الرياضيين المحدثين بالزمرة(groupe).

إحلال المدرسة الخليلية الحديثة محلها من النزعات الحديثة في العالم العربي

هذه المفاهيم والمبادئ التي استخرجناها من النظرية اللغوية العربية القديمة (كوصف نقدي هي في الحقيقة نظرية ثانية métathéorie بالنسبة للنظرية الخليلية). أما استغلالها أو بالأصح إمكانية استغلالها الآن فحاصل بالفعل. أولا لأننا نعتقد أنه لا توجد لغاية الآن نظرية أخرى استخرجت من النظر في اللغة العربية أو على الأقل اعتدت اعتدادا كبيرا بها وبأخواتها اللهم إلا النظرية التوليدية التحويلية التي تجاوز فيها صاحبها التقطيعية والتصنيف الساذج. وقد استفاد أيما استفادة في ذلك من النظر في اللغة العبرية على المنوال الذي تنوولت به في القرون الوسطى. والسبب الثاني هو، من جهة، اختبارنا لها عند صوغها الصياغة الرياضية – وهي أطوع نظرية، في اعتقادنا، لهذا النوع من الصياغة ومن ثم تشكيلها بالشكل الخوارزمي (algorithmique) حتى يمكن استعمالها على الرتاب (الحاسب الالكتروني) ومن جهة أخرى استغلالها في الاكتشاف الآلي لصيغ العربية الافرادية والتركيبية. وقد قدمت في هذا المجال بالذات رسائل ماجستير في معهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر. وهناك فريق من المهندسين في الاعلاميات يتعاونون مع اللسانيين لإنجاز عدد من المشاريع من هذا القبيل. وهذا الاستغلال جار أيضا فيما يخص الصوتيات التطبيقية وخاصة الصوتيات الرتابية computationnelle. فهناك مهندسون في الإلكترونيك يحاولون أن يستغلوا المفاهيم العربية للوصول إلى استكشاف آلي أكثر نجاعة مما قد ظهر في البلدان الغربية.

فهذا جزء من الأعمال التي يقوم بها الآن الباحثون الذين ينتمون إلى المدرسة التي شرفها بعضهم بأن سماها بالخليلية الحديثة. ولا بد ههنا من التنبيه على أن هؤلاء الباحثين ليسوا من الاتباع المقلدين للعلماء القدامى بل قد يكون منهم من يعتمد في بحوثه على أفكار ومفاهيم ومناهج غير تلك التي وصفناها إلا أنهم لا يتجاهلونها على الإطلاق بل يعتدون ببعضها إن لم يكن بجميعها. فنظرتنا إلى هؤلاء العلماء هي نظرة المتطلع الذي لا يريد أن يفلت منه أي اتجاه وأي نظرة وأي نوع من التحليل بل ولايحكم على أي منها الا بعد النظر الممعن والتمحيص المتواصل. ثم إن الذي جعل الناس لا ينتبهون إلى ما في بطون الكتب القديمة التي تنتمي إلى المبدعين من علمائنا فقط هو استغلاق محتواها عليهم إذ يسقطون عليها أولا المفاهيم والتصورات التي تبلورت (وجمدت) في عهد الانحطاط الفكري العربي الاسلامي وسهّل ذلك أن عددا كبيرا من الألفاظ التي استعملها الخليل وأصحابه بمعنى هي نفس الألفاظ التي استعملها المتأخرون ولكن بتصور آخر. وذلك مثل «الكلمة» كما تصورها سيبويه وما يقصده ابن مالك منها. وكثيرا ما رأينا المحدثين يخلطون، زيادة على ذلك، بين المصطلحات القديمة والمصطلحات المحدثة في عهد الجمود وذلك مثل «الفعل المبني لما لم يتسم فاعله» و«المبني للمجهول». فلكل مصطلح تصور خاص.

وأما مكانة هذه النزعة من النزعات الأخرى في العالم العربي فهي تتوسط، في اعتقادنا، بين اتجاهين : اتجاه يتجاهل تماما أو إلى حد بعيد اللسانيات الحديثة ويعتمد أساسا على المفاهيم اللغوية التي تبلورت كما قلنا عند المتأخرين ويخلط أصحابه بين المفاهيم العربية الأصيلة ومفاهيم هؤلاء المتأخرين واتجاه آخر يتجاهل تماما أو إلى حدّ ما الثرات العربي أو يجعل، مثل الاتجاه الأول، كل التراث واحدا وبعض أصحابه على الرغم من معرفتهم لهذا التراث فإنّهم مقتنعون اقتناعا تاما أنه قد تجاوزه الزمان أو هو وجهة نظر لا يمكن أن تساوي وجهات نظر اللسانيات الغربية.

ومع ذلك فهذا لا يهم من أن يكون من بعض ذوي هذا الاتجاه أو ذاك علماء كبار تفتخر بهم الأمة العربية. أما الاتجاه الأول فقد برز الكثير من أدرك أغراض العلماء المبدعين (مع شيء من التعلّق بمفاهيم المتأخرين) ويدل على ذلك تحقيقهم المتقن للمخطوطات وتعليقاتهم عليها ونذكر منهم جماعة المحققين لكتاب سيبويه (طبعة بولاق).

وقد ظهر في عهدهم (نهاية القرن الماضي) علماء في اللغة ساهموا في إحياء التراث أيما مساهمة. ولا يفوتنا أن نذكر الاعمال الجليلة التي قامت بها المجامع اللغوية العربية.

اللسانيات الحديثة في العالم العربي

وما يقال عن الاتجاه الأول يمكن أن يقال عن الثاني، فقد برز أيضا باحثون جدّ ممتازين. ومنهم من برع براعة في فهم المدارس الحديثة في اللسانيات واستطاعوا أن يتجاوزا مرحلة الاقتباس السلبي ولم يقع الكثير منهم في حضيض التقليد بل اجتهدوا وفضلهم كبير في تعريف اللسانيات لجمهور المثقفين. أما نزعاتهم ومشاربهم فهي في الغالب تابعة للمنابع العلمية التي استقوا منها معلوماتهم ومشايخ اللسانيات الذين تتلمذوا عليهم في خارج العالم العربي. فقد كانت أقدم مدرسة انتهل منها المحدثون هي مدرسة فرث الانجلزية في الأربعينيات والخمسينيات وكانت نزعة وصفية محضة. وتندرج مع النزعات الأخرى (المعاصرة لها) في تلك الحركة الواسعة التي اثارها سوسور والأمير تروباتسكوي الروسي و هي المدرسة البنوية (بشيء كبير من التكيف هنا وهناك).

ولا بد من الملاحظة أن عدد اللسانيين العرب في ذلك الوقت كان قليلا جدا بل لا يزال قليلا).

هذا وقد وجد، بعد ذلك، جيل من أهل المغرب تبنى هو أيضا مبادئ البنوية وذلك عن طريق مدرسة أندري مارتيني التي تمثل النزعة الفرنسية للبنوية وصاحب هذا المقال هو نفسه مع بعض الزملاء قد كان ممن ساهموا في التعريف بهذه المدرسة.

ثم ظهرت المدرسة التوليدية الأمريكية وانتبه إلى أهميتها أكثر من واحد من المثقفين العرب واتخذها بعضهم وخاصة في المغرب، العربي قاعدة لبحوثهم. ونذكر أيضا بعضا ممن تخصص في الصوتيات فبرعوا في ذلك. وقد تكاثر اللسانيون – على قلتهم – وتشعبت المدارس الغربية وظهرت نظرية الحديث أو الخطاب في شتى العواصم الأوروبية. وتتلمذ بعض الباحثين العرب على أساتذتها. كماظهرت أيضا اللسانيات التطبيقية، وكان العالم الثالث أحوج ما يكون إلى هذه اللسانيات نظرا إلى المشاكل الإنمائية العويصة التي يعانونها. وكانت مدرستنا الخليلية أكثر النزعات اهتماما بها خصوصا بما ظهر في أيامنا من استعمال التكنولوجيا في البحوث اللغوية ولا سيما التطبيقية منها. وهناك أعمال كبيرة تنجز الآن في البلدان العربية في هذا الميدان كأعمال الاستاذ الأخضر غزال في المملكة المغربية وأعمال معهد العلوم اللسانية بالجزائر وأعمال الباحثين في دولة الكويت وغيرها، هذا بصرف النظر عن الدراسات والمقالات العلمية القيمة التي تصدر في كل البلدان العربية.

إلا أن هناك بعض من يميل إلى تقليد الغربيين وهم قليلون جدا والحمد لله، ولا سيما أولئك الذين يتعصبون لمدرسة واحدة، وقد يتهجم بعضهم على النحاة العرب فيقارنون بين مفاهيمهم – دون أن يفهموها – وبين تصورات اللسانيات بل المدرسة الواحدة منها جاعلين هذه الأخيرة الأصل المسلم به، فإذا لم يجدوا عند العرب ما يوافق هذا الأصل رفضوا أقوالهم رفضا واستهزأوا بهم، ونعتقد أن من حق الباحث أن ينتمي إلى أي مدرسة شاء مما يراه صوابا ولكن ليس من حق الباحث أن يتجاهل المدارس الأخرى وخاصة مدرسة المبدعين من علمائنا القدامى.

18) أنظر العدد الرابع من مجلة اللسانيات، ص. 34.

19) أنظر ما قلناه عن هذا المفهوم في المذاهب الغربية. فهذه ظاهرة توجد في كل اللغات.

20)أنظر نفس المرجع المذكور في الهامش 18 من صفحته الخامسة والثلاثين (35).

21) أول من استعمل هذه المصطلح ـ بغير هذا المعنى ـ هو المبرد في مؤلفه المقتضب، في جزئه الرابع وصفحته 126، أما بهذا المعنى قد أشار إليه ابن يعيش في شرح المفصل، الجزء الخامس، ص. 19، ورضي الدين الاستراباذي في شرح الكافية، الجزء الأول ص. 5.

22) أنظر سيبويه، الكتاب، الجزء 1، ص. 421 – 433 والجزء 2، ص. 274 – 276.

23) راجع محاضرات الأستاذ عبد الرحمن الحاج الصالح السالفة الذكر.

24) بالإضافة إلى المحاضرات المذكورة أعلاه، انظر رسالة الدكتوراه التي تقدم بها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح إلى جامعة السوربون سنة 1979 وعنوانها

Linguistique générale et linguistique arabe. Essai d'épistémologie du ilm al arabiyya. Thèse d'Etat es Lettres et Sciences Humaines, La Sorbonne, Paris, 1979.

في جزئها الثاني من الصفحات 657 – 662.

25) انظر رسالة الحاج صالح في جزئها الثاني، الصفحة 663.

26) سيبويه ، الكتاب، الجزء الأول ص. 14.

27) انظر رسالة الحاج صالح في جزئها الثاني، ص.691 – 710.

28) لقد حاولنا من خلال وضعنا لمعالم تجريبية بطريقة تعليمية للغة العربية موجهة للكبار أن نطبق بعض هذه المفاهيم عند تحليل المادة اللغوية المراد تعليمها وكذلك عند اختيار الكيفية التي ينبغي أن تعرض بها على المتعلمين. توجد هذه المحاولة في الرسالة التي ناقشناها سنة 1991 لنيل شهادة الدكتوراه وهي بعنوان

Apprentissage de la langue arabe par les adultes. Contribution à l'élaboration méthodologique de contenus et de matériels didactiques pour l'enseignement de la langue arabe aux adultes en Algérie, Thèse d'Etat es Lettres et Sciences Humaines, Grenoble, 1991.

وقد استمعنا لزميلتنا زليخة مراد، أستاذة اللغة الفرنسية بمعهد اللغة العربية وآدابها وهي تعرض مداخلتها يوم الأربعاء 02 مارس 1999 في ملتقى تعليمية اللغات بجامعة الجزائر، محاولة لتطبيق هذا النموذج التحليلي على بعض الأفعال الفرنسية، وكانت محاولتها مثيرة للانتباه. ستنشر هذه المداخلة مع المداخلات الأخرى في عدد خاص من مجلة اللغات التي يصدرها معهد التعليم المكثف للّغات.

*** مستوى أبنية الكلام (التراكيب والجمل)**

29) علاقة الإسناد التي هي محور البنية الكلامية تربط المسند بالمسند إليه، وهذان المفهومان مفهومان أصيلان في النحو العربي، أما مصطلحا المحمول والموضوع فيستعملان في علم المنطق.

يمكن أن يكون التركيب الإسنادي جملة إخبارية أو طلبية أو شرطية الخ، وقد تتفق الجملة الإخبارية مع الحكم المنطقي وإن كان الإخبار عند العرب يفيد الخبر والإفادة فقط.

أنظر في هذا المجال ما يقوله علماء عرب أمثال رضي الدين الاستراباذي في شرح كافية ابن حاجب، طبعة أحمد حاجي خلوص وآخرين باسطنبول ؛ وابن يعيش في شرح المفصل للزمخشري، في جزئه الأول، بيروت، عالم الكتب، ص. 20.

وكذلك جامع الدروس العربية لمصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت، 1966.

ويقابل التركيب الإسنادي في المصطلح الأجنبي syntagme prédicatif ويجد القارئ الكريم تعريفات لهذا المفهوم في :

MOUNIN G. (1974), *Dictionnaire de la linguistique*, P. U. F., Paris.

DUBOIS J. et al. (1989), *Dictionnaire de linguistique*, Larousse, Paris

30) انظر في ذلك الغلاييني، الجزء الأول، ص. 14.

31) نفس المرجع، الجزء الأول من الصفحة 14 إلى الصفحة 18 وكذلك لمزيد من التفاصيل حول تحديد الجملة، انظر مقال الأستاذ عبد القادر المهيري في حوليات الجامعة التونسية، العدد الأول، سنة 1966.

32) انظر ما قلناه عن هذا اللغوي في مواقع عدّة من الفصول السابقة.

33) انظر مرجعا لمارتيني سبق ذكره *Les éléments*، ص. 124.

34) اقتبسنا هذا الرسم البياني من دروس تلقيناها على يد الأستاذة زكية رحموني ونحن نحضر لشهادة اللسانيات بجامعة الجزائر.

35) نوام تشومسكي Noam CHOMSKY، لغوي أمريكي، تلميذ هارس، من مواليد 1928 ولا يزال على قيد الحياة، من أبرز اللغويين في هذا القرن، قطب المدرسة التوليدية ومناضل سياسي تقدمي تشهد له مواقفه المناهضة لكل أشكال الاضطهاد وتأييده للقضية الفلسطينية. من أشهر مؤلفاته المترجمة إلى الفرنسية.

La Linguistique cartésienne (1969), Le Seuil, Paris.

Le Langage et la Pensée (1973), Payot, Paris.

Structures syntaxiques : (1969), Le Seuil, Paris.

Aspects de la théorie syntaxique, (1971), Le Seuil, Paris.

Réflexions sur le langage, (1977), Maspéro, Paris .

وقد ترجم مؤلف *Structures syntaxiques* إلى العربية على يد يوسف يؤيل، دار عيون الدار البيضاء، المغرب، ونشرت بعنوان البنى النحوية.

36) وقد كان لمقال تشومسكي عنوانه «Review of Verbal Behavior by Skinner» الصادر عن مجلة *Language* العدد 35، 1959، وقد صدرت ترجمته في العدد 16 من مجلة *Langages* سنة 1969، صدى عميقا في أوساط اللغويين وعلماء النفس المهتمين بقضايا الاكتساب والتعلم ووصف السلوك اللغوي الإنساني.

37) ويقول الأستاذ الحاج صالح، «لقد تناست وتجاهلت المدارس البنوية جانباً هاما من الدراسة وهي الظواهر المتعلقة بالقدرة التي منحت للإنسان على الكلام للدلالة على أي غرض كان وبالتالي على كيفية إحداثه له وللعبارات المختلفة اللامتناهية بالمتناهي من الوحدات، كما تناست من ثم أن النظام الباطني للسان لا يمكن أن تعرف أسرار ه بعملية وصفية مجرّدة فقط، فإن هذا من قبيل التشخيص والتصنيف لا غير، فلا بدّ من أن يتجاوز اللغوي الوصف والتصنيف إلى ماهو أهم من ذلك وهو بناء لمثل الأنماط الصورية التي يفرغ المتكلم بها عبارات دون شعور منه» مجلة اللسانيات، العدد الأول، المجلد الثاني، سنة 1972.

38) الملكة (compétence) والتأدية. (Performance).

39) الهامش، الفصل الثاني، الباب الأول.

40) Grammaticalité و Acceptabilité. وليتأمل القارئ الكريم ما يقوله سيبويه في باب الاستقامة من الكلام والإحالة (الجزء 1 من الكتاب ص. 25 و26) حيث يقول :

«فمنه مستقيم حسن ومحال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وماهو مجال كذب».

أمّا المستقيم الحسن فقولك : أتيتك أمس وسآتيك غداً. وأمّا المحال فإن تنقض أول كلامك بآخره فنقول : أتيتك غدا وسآتيك أمس. وأما المحال المستقيم الكذب فقولك : حملت الجبل وشربت ماء البحر ونحوه. وأمّا المحال المستقيم القبيح فإن تضع اللفظ في غير موضعه نحو

قولك : قد زيدا رأيت وكي زيد يأتيك وأشباه هذا. وأمّا المحال الكذب فأن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس اليرى أن مفهوم السلامة التشومسكي يشبه كثيرا مفهوم الفصاحة الموجودة عند النحاة العرب القدماء إذ يشترطون في الكلام أن يكون موافقا لمقتضى قياس اللغة العربية أمّا الاستحسان فهو الآخر موجود عندهم مثلما هو الحال في نص سيبويه الذي أوردناه أعلاه.

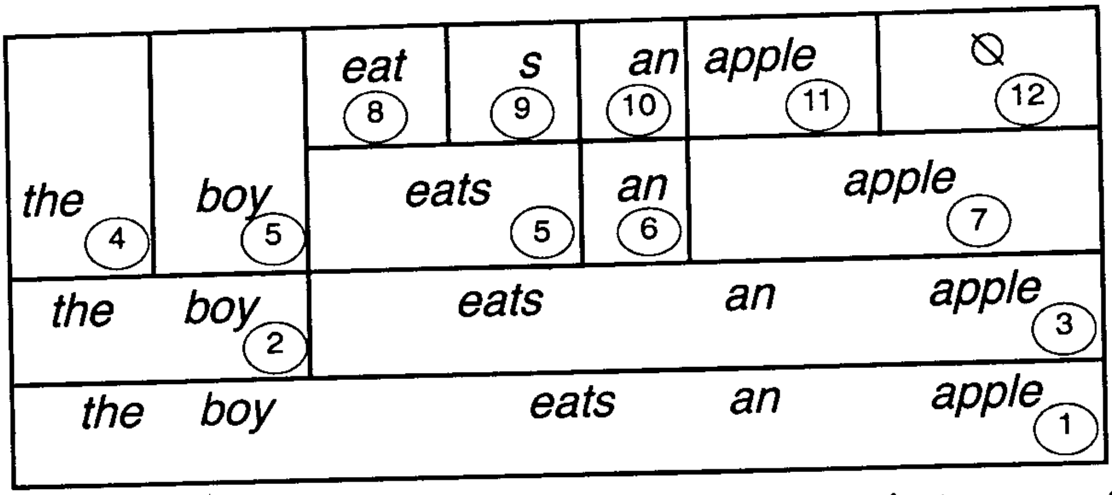
41) Créativité. أنظر كذلك :

NIQUE. C. (1974) *Introduction méthodique à la grammaire générative,*

A. Colin, Paris.

42) نظرية المقومات القريبة تمثل المرحلة الثانية للتحليل الاستغراقي للسان وهي طريقة تعتمد على تركيب العناصر فيما بينها في كل مستوى من التي تدخل فيها ومكونة لمّا تحتها من العناصر، فالعملية ليست فقط سلسلة من الوحدات الموضوعة الواحدة تلوى الأخرى بل عبارة عن سلم من الطبقات، كل طبقة تمثل مكوّنا، مقوما من المقومات القريبة.

المقوّمات هي العناصر الكبرى التي ينقسم إليها التركيب ويكون مستواها أقرب المستويات إلى ذلك الذي يوجد فيه التركيب المذكور.



43) نفهم من ذلك أن البنية العميقة لها وجود تقديري يقدره اللغوي من خلال تصورّ معين للنظام اللغوي. أمّا البنية السطحية فلها وجود محسوس مشاهد.

أنظر مفهوم التقدير عند النحاة العرب القدماء وقارنه بهذا المفهوم.

44) سمّاها كذلك لأنّها الصيغة النحوية لنظرية يمكن تطبيقها في نظره على كلّ الألسنة البشرية. وقد عرضها في كتابه *Aspects de la théorie syntaxique* وقد تفطن تشومسكي أن الصيغة الأولى التي عرضها في كتاب البنى التركيبية أهملت جانبين هامين في اللغة هما الجانب الإفرادي والجانب المعنوي، فأعاد تشومسكي بناء مذهبه مدخلا عليه عدة تعديلات فانقسمت قواعد التفريع إلى قسمين كبيرين :

- القواعد الخاصة بالوضع النحوي،
- القواعد الخاصة بالوضع اللغوي.

وتحدّد مهمة هذه القواعد في تشخيص العناصر الإفرادية التي لم تكن لها مكانة معينة في النموذج الأولّ.

ثم هناك القواعد التحويلية التي وصفت بكيفية رياضية وهي دائما تحولّ البنية العميقة إلى بنية سطحية.

وهذه البنية العميقة مكونة من نواة ومقومات الجملة :

ج : نواة + المميزات النحوية.

حيث أن النواة يتفرع إلى قسمين هما التركيب الاسمي والتركيب الفعلي. وهو موجود في كل لغة حسب تشومسكي. أمّا مقوم الجملة فهو تلك الميزة التي تنضاف إلى تلك الميزة التي تضاف إلى النواة لتحديد طبيعتها، أي كونها تقديرية أو استفهامية أو منفية أو مبنية للمجهول. فعند تحويل الجملة تحول مميزاتها ولا نغير النواة اللهم نكيفه لمقتضى البنية الجديدة.

45) انظر لمزيد من التفصيل :

FUCHS. C. LE GOFFIC. P (1975), *Initiation aux problèmes de linguistiques contemporaines,* Hachette, Paris

وللمؤلفين كتاب آخر صدر سنة 1992،

Les linguistiques contemporaines, repères théoriques, Hachette, Paris.

انظر في اللغة العربية مؤلفي ميشال زكريا.

الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)

الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الأوّل صدر سنة 1982 والثاني سنة 1983.

46) يظل النموذج التشومسكي نموذجا قويا جداً مستعملا إلى أيامنا ومع ذلك لا يمكن أن نتجاهل وجود تيارات أخرى حاولت أن تقدم تصوّرا آخر للسان البشري فنذكر منها جهود Tesnières وGuillaume وPottier، يجد القارئ عرضا لهذه النظرية في مؤلفي FUCHS وLE GOFFIC اللذين ذكرا في الهامش السابق.

47) من مذكرات حلقة البحث التي حضرناها للأستاذ الحاج صالح حول اللسانيات العربية، سنة 1978.

48) انظر شرح المفصل، الجزء الأوّل، ص. 20

49) انظر سيبويه، الكتاب، الجزء الأوّل، ص. 29

50) نفس المرجع، الجزء الثاني، ص. 127

51) نفس المرجع، الجزء الأول، ص. 80 – 81

52) انظر سر صناعة الاعراب لابن جني، ص. 257

53) انظر الكتاب، سيبويه، الجزء الثاني، ص. 275

54) انظر رسالتنا لديبلوم الدراسات المعمقة التي ناقشناها سنة 1978 بمعهد اللغة العربية وآدابها بجامعة الجزائر والتي عنوانها، طريقة تعليم التراكيب العربية في المدارس المتوسطة الجزائرية. تحليل نقدي»، ص. 89.

55) من مذكراتنا المذكورة في الهامش أعلاه.

56) نورد في هذا الهامش نموذجا لهذا التحليل قمنا به مع الأستاذ في إحدى الحلقات وقدمه بعد ذلك في إحدى محاضراته.

نموذج في التحليل النحوي البنوي (ع. الحاج صالح)

النص: مباراة في كرة القدم (من كتابي السنة الثالثة ابتدائي الجزائر)

ظ: ظرف
ض: ضمير
ن: نواة
م1: معمول 1
م2: معمول 2
ع: عامل
ك: عنصر مكرّر
ح: حال
ج: جار ومجرور
ز: تمييز
ط: مفعول مطلق
ل: مفعول لأجله
ب: مفعول معه

ن

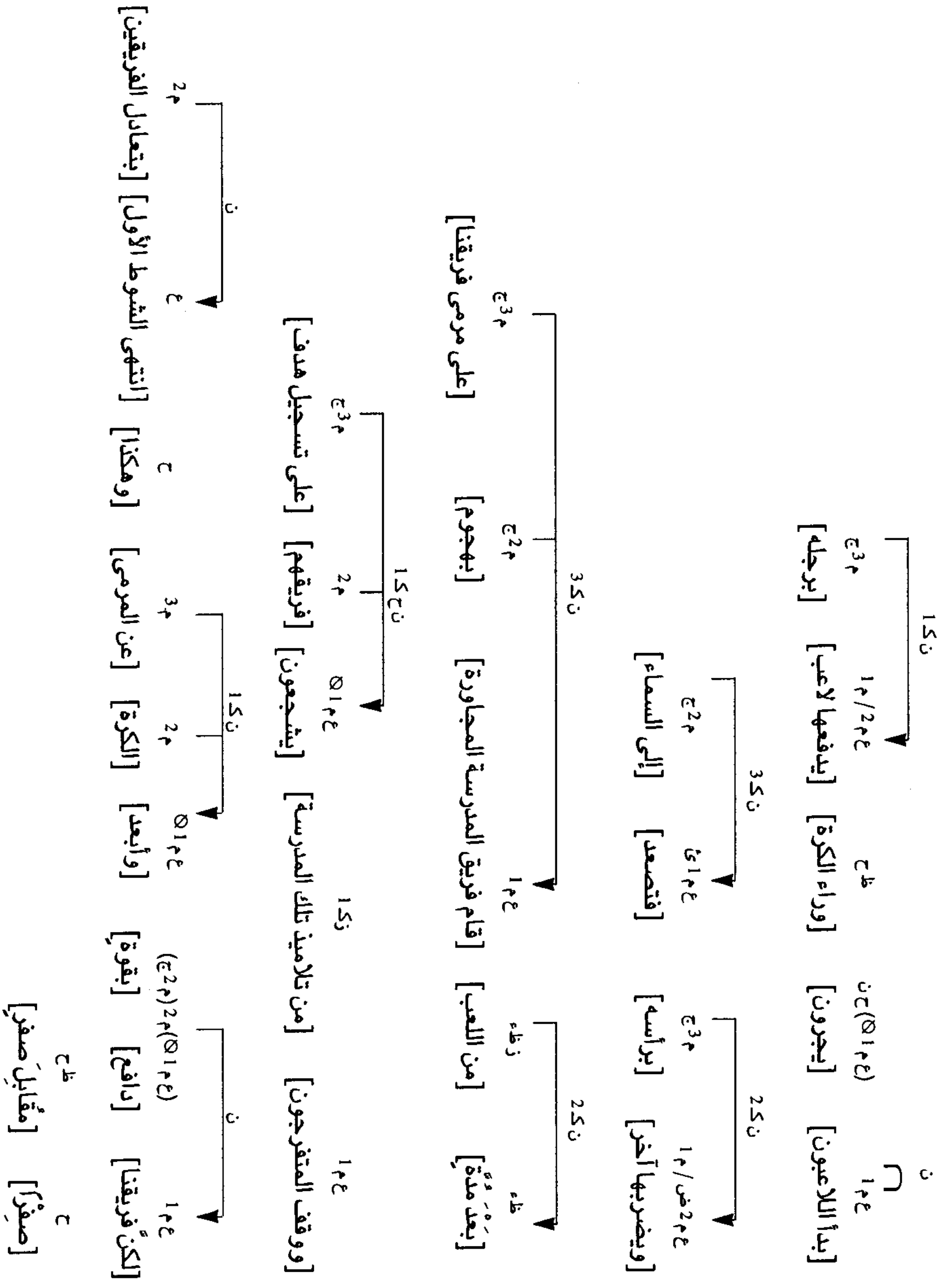
ع م1 ضـ [شاهدت] ظء [يوم الأحد الماضي] م2 [مباراةً] ظ م2 [في كرة القدم] ظ م2 [بين فريق مدرستنا]

ك /و/فريق المدرسة المجاورة] ظء [في ملعب حيناً]

ظء [عند الموعد المحدّد] ن: ع م1 [دخل الفريقان] ن م2 ج [إلى أرض اللعب] ك1 ع م1 [فوقف المتفرجون] ن ك2: ع م1 [وصفقوا] م2 [لهم]

ك3 ع م1 [وأقبل الحكم] ح ك3 [حاملاً] م ح [الكرة] ظ ح [في يده]

ن: ع م1 [أخذ كلُّ لاعبٍ] م2 [مكانه] ن ك1: ع م1 [ثم وضع الحكم] م2 [الكرة] ظ ك1 [وسط المعلب] ن ك3: ع م1 Ø [وأعلَن] م2 [بداية المباراة]


[بدأ اللاعبون] [يجرون] [وراء الكرة] [يدفعها لاعب] [برجله]
[ويضربها آخر] [برأسه] [فتصعد] [إلى السماء]
[بعد مدة] [من اللعب] [قام فريق المدرسة المجاورة] [بهجوم] [على مرمى فريقنا]
[ووقف المتفرجون] [من تلاميذ تلك المدرسة] [يشجعون] [فريقهم] [على تسجيل هدف]
[لكن فريقنا] [دافع] [بقوة] [وأبعد] [الكرة] [عن المرمى] [وهكذا] [انتهى الشوط الأول] [بتعادل الفريقين]
[صفرا] [مقابل صفر]

هوامش الفصل الرابع

57) يقول الاستراباذي في هذا الصدد في شرح الكافية (مرجع سبق ذكره) : «إن الواضع إما أن يضع ألفاظا معينة سماعية وتلك هي التي يحتاج فيها إلى علم اللغة وإما أن يضع قانونا كليا يعرف به الألفاظ فهي قياسية وذلك القانون إما أن يعرف به المفردات... ويحتاج في معرفتها إلى علم التصريف وإما أن يعرف به المركبات القياسية... وفي بعضها إلى غيره من علم النحو». يرد هذا النص في الصفحة الخامسة من الجزء الأول، ويقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في الصفحة 29 من مقاله السالف الذكر أن المتأخرين من العلماء العرب سموا هذا العلم علم متن اللغة إذ نسمع ابن يعقوب المغربي في شرح التلخيص (نقلا من مقال الاستاذ) : «علم متن اللغة أو معرفة أوضاع الصفة ويسمى هذا العلم علم المتن وهو ظهر الشيء ووسطه وقوته».

إذن ما يمكن استخلاصه من هذه التحديدات هو أن متن اللغة أي مفرداتها يقابلها نحوها، أي قوالبها وقوانين نظامها البنوي الذي يحدد كيفية تركيب مفرداتها وتركيباتها أو بناها.

58) علم اللغة أو علم المفردات Lexicologie هو العلم الذي يدرس مفردات اللغة أو معجمها وهو أيضا الذي يرسي المبادئ النظرية التي على أساسها توضع المعاجم والأدوات الأساسية لأثبات مفردات اللغة ومعرفتها. ويستعمل بعض اللغويين العرب المحدثين تسمية هذا العلم مصطلح المعجمية. أما العلم الذي يتكفل بوضع المعاجم فيعرف بعلم المعاجم أو علم صناعة المعاجم Lexicographie.

لمزيد من التفصيل والايضاح انظر قاموسي مونان وديبو اللذين سبق ذكرهما في الفصول السابقة.

59) لمزيد من المعلومات انظر على سبيل المثال لا الحصر هذه المؤلفات .

– محمد احمد أبو الفرج (1966)، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديثة، دار النهضة العربية، بيروت.

– نصار حسين (1968)، المعجم العربي، نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة ، القاهرة (الطبعة الثانية).

– عبد السميع محمد أحمد (1974)، المعاجم العربية، دراسة تحليلية، دار الفكر العربي، القاهرة (الطبعة الرابعة في سنة 1984).

– علي القاسمي (1975)، علم اللغة وصناعة المعاجم، مطبوعات جامعة الرياض، الرياض.

– إيميل يعقوب (1981)، المعاجم اللغوية العربية، بدايتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت.

– الخطيب عدنان (1984)، المعجم الغربي بين الماضي والحاضر، مكتبة لبنان.

– عبد القادر الفاسي الفهري(1986)، المعجم العربي، نماذج تحليلية، دار توبقال، الدار البيضاء.

– الجر خليل (1987)، المعجم العربي الحديث (لاروس)، مكتبة لاروس، باريس.

– الحمزاوي محمد رشاد (1987)، من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا، دار الغرب الاسلامي، بيروت.

– الخطيب شفيق (1987)، من قضايا المعجمية العربية، في المعجمية العربية المعاصرة، دار الغرب الاسلامي، بيروت.

– قاسم رياض زكي (1987)، المعجم العربي، بحوث في المادة والمنهج والتطبيق، دار المعرفة، بيروت.

– الجيلالي حلام (1992) دراسة في المعجم الوسيط، رسالة ماجستير مرقونة، معهد اللغة العربية وادابها، جامعة وهران.

– الجيلالي حلام (1997)، تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، دكتوراه دولة في علم اللغة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران.

– اقبال أحمد الشرقاوي(1993)، معجم المعاجم، دار الغرب الاسلامي، بيروت.

– بن مراد ابراهيم (1993)، المعجم العلمي العربي المختص، دار الغرب الاسلامي، بيروت.

DUBOIS Jean et al (1971), *Introduction à la lexicographie, le dictionnaire*, Larousse, Paris.

REY Alain (1970), *la lexicologie*, Klincksieck, Paris.

REY-DEBOVE, Josette (1971), *Etude linguistique et sémantique des dictionnaires français*, Mouton. Paris.

60) انظر وراجع تعريف هذا العلم في الصفحة الثامنة من مؤلف مونان :

MOUNIN Georges (19) *Clefs pour la sémantique*,Seghers, Paris.

انظر أيضا لمزيد من التوضيح والتفصيل :

GUIRAUD Pierre. (1955),*La sémantique*, P. U. F., Paris.

TULLIO DE MAURO (1969), *Une introduction à la sémantique*, Payot, Paris.

BAYLON C. FABRE. P.(1978), *La sémantique*, Nathan, Paris.

– تمام حسان (1973)، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.

– إبراهيم أنيس (1976)، دلالة الألفاظ، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، الطبعة السادسة.

– كمال بشر (1977)، دراسات في علم اللغة (القسم الثاني)، دار المعارف، القاهرة.

– فاخوري عادل(1985)، علم الدلالة عند العرب، دار الطليعة، بيروت.

– عبد الكريم مجاهد (1985)، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء للنشر والوزيع، الأردن.

بطبيعة الحال، يوجد مثل هذه المؤلفات العديد، لا يسع هذا المؤلف لذكرها كلها، يكفي أن نذكر أن كل مؤلف من هذه المؤلفات يحيل هو الآخر إلى قائمة من العناوين الأخرى ! يستطيع القارئ أن يستفيد منها.

61) انظر في ذلك مؤلف السيوطي الذي سبق ذكره أعلاه بعنوان المزهر في علوم اللغة وأنواعها في جزئه الأول. وفي هذا الموضوع لا يمكن في اعتقادنا الاستغناء عن مؤلف هو :

– المعرب للجواليقي.

وهنا أيضا يوجد العديد من المؤلفات الحديثة تتناول هذه الظاهرة بالدراسة وتقدم أمثلة عنها في الاستعمال العربي في كل البلدان العربية، نذكر منها أعمال العالم الجزائري محمد بن شنب حول الكلمات التركية والفارسية في اللهجات الجزائرية خاصة منها اللهجة العاصمية.

أما فيما يخص لغات أخرى نكتفي بالذكر لفضول القارئ مؤلف فرنسي وهو :

WALTER H. (1997), L'aventure des mots français venus d'ailleurs, Laffont, Paris.

62) هنا، نجد أن السيوطي قد أفرد بابا لهذه الظاهرة اللغوية في جزئه الأول. يجد القارئ الكريم معلومات إضافية عن هذه الظاهرة في القواميس اللسانية التي سبق ذكرها في الفصول والهوامش السابقة. المصطلح الأجنبي الخاص بهذه الظاهرة هو في اللغة الفرنسية homonymie.

63) نفس الكلام ينطبق على الاحالات بالنسبة إلى ظاهرة التراث التي تسمى في المصطلح الأجنبي synonymie.

64) إلى جانب المزهر للسيوطي، يمكن أن نذكر للقارئ الكريم هذه العناوين : إبراهيم أنيس (1963)، دلالة الألفاظ العربية وتطورها، معهد الدراسات العربية، القاهرة.

– خليل حلمي (1985)، المولد في اللغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت.

– محمد غاليم (1987)، التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، دار توبقال، الدار البيضاء.

ويجد القارئ أيضا معلومات إضافية في القواميس اللسانية المذكورة آنفا.

65) ولو لم نستغن عن المزهر للسيوطي وهو من الكتب القديمة ما هو أقرب إلى مستوى قرائنا، نحيلهم الى كتب البلاغة القديمة والحديثة التي تتناول ظواهر المجاز اللغوي مثلما نحيلهم الى القواميس اللسانية التي تعرف هذه الظاهرة وهي أدوات لا يمكن للطلبة ولا للمتخصص أن يستغنوا عنها أبدا.

66) انظر سالم شاكر، مدخل إلى علم الدلالة، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، وهو كلام مستشهد عن مؤلف MOUNIN, G. *Clefs pour la linguistique* في صفحته 152.

67) نفس المؤلف، ص. 27.

68) المرجع نفسه، ص. 26.

69) المرجع نفسه، ص. 30.

70) المرجع نفسه، ص. 31.

71) المرجع نفسه، ص. 31.

72) يامسلاف 1899 –1965 لغوي دنماركي رائد حلقة كوبنهاقن من أشهر مؤلفاته، المقدمات *Prolégomènes*

73) سالم شاكر، المرجع نفسه، ص. 35

74) المرجع نفسه، ص. 35

75) المرجع نفسه، ص. 40 وأيضا دي سوسور وكذلك، حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، عن ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسةالوطنية للكتاب بدون تاريخ.

76) ترجمة بتصرّف عن مؤلف مونان، مفاتيح الى علم الدلالة، ص. 60.

77) سالم شاكر المرجع نفسه ، ص. 43.

78) المرجع نفسه، ص. 42.

79) المرجع نفسه، ص. 47.

80) المرجع نفسه، ص. 49.

الباب الثالث

التطورات المعاصرة للسانيات

من لسانيات اللسان الى لسانيات الخطاب والكلام

منذ عهد دي سوسور اتخذت اللسانيات اللسان كظاهرة اجتماعية وكنظام صوري موضوعا لها للبحث والدراسة فكانت اللسانيات الحاقة هي لسانيات اللسان وليس هناك موضوع آخر جذير بالدراسة. لكن سرعان ما دخلت هذه اللسانيات البنوية في أزمة وقد يبدوا ذلك واضحا مع ظهور تشومسكي وتوجيهه النقد اللاذغ لما سماه اللسانيات البنوية التصنيفية [1] ولإن كان تشومسكي نفسه قد فشل في اقتراح حل جذري للخروج من المأزق الذي وقعت فيه الدراسات البنوية بسبب تشبثها ببعض المفاهيم والمبادئ التي لم تقو على مواجهة الكثير من المسائل والمشاكل التي طرحت على المختصين والمهتمين بالقضايا اللغوية في السنوات الأخيرة.

ذلك أنه يجب ألا ننسى أن اللسان أداة تبليغ، أداة يتحدث بها الانسان ويتصل بها بالغير فاللغة استعمال يومي مستمر ومتواصل بل لا تتحقق إلا ضمن هذا الاستعمال في تفاعل مستمر بين المتكلمين. لذا ينبغي علينا ان نرجع الى دراسة صور هذا الاستعمال أي أن نعيد لظواهر الكلامية اعتبارها في الدراسة. ينبغي أن نتجاور التقابل السوسوري الذي أقْصِيَ من خلاله الكلام من دا ئرة اهتمام اللغويين [2].

وذلك لأن طبيعة اللغة التبادلية تثبت أن للظواهر الكلامية دورا فعالا في تسيير آليات التبليغ والاتصال اللغوي في المجتمع.

فحري بنا إذن أن نعيد الاعتبار للظواهر الكلامية والكلام الذي عداها دي سوسور من الظواهر الثانوية الخارجة عن موضوع اللسانيات والذي أرجاء تشومسكي دراسته الى مرحلة لاحقة هو الآخر.

فاللغة عندما تتحقق إنما تتحقق في المجتمع فلا يخلو هذا التحقيق ولا تخلو هذه التأدية من آثار التفاعل مع الظواهر الأخرى المتواجدة معها في المجتمع وهي إذ تتحقق في هذا الإطار تتحقق في تبادل وتفاعل يحصل بين المخاطب والمخاطب لا يتقصر على الاخبار والتبليغ بل هي عمل ونشاط يقوم به المتكلمون يجب أن تتوفر عند تحقيقه بعض الشروط المعينة ليكون مفيد أي لتحصل الفائدة وليؤدي غرضه أي الغرض الذي كان موجودا وراء تحقيقه.

فلم يلبث ان توجّه اهتمام الدارسين الى العناية بكل هذا القضايا المتعلقة بالكيفية التي تستعمل بها اللغة، بالكيفية التي تحقق بها اللغة بالفعل عند الاستعمال، عند التخاطب وتندرج هذه القضايا كلها في إطار تيار من الدراسات والنظريات تسمى عند أهل الاختصاص بالتداولية [3] والتي تعني بصفة خاصة بالكيفية التي بها تستعمل اللغة عند الحديث أو في الحديث والتي يعرفها أحد اللغويين الفرنسيين كالتالي :

«دراسة استخدام اللغة داخل الخطاب والسمات المميزة التي تؤسس وجهته الخطابية في صلب اللغة» [4]

اللسان نشاط يؤديه المتكلم في مقام معين : نظريات الحديث وأفعال الكلام

تحول جذرى أحدثه التوجه الى العناية بالظواهر الكلامية إذ تغيرت النظرة إلى اللغة فلم يعد ينظر إليها على أنها نظام من الأدلة مستودع في أدمغة المتكلمين، نظام تتندرج فيه هذه الأدلة ضمن علاقات تركيبية معينة خاصة بكل لسان بل على أنها نشاط يتحقق في وضعية خطابية تبادلية ومقيدة بقيود خاصة.

وحقيقة القول إنّ إرهصات أولية ظهرت في أواخر القرن الماضي وبداية هذا القرن مع دعوات بيرس Pierce الذي عاصر دي سوسور حيث ولد سنة 1839 وتوفي سنة 1914 وإن كانت اعماله لم تنشر إلا في العقد الثالث من هذا القرن [5] دعواته الى تناول الدليل اللغوي فى أبعاده الثلاثة حتى وإن كانت في

الواقع موجودة مجتمعة في كيان واحد فإن ضرورة التحليل تقتضي فصلها للدراسة، نجد إذن :

أولا البعد التركيبي حيث يتناول الدليل في نفسه فهو بهذا الاعتبار مجرد دال كامن غير معين وغير مختص فإذا أخذنا مثلا الأحمر الذي هو صفة في المطلق نجد أن دلالاته عديدة فقد يدل على اللون أو علامة الوقوف بالنسبة للمارة أو السيارات أو على الغضب عند احمرار الوجه... الخ.

ثانيا البعد الوجودي أو الدلالي (المعنوي) حيث يربط الدليل بما يدل عليه وهذه العلاقة تقتضي أن العلاقة الأولى التركيبية موجودة ؛

ثالثا وأخيرا البعد التداولي حيث ينظر الى الدليل من خلال العلاقة التي تربطه بمؤوله فيصير الدليل بذلك قانونا عاما في عالم التبليغ والدلالة.

نلمس ما لهذا التناول الثلاثي من تجاوز للحدود التي وضعها التحليل السوسوري لأن بيرس يذهب الى أبعد ذلك إذ يقول «الكلمة أو الدليل الذي يستعمله الانسان هو الانسان ذاته... الانسان اذن ككائن ذي فكر، هو دليل لغوي، هو الكلمة ولإن كان يتميز عنها بالطبع حيث يمكن ان نقول ان الانسان عاقل وان الكلمة ليست كذلك. ولكن هذا العقل الذي يرتبط وجوده بوجود جسم مادي لا تمتلكه الكلمة، ما هو بصفته إحساس وشعور إلا جزء من الوجود المادي للانسان الدليل [6]. نرى كيف أن اللسان بوحداته لم يعد كيانا خارجا عن ذات الانسان الذي يتكلمه بل أنه نشاط هو من صلب نشاط المتكلمين. من هذا المنطلق نفسه انطلق اللغوي الفرنسي ايميل بنفنيست [7] الذي دعا هو الآخر الى اعتبار ما يحدث عندما يتحقق الكلام في مقام معين ما يسميه هو الحديث اي العملية بما تحتويه من علامات لغوية وغير لغوية تؤسس للتبادل والخطاب، تلك هي القاعدة الأساسية لما سمي بعد هذا اللغوي نظريات الحديث [8] التي تؤكد على ضرورة التمييز بين اللغة كسجيل من الأدلة ونظام تتركب فيه هذه الأدلة واللغة كنشاط يتحقق من خلال وقائع الخطاب التي تخصصها علامات خاصة، تلك العلامات التي يسميها المؤشرات ودورها يكمن في تصيير اللغة خطابا فعليا. هذا التصيير هو الحديث أو التلفظ أي إجراء اللغة وتحقيقها من خلال فعل كلامي فردي. نحن

نعتبر شخصيا أن المساهمة الأساسية لهذه النظريات والتي غيرت نظرتنا للظاهرة اللغوية تكمن في إبرازها للحقيقة العاكسة (بفعل المطاوعة) لكل كلام حيث أنه يحيل الى العالم وفي نفس الوقت الى الفعل الكلامي الذي يؤديه.

وتوسعت هذه المعالجة إلى الاهتمام بدور المتكلمين في إقامة العلاقة التبادلية الخطابية من خلال ما يبنونه من افتراضات على ما يريدون قوله وما يتلقونه من أقوال أي ما نسميه نيات التبليغ والحديث ويقول زميلنا الجيلالي دلاش في ذلك ما يلي :

« عند كل عملية من عمليات التبليغ، ينطلق الأطراف (المتخاطبون) من معطيات أساسية معترف بها ومعروفة. وهذه الافتراضات المسبقة لا يصرح بها المكتلمون وهي تشكل خلفية التبليغ الضرورية لنجاح العملية (التبليغية). وهي محتواة في القول، سواء تلفظ بهذا القول إثباتا أو نفيا. وهكذا لو قمنا باختبار قول ما ويعد هذا الاختبار اختيار النفي. فان الافتراض المسبق يظل صالحا :

– اغلق النافذة .

– لا تغلق النافذة.

يتمثل الافتراض المسبق ههنا في كون النافذة مفتوحة.

مثال آخر : لنتصور الحالة التالية : يقول الطرف الأول الى الطرف الثاني

– كيف حال زوجتك ؟ وأولادك ؟

إن هذا يفترض بأن الطرف الثاني : متزوج وله أولاد كما يفترض بأن العلاقات القائمة بين هذين الشخصين تسمح بطرح مثل هذه الأسئلة : يردّ الطرف الثاني قائلا :

– هي بخير، شكرا.

– الأطفال في عطلة.

وإذا عن له رفض الافتراض المسبق وإذا كانت الخلفية الإخبارية غير مشتركة بين المتكلمين، فإن الطرف الثاني قد يتجاهل السؤال ويدلي بالخبر الضروري او يرفض الكل :

– أنا لا أعرفكم (1)

– انا لست متزوجا (2)

– لقد طلقت زوجتي (3)

إننا في الواقع نميز بين نوعين من الافتراضات المسبقة : الافتراضات المسبقة الدلالية والمنطقية – حسب المصطلح المعتمد والافتراضات المسبقة التداولية. في المثال الذي ضربناه آنفا يعتبر رد الفعل رقم (1) افتراضا مسبقا تداوليا قويا وكذلك بالنسبة لرد الفعل رقم 3 الذي هو أقل قوة – أما رد الفعل رقم (2) فهو افتراض مسبق منطقي ... إن هذه الخلفية للمعرفة غير الصريحة في صلب التخاطب قد تمس عالم الحياة اليومية او العالم المتخيل (عالم الجن والحور) والعالم العلمي بوجه عام. لذا فان أهمية الافتراضات المسبقة في التبليغ بينة... إن سوء التفاهم غالبا ما يكون مرده الى العجز من حيث الافتقار الى مجموع الافتراضات المسبقة الضرورية للتبليغ، كما يمكنه ان يكون سببا في إخفاق الكلام».[9]

في الوقت ذاته الذي كانت فيه تتبلور الدراسات التي تندرج ضمن ما يسمى بنظريات الحديث وكذلك كل الاعمال التي اهتمت ولا تزال تهتم بدراسة المبادلات اللغوية وتحليلها بالتاكيد على الطبيعة الحوارية للغة [10] توطدت أسس توجه آخر لدراسة اللغة يقتفي خطى الأعمال التي قام بها الفلاسفة الانجليز وأشهرهم جون أوستين ممن يسمون بفلاسفة المدرسة التحليلية [11] وهو أول من قال إن اللغة نشاط وعمل ينجز أي أن المتكلم لا يخبر ويبلغ فحسب بل إنه يفعل أي يعمل، يقوم بنشاط مدعم بنية وقصد يريد المتكلم تحقيقه من جراء تلفظه بقول من الأقوال. فاللغة ليست بنى ودلالة فقط بل هي أيضا فعل كلامي ينجزه المتكلم ليؤدي به أغراضا فهو عمل يطمح من خلاله أن يحدث فالكلام، بهذا الاعتبار، مثلما تقول كترين كربرارت – أو ريكوني هو عملية تبادل للأخبار دون شك ولكنه أيضا فعل مضبوط بقواعد دقيقة يزعم تغيير حال المخاطب وتحويل نظام معتقداته و / أو مواقفه السلوكية وبالمقابل فهم الكلام وإدراكه يعني تشخيص مضمونه الإخباري وتحديد غرضه التداولي أي قيمته وقوته الانجازية [12]. عندما يقول قاضي المحكمة « أَرْفَعُ الجلسة »الآن قوله هذا لا يخبر فقط بل هو

بالفعل يرفع الجلسة كذلك هو الحال عندما يقول الطفل لأمه « أعدك لن أفعل ذلك ثانية» فهنا الفعل هو الوعد إلى آخره من الأمثلة التي تبرز المظهر العملي للغة من خلال نوع خاص من الأقوال يسميها أوستين الأفعال الإنشائية والتي هي عبارة عن «أفعال أي كيفية من كيفيات العمل»[13]. يقول الأستاذ الزميل جيلالي دلاش ملخصا أفكار أوستين ما يلي « يحتوي الفعل اللغوي – حسب تحليل أوستين – على ثلاثة أفعال تشكل كيانا واحدا علما بأن الأفعال الثلاث يقع حدوثها في وقت واحد. إنّ فعل القول الذي بواسطته يتفوه المرء بشيء ما يتفرع الى ثلاثة افعال فرعية :

– الصوتي ويتمثل في التلفظ او في انتاج أصوات أو قرع.

– التبليغي ويتمثل في كون هذه الأصوات تتوفر على صورة (كلمة) معينة فضلا عن انتمائها الى لغة محددة وخضوعها لقواعد هذه اللغة النحوية.

– الخطابي الذي يجعل هذه الكلمات أو العبارات ذوات دلالة معينة.

أما الفعل الانشائي فيتمثل في إنجاز عمل ما بإنتاج الفعل الانشائي ويتعلق الأمر بتحقيق قصد المتكلم. وفي الأخير هناك الفعل التأثيري والذي بواسطته أحدث وجوبا رد فعل وتأثيرا لدى مخاطبه. وهذا يعني من جملة ما يعني أنني أؤثر على أفكاره ومشاعره. وهذا هو الفعل التأثيري. إنّ القول التالي أطفى الضوء (بصيغة الأمر) يثير لدى مخاطبي – إن هو فهم قصدي – رد فعل ومن ثم يقوم بإطفاء الضوء» [14]. نفضل نحن أن نقول بترجمة نراها أنسب إنّ الفعل الكلامي أو فعل الكلام يتكون من ثلاثة مكونات هي :

1– فعل لغوي إنّ صح التعبير كأن نقول «لا تكذب»

2– فعل إنجازي وهو الذي يزعم إيثارة رد الفعل وتغيير السلوك (كلاميا او حركيا) وهنا في مثالنا النهي ؛

3– فعل علائقي يتمثل في رد فعل المخاطب للنهي في المثال المذكور بالاستجابة أو العصيان [15].

وقد وسع جون سورل نظرية أستاذه أو ستين فطورّ نظرية أفعال الكلام [16] وأضاف الى ما جاء به أوستين أفكارا هامة حيث أنه صنف الأفعال الكلامية

أو أفعال الكلام إلى أفعال مباشرة وأفعال غير مباشرة، أما الأولى فهي التي تكون فيها علامات الفعل المقصود في القول نفسه في حين أن الأفعال غير المباشرة فتحتاج الى تأويل لإظهار نيتها أو قصدها الانجازي. فلنتابع جيلالي دلاش وهو يعرض الخطوط العريضة النظرية سورل في نفس المؤلف الذي أشرنا اليه أعلاه «يعتمد سورل على مبدأ فلاسفة اللغة العادية الذي تلخصه العبارة المركزة التالية «القول هو العمل».[17] فالقول في نظره، يتشكل من السلوك الاجتماعي الذي تضبطه قواعد. وهذا يعني إنجاز أربعة افعال فى الوقت نفسه :

ا – فعل القول،

ب – فعل الأسناد،

ج – فعل الإنشاء،

د – فعل التأثير.

يتمثل الفعل أ في التلفظ بكلمات (بنى صرفية وكلمات) وجمل ، الفعل ب يسمح بربط الصلة بين المتكلم 1 والمتكلم 2 وهذا يعني أننا نحيل على الأنا والأنتم مع الاسناد وهو المتمثل في مغادرة القاعة كما هو وارد في المثال التالي : «أنصحكم بمغادرة القاعة». والإحالة والإسناد هـهنا يشكلان القضية التي ليست هي بعد فعل الكلام ومع (ج) يحقق الفعل الانشائي أي القصد المعبر عنه فى القول وقد يكون هذا القول نصيحة أو إشعارا أو تحذيرا أو تهديدا أو وعدا أو أمرا. لنظر في الأمثلة الأربعة التالية :

– أنصحكم بمغادرة القاعة،

– غادروا القاعة فورا،

– حبذا لو غادر القاعة،

– هل غادر القاعة ؟

في جميع الأحوال، نحن إزاء قضية واحدة، الأنا صريح أو مضمر أو الأنتم أو الهو يحيل دائما على الشخص بعينه (الإحالة بالإشارة) والإسناد (مغادرة القاعة) غير أنّ هناك عدة أفعال إنشائية يمكن إنجازها في نفس الوقت :

النصح، الأمر والتهديد والتحذير، التمني، الأمر غير المباشر ، التأسف وأخير الاستفهام والاستعلام.

والملاحظ هنا أنه قد تم التغاضي عن الامارات الإضافية للفعل الإنشائي (كالتنغيم والإيماء والحركة) التي ترد في حال التواصل العادي لتدعم القول الانشائي، من ذلك مثلا : طيب لا تفعل

– لا ، لن أخرج.

فهذان القولان – علما بأنه يمكن الحصول على أقوال أخرى – يشكلان فعلين تأثيريين ويتوقفان على التأويل الذي يعطي للقول. ان المستمع يعتمد على جميع العناصر المقامية لتأويل دور المتكلم التأثيري تأويلا مناسبا وعلى غرار فيجنشتاين يميز سورل بين نوعين من القواعد : القواعد المكونة (بكسر الواو) التي تحدد معايير اللعبة،

القواعد الضابطة التي تنظم العلاقات بين الأشخاص وتحدد بعض الأشكال السلوكية. وبتطبيقه هذا التحليل على فعل «الوعد» حصل سورل أربع قواعد أساسية هي :

1– قاعدة المحتوى الإسنادي ؛

2– قاعدة التقديم ؛

3– قاعدة الإخلاص ؛

4– القاعدة الأساسية.

اما فعل «الشكر»فإنه يحتوي على :

1– المحتوى الاسنادي : الطرف (ب) قدم خدمة للطرف (ا) بواسطة العمل (ج)

2– القاعدة التمهيدية : العمل (ج) قد افاد

3– قاعدة الاخلاص : الطرف (ا) اعترف بجميل (ب) بسبب العمل (ج) الذي قدره حق قدره.

4– القاعدة الأساسية : (ا) عبر عن امتنانه ل (ب)»[18].

ثم يواصل الأستاذ دلاش عرضه لنظرية سورل قائلا «تناولنا الى حد الآن الأقوال التي تتوفر على تطابق تام بين معنى الجملة ومعنى القول : أي الأفعال المباشر ة... (و) يكون الفعل مباشرا إذا تطابق القول (الفعل وحكمه ونوع الجملة) مع الإنشاء مثال ذلك :

– أعلن عن افتتاح الجلسة ؛

– أمرك بالخروج ؛

– افتح النافذة ؛

– أين وضعت الكتاب ؟

تتوفر جل الأفعال على سمة التواضع (الاصطلاح) والطقوسية التي تزيد أو تنقص ونجدها بخاصة في مختلف أنواع المؤسسات. لقد خصص سورل جزءا كبيرا من أعماله لحصر ما يميز الفعل المباشر عن الفعل غير المباشر... فهو فعل إنشائي ثانوي يستنبطه المستمع من مجموع أوضاع التواصل... (او التخاطب) »[19]. لتوضيح مفهوم الأفعال غير المباشرة، يعود سورل ليطرح مسألة المعنى الحقيقي والاستعارة أو المعنى المجازي فيستنتج في الأخير إلى أن «القول الحقيقي ينتصب وجوده متى كان هناك تطابق بين معنى الجملة والمعنى الذي يقصده المتكلم وما يفهمه المستمع أما الاستعارة فهي عكس ذلك أن تخبر المستمع على الانتقال من المعنى الحقيقي الى المعنى الذي يسنده المتكلم الى قوله .... لننتقل الآن الى الفعل غير المباشر معتمدين على المثال التالي : «إنّك تدوس رجلي» يحدد سورل على النحو التالي : هو فعل انشائي ثانوي – كأن نطلب من أحد الناس أن يكف عن «دوس الرجل» او هو فعل أولي لتأكيد «دوس الرجل». أما الفعل المباشر فإنه يكتسي صيغة الجملة الأمرية مثلا. وفضلا عن هذا فإن إمكانية استخدام الأفعال غير المباشرة تسخر (بفتح الخاء) لأغراض هزلية : عندما يؤول المستمع قصد الفعل المباشر بوصفه فعلا مباشرا والعكس بالعكس.

رجل الجمارك (يوجه حديثه الى مسافر) : هل بحوزتكم سجائر ؟

المسافر : نعم لدي سجائر (ويهدى الجمركي سيجارة).

وإنه لو بإمكاننا تعداد أمثلة من هـذا القبيل علمـا بـأن الجميع قـد استعمله
أو سجلها. غير أنه يجب أن نسجل بأنه يتعين علينا في حياتنا اليومية أن نجر
اختيارا حصيفا وملائما لمقتضى الحال بين الفعل المباشر والفعل غير المباش
ذلك أن خطأ ما قد يؤدي إلى صدام بل إلى صراعات بين الأشخاص»[20].

يمكننا لو كان ذلك ما نرومه أن نطيل الحديث ونوسعه في موضوع أفعا
الكلام وذلك لأهميته وما أحدثته من تغيير الاهتمام وتوجيهه نح
الاستعلامات العادية للغة ودور المتكلمين الأساسي في تحديد مقاص
الخطاب وإبرازها ولكن هذا يتجارز حدود مؤلفنا الذي نود من خلال التعريف
بأهم ما جد في الدراسات اللسانية المعاصرة فموضوع أفعال الكلام يحتا
الى مؤلف بحاله علنا نسجل ذلك في مشاريعنا اللاحقة. إن ما يمكن ا
نستخلصه هو أن عناية اللغوين توجهت بذلك نحو تحليل ما يجري أثنـ
الخطاب وركزت هذه العناية على المحادثة بصفتها النموذج الأول والأصي
للتبادل اللغوي فنجد ڤرايس وحكمه المشهورة حكم المحادثة أو ما يسم
ديكرو قوانين الخطاب[21] وهي قواعد تتغير بتغير الثقافات والحضارا
يفترض المتكلم أن مخاطبه يحترمها مثله عند الحديث. يدور حول ماهية هذ
القوانين وطبيعتها نقاش وجدال بين المختصين. فإذا كان ڤرايس قد أوج
أربع قوانين يتصل كل واحد مبدأ ينبغي ان يمتثل له كل خطاب، المبدأ الأو
متعلق بالكمية اللازمة من المعلومات التي يأتي بها كل مخاطب أمّا الثان
بنوعيتها، الثالث بحصافتها وفائدتها ثم الرابع والأخير بطريقة الإخبار الت
يتوفر فيها بالضرورة الوضوح والاختصار. تنحو هذه المبادئ كلها نح
تكريس مبدأ المشاركة التي دونها لا يتم أي تبادل :[22] نجد أن كاترين كربا
أوريتكوني تقول التبادل اللغوي يخضع لنوعين من المبادئ هما المباد
الخطابية العامة والمبادئ الخطابية الخاصة[23] وتندرج في الصنف الأو
قوانين المشاركة أو الشراكة والحصافة والصدق وهي بهذا لا تختلف ع
ڤرايس كثيرا. نفس الملاحظة يمكن إبداؤها فيما يخص الصنف الفرعي الأو
من الصنف الثاني من المبادئ الخاصة حيث تتحدث اللغوية الفرنسية ع
الحصافة والشمولية والصدق في الإخبار شأنها شأن اللغوي الأمريكي.

أما ما تضيفه اللغوية فيتمثل في اقتراحها نوعاً آخر من المبادئ الخاص
المتصلة أو المرتبطة بدواع سلوكية وأخلاقية تقيد التبادل في المكان والزمـ

حيث لا ينبغي ألا يتجاور المتخاطبون حدودهم وأن يحفظ كل واحد منهم ماءالوجه وقد خص العالم الأمريكي إيرفين ڤوفمان اهتمامه بدراسة طقوس التفاعل والتبادل بين بني البشر ونشر في ذلك مؤلفات عديدة وما يمكن أن نستخلصه مما سبق ذكره أن قواعد التبادل اللغوي وقيوده تختلف من شعب الى آخر فالعربي مثلا عند التحدث يكثر من التحرك ويقترب من مخاطبه في حين أنّ ذلك مستهجن بشدة عند الأمريكان[24].

ونقول في الأخير أن هذه المبادئ ولإن كانت قد وضعت أصلا لتفسير ضوابط التبادل اللغوي وتعليلها فإنّها في الحقيقة تشمل كل أنواع الخطاب التي يستعملها المتكلمون مشافهة ومكاتبة. من هنا انصبت عناية اللغويين الى محاولة تصنيف هذه الأنواع وإبراز خصائصها الذاتية [25].

فتبين للمختصين إنه ينبغي عليهم بل حان الوقت أن يتجاوزوا في تحليلهم للنشاط الكلامي البشري حدود الجملة التي كان يعتقد جل اللغويين البنويين أنها الوحدة القاعدية للنظام اللغوي، أن يتجاوزوا الجملة إذن وأن يعتبروا النص هو الوحدة القاعدية للخطاب اللغوي.

– الانتقال من مفهوم الجملة الى مفهوم النص في تحليل النشاط اللغوي الانساني : اللسانيات النصية.

هذا هو في نظرنا التحول الأساسي الذي حدث في السنوات الأخيرة في الدراسات اللسانية لأنه أخرجها نهائيا من مأزق الدراسات البنوية التركيبية التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية البنوي والدلالي والتداولي. يقول اللغوي الألماني روك في هذا الصدد ما يلي «أخذت اللسانيات النصية بصفتها العلم الذي يهتم ببنية النصوص اللغوية وكيفية جريانها في الاستعمال، شيئا فشيئا مكانة هامة في النقاش العلمي للسنوات الأخيرة. لا يمكن اليوم أن نعدها مكملا ضروريا للأوصاف اللغوية التي اعتادت أن تقف عند الجملة معتبرة إياها أكبر حد للتحليل بل تحاول اللسانيات النصية أن تعيد تأسيس الدراسة اللسانية على قاعدة أخرى هي النص ليس غير. لكن هذا لا يعني أننا نعتمد المعنى المتداول بين الناس للنص (نص مكتوب عادة ما يأخذ شكل منتوج مطبوع) بل ينبغي أن ندرج في

مفهومنا للنص كل أنواع الأفعال التليغية التي تتخذ اللغة وسيلة لها» [26] فالنص بهذا المنظور يشمل كل أنواع النصوص المتداولة في المجتمع المكتوبة وغير المكتوبة. الإبداعية وغير الإبداعية....

لعلنا نختصر الطريق في تقديم أهم توجهات اللسانيات النصية لو اعتمدنا في ذلك على ما عرضناه في مقال نشر في العدد الثاني عشر من مجلة اللغة والدرب التي تصدرها جامعة الجزائر حيث عرضنا للقارئ العربي أهم القواعد المبدئية التي اقترحها اللغوي الفرنسي جان ميشال آدام لإرساء أسس نظرية نصية متكاملة مما نتصور أن يكون في المستقبل علم نص تداولي [27]. تحدد هذه المبادئ إطارا التحليل النصي اللساني التداولي وهي مبنية على أربع فرضيات أساسية تقر كل واحدة منها :

1 – الطبيعة النصية لممارساتنا الكلامية او الخطابية ،

2 – النصية شروطها وقوامها الترابط والاتساق والانسجام،

3 – ضرورة التمييز بين نصية محلية ونصية عامة،

4 – الهيكلة المقطعية غير المتجانسة في الأساس للنص والنصية.

تتفرع هذه المبادئ الأربع أربع فرضيات فرعية، هي على التوالي وبالترتيب :

1– السلوك الانساني في المجال الرمزي وخاصة منه الرمزي اللغوي يطبع بطابع النصية

يستنتج من ذلك آدام أنّ الجملة ليست هي الوحدة القاعدية للتبادلات الكلامية والخطابية بل النص هو وحدة التبليغ والتبادل. ويكتسب النص انسجامه وحصافته من خلال هذا التبادل والتفاعل ينبغي إذن أن نتجاوز إطار الجملة لنهتم بأنواع النسيج النصي التي يحدثها المتكلمون أثناء ممارستهم الكلامية.

ولا يخفي أدام ههنا ضرورة الاهتمام بالعلوم الأخرى (الانتروبولجيا، التاريخ، علم النفس الادراكي، انتوغوافية التبليغ، الفلسفة الخ) والاستعانة بها لمقاربة هذا النوع من الوحدات اللغوية التي يتساءل في شأنها عن جدوى

تطبيق المناهج البنوية الكلاسيكية لدراستها. تتفرع الفرضية الفرعية الأولى هي الأخرى إلى فرضيات ثانوية أخرى.

1.1 – لتتداول النصوص في المجتمع، ينبغي أن تتوفر لدى المتكلمين ملكة نصية تجعلهم قادرين على فهم (إدراك) وإحداث كلامية نصية وكذلك على إنتاجها.

من هنا نفهم، و تتأكد لدينا ضرورة توسيع دائرة الملكة اللغوية لتشمل كل القدرات التبليغية التي تجعل منا متكلمين فاعلين وهي بالطبع تشمل الملكة النصية العامة (التي تسمح بإدراك نصوص متسقة ومترابطة وإنتاجها كذلك) والملكة النصية الخاصة التي تسمح بإدراك مقاطع نصية على أنّها سردية أو وصفية أو حجاجية... وإنتاج مقاطع أخرى على منوالها)

2.1– لا تتوافق ملكة المتكلمين بالضرورة.

يلفت هنا آدام انتباهنا إلى عملية تلقي النصوص وتفاعل القارئ المستقبل لها حيث يمكن أن تتوافق أهدافه مع أهداف الكاتب (مؤلف النص) كما يمكن ألا تتوافق فقد يصير القارئ النص الأصلي نصا آخر عند القراءة والتلقي ليناسب معتقده وأهدافه ومعارفه الخ وإن كنا نفترض أن بين المؤلف والقارئ قدرا مشتركا من المعتقدات والمعارف يسميه آدام الفضاءات الذهنية.

ثم تأتي الفرضية الثانية التي تتفرع هي الأخرى إلى أربع فرضيات ثانوية.

2 – النص منتوج مترابط متسق ومنسجم وليس تتابعا عشوائيا لألفاظ وجمل وقضايا وأفعال كلامية.

النص كل تحدّه مجموعة من الحدود تسمح لنا أن ندركه بصفته كلا مترابطا بفعل العلاقات النحوية التركيبية بين القضايا وداخلها وكذلك باستعمال أساليب الإحالة والعائد المختلفة والروابط والمنظمات العديدة ولكن النص لا يكون مترابطا فحسب بل ينبغي أنْ يتصف بالاتساق بل إنّ الاتساق من الشروط الأساسية لبناء نصية المعنى وينتج هذا الاتساق باستعمال النظائر الدلالية أو المتجانسات الدلالية.

ولا تستقيم نصية القطعة إلاّ بانسجامها وهذا يأتي عند إدراج النص ضمن إطار السياق ولا يكتمل إلاّ إذا اكتملت كل أبعاد النص وبعده التداولي

أو توجهه التداولي الحجابي يتبلور خلال العملية التأويلية التي تتم أثناء التفاعل والتبادل الكلامي.

1.2– يعد كل إنتاج لغوي هيكلة مزدوجة، الأولى تتم من خلال نظام اللغة والثانية من خلال وضع النص.

وبالتالي كل نص يشبه نصا آخر ويختلف عنه بفعل هذه الهيكلة المزدوجة.

2.2– النصية نتاج تشكل مزدوج مقطعي وتداولي.

لعل هذه هي الفكرة المتميزة للمؤلف، مفهوم المقطع الذي من خلاله يضع تصورا بنويا (بمفهوم النظام) تراتبيا للنص الذي يمكن أن يمفصل إلى مقاطع بفعل التنظيم والتنقيط والشكل ولكن وهذا هو الأهم بفعل علامات لغوية معينة إلى مقاطع حيث يصبح المقطع هو الوحدة المكونة للنص أمًّا توجه النص التداولي فيحدده غرضه وتَحُدُّه العلاقات التي تربطه بمحيطه الخطابي والمرجعي العام[27].

3.2– تتنازع النص نزعتان، نزعة للاستمرار والتكرار ونزعة للتدرج والاستمرار.

4.2– قراءة النص (إدراكه وتلقيه) هي عبارة عن حل لإشكالات أو المشاكل.

التبليغ النصي (بواسطة النصوص) عملية تتوالى فيها فترات من الضياع والاسترجاع لتوازن واستقرار تحصل من خلالهما الفائدة المرجوة، لذلك يكون وضع النص معتمدا على توازي معقول حصيف من عدم التنبؤ والصعوبة وعلى إمكانية التكهن بالنتائج المحصلة.

أمًّا الفرضية الثالثة فهي متعلقة بالتحليل النصي ومميزاته اذ تؤكد على :

3 – ضرورة التمييز بين مستوى النصية المحلية ومستوى النصية العامة.

ولكل من الترابط والاتساق والانسجام علامات خاصة متميزة تحدد النص في بعده الجزئي وفي بعده الكلي.

أمّا البعد الجزئي أو الميكرونصي فالترابط المحلي فيه علاماته العلاقات النحوية المنطقية في حين أن الاتساق فيه يتبلور بترتيب الموضوعات

والمحمولات وأخيرا الانسجام المحلي الذي تنتظم فيه أفعال الكلام التي يحويها النص وتحده كذلك علامات الخطاب المختلفة أما الترابط في البعد الكلي أو الماكرونصي فيكون بين المقاطع فيما بينهما والنص بمجمله. أما النظائر أو المتجانسات الدلالية فهي قوام الاتساق العام في حين أن التوجه الحجابي التداولي العام للنص يحدد انسجام النص العام.

1.3– المستويان غير متوافقين بل هناك تكامل بينهما بحيث يخدم كل واحد الآخر.

2.3– يخضع النص الى معالجة عمودية ومعالجة أفقية في نفس الوقت.

من خلال تحليله الى سلسلة العلامات المحلية المذكورة أعلاه ومن خلال تقطيعه الى مقاطع مرتبة ترتيبا سلاميا وفق تعليمات خاصة الفرضية الفرعية الرابعة الأخير ة توضح لنا أن النصوص ليست مبنية بناءا متجانسا إذ يمكن أن تتكون من مقاطع مختلفة ومتنوعة.

4– النص بنية مقطعية غير متجانسة في الأساس

عند محاولته لتصنيف النصوص، تبين آدام أنّ ذلك صعب جدا لأنّ النصوص المتداولة في المجتمع البشري قلما تكون متجانسة لذلك افترض مبينا ان النص إذا بدا لنا متجانسا (وهذا قليل) فهذا يرجع إمّا لأنه يشتمل على مقطع واحد او أنه مكون من كذا من المقاطع من صنف واحد أما أغلبية النصوص فهي غير متجانسة حيث أننا نجد مثلا أن مقطعا مختلفا أدرج في بنية مقطعية أصلية (الحوار في السرد، السرد في الوصف الخ...) أو أن مقطعا يهيمن على المقاطع الأخرى في النص.

إذا كان الشكل من عدم التجانس مدروسا فإن النوع الثاني لا يزال يحتاج الى البحث والتنقيب[28].

ويرى آدام أن لهذه الفرضية آثارا هامة على تصورنا لعملية التلقى والقراءة لأنها تقتضي منا أننا نكيف العمليات والاستراتيجيات التي نقيمها كقراء وفق هذا التجانس المفقود [29].

تلك هي إذن المسائل التي تتمحور حولها الدراسات اللسانية النصية وقد فتحت آفاقا جديدة في تناول الظاهرة اللغوية فاصبحت الآن تتناول في كل

أبعادها البنوي (اللغة عند دي سوسور والملكة عند تشومسكي) والاستعمالي (الكلام عند سوسور والتأدية عند تشومسكي) فلا يمكن أن ينفرد الجانب اللساني البنوي المحض بالدراسة ولإن كان ذلك ضروريا في وقت من الأوقات (لتستقل اللسانيات كعلم قائم بذاته) فهذا لم يعد ممكنا لأن كل توجهات البحث المعاصرة تبرز وتؤكد على أنّ اللسان ليس لسانا إلاّ عند تحقيقه أي عند استعماله الاستعمال الفعلي في الواقع فنجد في الآونة الراهنة الكثير من الدراسات والأبحاث تحاول جمع اللغوي بالاجتماعي تنضوي كلما تحت ما أصبح يسمى الآن بعلم الاجتماع اللغوي.

اللسان مؤسسة اجتماعية / اللسان ومحيطه الاجتماعي: بعض قضايا علم الاجتماع اللغوي

اللسان مؤسسة اجتماعية قد أكد على ذلك دي سوسور نفسه في الصفحات الأولى من دروسه [30] ولكنه سرعان ماينقض هذا الإقرار ويقصي الكلام عن دائرة اهتمامه ولا ينظر إلا للسان بصفته موضوع علم اللسان وهو حسب زعمه رصيد مستودع في دماغ جماعة من المتكلمين، القاسم المشترك بينهم أما الكلام فما هو إلا تأدية لهذا اللسان تمتزج فيه عوامل أخرى نفسية وفيزيولوجية واجتماعية وغيرها لا يعدّها دي سوسور من صميم الدراسة اللسانية [31].

وقد أدى صروف الاهتمام عن الكلام وتأدية اللسان الفعلية إلى تجاهل التحولات الخارجة عن النظام وإلى إبعاد كل هذه الظواهر بل نفيها وكأنها غير موجودة لا تقع وإن أشير إليها للتمثيل فقط.

والواقع أن اللسان مثله مثل كل المؤسسات الاجتماعية يعكس كل ما يجري في المجتمع الذي يستعمله والمجتمعات الانسانية بطبيعتها مبنية على التنوع وأساسها الصراعات والتناقضات التي تتفاعل فتجعل البنى الاجتماعية تعرف حركة وديناميية مستمرة ومتواصلة وتلك هي صيرورة الحياة فاللسان مؤسسة اجتماعية تتفاعل مع كل المؤسسات الاجتماعية الأخرى ينطبع بهذا التنوع والاختلاف ويعكس بدوره الحركة الاجتماعية في تحولاتها وصراعتها وتناقضاتها بل قد تكون اللغة البؤرة والحيز الذي تنصهر فيه الصراعات والتناقضات التي تحتد على الساحة الاجتماعية.

اللغة نشاط مؤسس اجتماعيا وهو بهذا الاعتبار ليس كيانا موحدا بل يعرف أيضا التنوع بل التنوع من طبعته وجزء من كيانه وينظم هذا التنوع في المجتمع على محورين :

* محور الزمان والمكان حيث أن مختلف لغات العالم تعرف التنوع اللهجي الذي تتداخل فيه العوامل الاجتماعية بالتاريخية والجغرافية وغيرها فتجد مثلا في الفضاء العربي اختلاف اللهجات من الخليج إلى المحيط فلو أخذنا على المستوى الصوتي تنوع التأدية بالنسبة لحرف القاف «ق» الذي يمكن أن ينطق قافا وءافا وكافا ،إذا تتبعنا توزيع هذه التأديات نجد أن النطق بالقاف همزة تختص بها بعض الحواضر الكبيرة والعريقة في الحضارة العربيةالاسلامية وهي من الغرب إلى الشرق فاس وتلمسان والقاهرة وبيروت ودمشق [32].

ومن الملاحظ أن هذا التنوع لم ينحصر في الجانب الصوتي للغة كما يعتقده الكثير بل نجده في كل المستويات اللغوية في المفردات لاحظ معا قارئي الكريم التسميات المختلفة لبعض الخضر والفواكه وكذا الألوان في العالم العربي ولاحظ كذلك أساليب التحية والسلام وتذكر ماقاله العرب القدماء عن اختلاف بعض القبائل العربية في إعمال «ما» فبعضها تجعلها ترفع الاسم وتنصب الخبر والبعض الآخر لا يعملها ؟ أليس هذا من باب النحو ؟ ولا نريد أن نثقل هذا العرض فالأمثلة كثيرة ويستطيع القارئ أن يجد الكثير منها فيما ألف من المؤلفات حول لغات العرب ولهجاتهم وكذلك في المكتبة الحديثة للدراسات اللهجية التي عنيت بمختلف لغات لعالم [33].

* أما المحور الثاني فهو محور التنوع الاجتماعي، محور عمودي (الأول أفقي) يساير انتظام المجتمعات البشرية في مستويات وطبقات اجتماعية يناسب هذا التوزيع الاجتماعي توزيع لغوي حيث أن هذه الطبقات تتميز باستعمالات لغوية تسمى عند أهل الاصطلاح أي من عرف علم الاجتماع اللغوي [34] المستويات أو السجلات اللغوية. وقد حاول بعضهم وعلى رأسهم اللغوي الانجليزي بازيل بارنشتاين ربط رقي الاستعمال اللغوي برقى المستوى المعيشي للمتكلمين وأثار ضجة كبيرة وجدالا لما يوجد في هذه النظرة من الحتمية والجبرية [35] وقد يعتبر وليام لابوف اللساني الأمريكي

مؤسس تيار الدراسات التنوعية أي الدراسات التي تبحث في مظاهر
اللغوي وتحاول أن توجد أو أن تكتشف الضوابط والقواعد التي
ولابوف الذي اشتهر بدراسته لأداء الشبان السود بفتوهات نيو يورك
هذه الدراسة هي الدراسة اللسانية الحاقة [36] لأنها تهدف إلى وضع
للأداءات اللغوية أي نظرية التأدية ما قد عزفت عنه اللسانيات ال
البنوية منها أو التوليدية.

فلم نعد اليوم نتحدث عن الملكة بمفهومها اللغوي الضيق بل نتح
ملكة تبليغية تشمل القدرة على التحكم في قواعد الاداء اللغوي
استخدام آليات النظام اللغوي في مختلف مستوياته) وأيضا القد
توظيف هذه الآليات في الاستعمال بمعرفة ما يينبغي أن يؤدي ويقال
مقام أي في كل وضعية خطابية تبليغية [37]. فتصبح مهمة الباحث هي
عن هذه الضوابط أي المقاييس التي تسير استعمالنا للغة فهي تتغ
المجتماعات والمجموعات اللغوية، تلك المهمة التي اضطلعت بها الثن
التبليغ بزعامة اللغوي الامريكي دال هايمس وذلك أن كل مجموعة ل
وتختار لنفسها مجموعة من الطقوس والمقاييس تضبط التبادلات الل
كل مناسبات الحياة [38].

في نفس الإتجاه ولكن هذه المرة انصب الاهتمام على دراسة المج
المتعددة اللغات (وإن كان في الحقيقة لا يوجد مجتمع أحادي اللغة قط
الزمن) فاتجهت العناية إلى دراسة مقاييس التداخلات اللغوية
الاحتكاك اللغوي وكذلك محاولة ضبط أو تصور (بتعبير أدق) أنماط
اللغوي عن طريق ضبط العلاقات التي تربط مختلف اللغات الم
ومكانتها ومكانتها في المجتمع والتصورات التي بينها المتكلمون عن

والحقيقة أن مجالات عديدة تنضوي تحت ما يسمى بعلم الاجتماع
لا يسع المقام ههنا أن نذكرها كلها وفي اعتقادنا أن المهم الأهم الذي ي
يسجله القارئ الكريم هو أن التوجهات المعاصرة للدراسات اللسان
بكيفية صريحة وأكيدة ومؤكدة نحو الاهتمام بالتبادلات اللغوية
النواة الأساسية للاستعملات اللغوية سواء أحاولت أن تفهم
ضوابطها الاجتماعية العامة (تلك هي مهمة علم الاجتماع اللغوي)

اهتمت بما يجري عند التبادل بالفعل بين المتكلمين (تلك هي مهمة التداولية بمختلف تياراتها) [40] لأنهما في الأخير يبحثان في موضوع واحد هو تأدية الانسان الفاعل المتكلم للغة.

الهوامش

1) انظر ما قلناه في هذا العدد في الهامش 36 (الفصل الثالث، الباب الثالث).

2) انظر لمزيد من التفاصيل مؤلف بول إيليوار التداولية اللسانية المذكور في قائمة
الأساسية.

3) أول من استعمل هذا المصطلح في اللغة العربية (الذي يقابل في اللغة ا
pragmatique وفي اللغة الانجليزية، pragmatics) هو الأستاذ طه عبد الرحمن. ال
المغربي.

يقول موشلار (أنظر البيبليوغرافيا المرفقة) أن التداولية تهتم باللغة عند استعم
استعمال اللغة أو الاستعمال اللغوي، تعنى التداولية إذن بدراسة الاستعمال اللغوي (الص
من نفس المرجع)، وإذا كنا نتحدث عن الاستعمال اللغوي فإن هذا الاستعمال ليس حيادي
آثاره ليس على مسار التبليغ فحسب بل على النظام اللغوي نفسه.

يبدو بديهيا أن نلحظ أن بعض الوحدات اللغوية لا يمكن أن تؤوّل إلا في سياق ال
كالمبهمات مثلا، أي أسماء الاشارة والموصل والأسماء المضمرة، أي الضمائر. و
الظواهر لا تكتسي قيمتها إلا عند إدراجها في الحديث لتمثيل أحد عناصر الوظيفة الخطا

أقل بداهة أن نقول إن استعمالنا للبنى اللغوية ينتج برجوع عكسي بصمات معينة
الاستعمال اللغوي أو بالأحرى علامات يمكن أن تطبع النظام اللغوي نفسه.

أما منقونو (أنظر قائمة المراجع المرفقة)، فيرى أن مفهوم التداولية يحيل في نفس
إلى فرع من فروع الدراسة اللسانية وإلى تصور معين للّغة نفسها. والتبليغ اللغوي
تماما التصور البنوي حيث أن التوجه التداولي يخترق كل العلوم الانسانية ف
نظرية بعينها بقدر ما يمثل نقطة لقاء لمجموعة من التيارات تشترك في بعض الأفكار ال
والرئيسية.

والتداولية من جهة أخرى تشير إلى مكون من مكونات اللغة إلى جانب المكوّنَيْن
والدلالي، في المكون التركيبي تدرج العلاقات التي تربط الدوال اللغوية بعضها ببعض في
المكون الدلالي يصور العلاقات التي توصل هذه الدوال بالواقع وهو مرجع الدلالات (ا
اللغوية، أما المكون التدوالي فتدرج فيه العلاقات التي تربط تلك الدوال بمستعمليها و
استعمالها وآثار هذه الاستعمال على البنى اللغوية.

أما إيليوار (أنظر قائمة المراجع المرفقة) فيشير أن التداولية إطار معرفي يجمع مجم
المقاربات تشترك عندها معالجتها للقضايا اللغوية في الاهتمام بثلاثة معطيات لما لها د
في توجيه التبادل الكلامي وهي

* المتكلمين (المخاطب والمخاطب)

* السياق (الحال / المقام)

* الاستعمالات العادية للكلام، أي الاستعمال اليومي والعادي للغة في الواقع. ينبغي أن نسجل أن التداولية نشأت كرد فعل للتوجيهات البنوية فيما أفرزته من تصورات صورية مبالغ فيها خاصة عند اللساني الأمريكي تشومسكي وأتباعه وكذلك الغلو في الاعتماد عند وصف الظواهر اللغوية على التقابل المشهور الذي وضعه دي سوسور بين اللغة والكلام حيث أبعد الكلام وهو الذي يمثل الاستعمال الحقيقي للغة ونظامها.

ويبدو حسب ايلوار، أن اعتبار دور المتكلمين والسياق والكلام العادي في التحليلات اللغوية يشعرنا بنوع من القلق والاضطراب نظرا إلى صخب الحياة وآثار المسارات التاريخية والممارسات الفعلية والحقيقية للغة في حقيقتها فلا توجد ثمة لغة مثالية أو لغة بدون تجسيد حقيقي يشوبه ما يشوب الحياة من صخب واضطراب.

4) عن مؤلف نذكره في الهامش 9 وهو قول اللغوي الفرنسي فرانسوا ريكاناتي

RECANATI François, in *La pragmatique.*

ترجمة زميلنا محمد يحياتن من جامعة تيزي وزو.

5) إن أعمال بيريس Charles S. PIERCE 1839 موزعة بين عدد من المقالات والرسائل والوظائف المختلفة جمعت في «الأعمال المجمعة أو الأوراق المجمعة*Collected papers* التي نشرت بين سنة 1931 وسنة 1958، ترجمها جيرار ديلدان إلى اللغة الفرنسية ونشرت سنة 1978.

Collected *Papers sélectionnés et présentés* par P. WEISS et C HARTSHONE, 8 volumes, Harvard University Press.

Ecrits sur le signe, rassemblés, traduits et commentés par G. SELEDALLE, Le Seuil, Paris.

قد خصص العدد 58 من مجلة اللغات *Langage*s لعرض أعمال بيرس.

6) أنظر 5313/5314 *Collected papers* أو الترجمة الفرنسية ص 248.

7) إيميل بنغينيست Emile BENVENISTE لغوي فرنسي مشهور جدا بمؤلفه مسائل في اللسانيات العامة (أنظر قائمة المراجع المرفقة)

Problèmes de linguistique générale.

8) نظريات الحديث Théories de l'Enonciation. لمزيد من التفصيل أنظر مؤلف برونكار BRONCKART المذكور في قائمة المراجع المرفقة.

9) جبلالي دلاش Djilali DALACHE زميل كان يدرس بمعهد اللغات الأجنبية بجامعة وهران وهو متخصص في اللغة الألمانية، مؤلف المدخل الذي ترجمه زميلنا محمد يحياتن *Introduction à la pragmatique linguistique* مدخل إلى اللسانيات التداولية عن ديوان المطبوعات الجامعية، الأول سنة 1986 والثاني أي الترجمة، سنة 1992.

10) ذكرنا في قائمة المراجع مجموعة من المؤلفات تعنى بهذا الجانب أي الطبيعة الحوارية للغة.

11) هو جون أوشين John AUSTIN رائد الفلسفة التحليلية وصاحب
أنظر القائمة المرفقة. *quand dire c'est faire / How to do things with wourds*

12) كاترين كربرارت أورييكوني Cathrine KERBRAT ORECCHIONI لغوية ف
تدرس بجامعة ليون وقد اقتبسنا قولها بتصرف بسيط من مؤلفها :

onciation de la subjectivité dans le langage

13) أنظر دلاش بترجمة محمد يحياتن، ص، 24.

14) المرجع نفسه ص 24/ 25.

15) لمزيد من التفصيل أنظر مؤلفات MAINGUENEAU, MOESCHLER المذكو
قائمة المراجع.

16) هو جون سورل John SEARLE تلميذ أوستين. بغض النظر عن مؤلفه
الكلام *Speech acts* المذكور في قائمة المراجع، أنظر المؤلفات المذكورة في الهامش ال
أيضا،

17) لمزيد من التفصيل رأنظر مؤلفات ELUARD المذكور أعلاه وكذلك MARCONI
المراجع) و ؛

TGENSTEIN. L (1922), Tractatus logico-philosophicus, Routledge -

an Paul Ltd, Londres.

الترجمة الفرنسية صدرت عن Gallimard، سنة 1993.

18) أنظر دلاش المدخل،الصفحات 24، 25، 26 من الترجمة.

19) المرجع نفسه ص، 27 – 28.

20) المرجع نفسه ص، 29 – 30. لفضول القارئ نود أن نحيله إلى مؤلف عربي قديم هو
العلوم السكاكي، ما سيقوله عن فعل الأمر بتحليله يشبه إلى حد كبير تحليل سورل للأقوال
المباشرة، في هذا المجال أنظر أيضا مؤلف أحمد المتوكل بعنوان ؛

exions sur la théorie de la signification dans la pensée linguistique arabe

الصادر عن كلية الآداب والعلوم الجامعية الرباط، سنة 1982، وكذلك عملنا في الجزء ال
من رسالتنا للدكتوراة التي ذكرناها في الفصول السابقة

21) أنظر e H.p. (1979) «Logique et conversation» in *Communications*, N° 30
(ترجمة لمقال صدر باللغة الانجليزية سنة 1979).

22)لمزيد من التفصيل أنظر المؤلفات التالية.

Ducrot (1972),Dire et ne pas dire, Hermann, Paris.

Dicrot (1984),le Dire el le dit, Paris, Ed de Minuit, Paris.

23) كذلك لمزيد من التفصيل أنظر مؤلفات كربرات أوريكيوني التالية :

KERBRAT ORECCHIONI. c (1981), *L'implicite*, Paris, A. Colin.

KERBRAT ORECCHIONI. C (1990), *Les interaction verbales*, tome 1, Paris, A. Colin.

KERBRAT ORECCHIONI. C (1990), *Les interaction verbales*, tome 2, Paris, A. Colin.

وأنظر أيضا هذا المرجع مفيد لأنه يتضمن تعريفات موجزة لأهم المفاهيم الت يوظفها تحليل الخطاب، وهو لمنقونو ؛

MAINGUENAU D. (1996), les terme clés de l'analyse du discours, Paris, Le Suil.

24) أنظر مؤلفات ڤوفمان

GOFFMAN E. (1973), *La mise en scène de la vie quotidienne*, Tome 1 : *la* présentation de soi, Tome 2 : *les relations en public*, Paris, Les Editions de Minuit

GOFFMAN E. (1974), *Les rites d'interaction*, Paris, Les Editions de Minuit

GOFFMAN E. (1974), *Façons de parler*, Paris, Les Editions de Minuit

25) أنظر في مؤلف منڤونو المشار إليه في الهامش 23 أعلاه تعريف مصطلح الخطاب Discours حيث يقول اللغوي الفرنسي منڤونو أن المفهوم العام لهذا المصطلح هو بالذات مفهومه في تحليل الخطاب لا يحيل إلى مجال بحث معين بقدرما يحيل إلى تناول معين للسان حيث أن هذا الأخير في منظور تحليل الخطاب ليس بنية اعتباطية بل هو نشاط لفاعلين يعيشون في وضعيات محددة.

26) أنظر مؤلف روك القالي :

RUCKS H. (1980), *Linguistique textuelle et enseignement du français*, Hatier, paris.

ذلك هو في نظرنا التحول الأساسي في مسار الدراسات اللسانية مع تجاوز حدود البنية اللغوية الضيقة وحدود الجملة كوحدة محورية في التحليل اللغوي واعتماد النص (بمختلف أنواعه) وحدة قاعدية لهذا التحليل وهو صورة الخطاب الحقيقية التي يتم من خلالها التبليغ بين أفراد المجموعة اللغوية. والجدير بالملاحظة أن النصوص عندنا لا تقتصر على النص الابداعي بل إننا نعتمد في تناولنا على مفهوم واسع للنص يشمل كل أنواع النصوص التي ينتجها المجتمع مكتوبة في الأصل أو منسوخة عن المنطوق أو المسموع المرئي.

النص هو في نفس الوقت شكل وصورة، محتوى وبنية لغوية تؤدي وظيفة تبليغية معينة.

النص في المنظور اللساني هو تشكيل لغوي يكتسب صفة النص أو طبيعته النصية يكون مشكّلاً من شبكة من العلاقات التي تتمحور وفق محورين : محور أول هو محور تتسلسل فيه الوحدات اللغوية المكونة للنص في العلاقات النصية الداخلية التي تضبطها أحكام النحو

والمنطق ومحور ثان هو محور المناسبة المعنوية المرجعيية حيث تربطه بالمحيط علاقات
تؤدي أغراضا ومقاصد معينة والملتقى علاقات تندرج كلها ضمن مفهوم التماسك علاقات
ظاهرة حيث أن مؤشرات التماسك علاقات لغوية ظاهرة في النص (الروابط، شبكة المض
وعلامات الاعجام، التنقيط، التنغيم الخ.) أما مؤشرات التناسب فبعضها ظاهر في النص و
نستنشفه من ربط النص بالنصوص الأخرى (التناص) أو مماّ يؤديه النص من أغراض وم
تبليغية وتداولية. أنظر في هذا المجال المقال الذي قدمناه لمجلة اللغة والأدب في عدد ال
سنة 1996 بعنوان «محاولة لتوظيف التحليل النصي على نماذج نصية موجهة للمتعلمين (لل
والكتابة) (تعليم اللغة العربية للكبار)؛

27) انظر مؤلفه مبادئ في اللسانية النصية،

وما قلناه عنه في مقال لنا بمجلة اللغة والأدب في عددها الثاني عشر، سنة 1996 ب
«قراءة في اللسانيات النصية. مبادئ في اللسانيات النصية لجان ميشال آدام»؛ ومجلة
والآدب كان يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها بجامعة الجزائر.

28) انظر المقال المذكور في الهامش 26 أعلاه.

29) أصبحت نظرية القراءة والتأويل توجها حافلا بالدراسات والمؤلفات سواء بالغرب
على القارئ أن يراجع قائمة المراجع المرفقة بهذا الكتاب. وزيادة للإفادة نذكر لقارئنا ال
بعض العناوين العربية وهي كلّها مغربية من منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية (ج
محمد الخامس بالرباط)، وهي على التوالي :

* من قضايا التلقي والتأويل، مداخلة ملتقى تّم سنة 1995بنفس الكلية.

* نظرية التليقي، إشكالات وتطبيقات، مداخلات ملتقى تم سنة 1993بنفس الكلية.

30) انظر في ذلك الصفحات الأولى من دروس دي سوسور وما قلناه عنها في الباب الأو
هذا المؤلف.

31) انظر أيضا في ذلك ما قلناه عن هذين التقابلين في الباب الأول بالنسبة إلى دي سو
وفي الباب الثاني بالنسبة إلى تشومسكي.

32) عرفت وتعرف اللغة العربية مثلها مثل كل اللّغات التنوع اللهجي حيث يمكننا اليوم أن
هذه اللهجات توزيعا جغرافيا وفق عدد البلدان العربية ولكن داخل كل بلد تتوزع هذه اللهجات
لهجات حضرية خاصة بالمدن ولهجات ريفية أو قروية تمثل استعمالات اللغة العربية المخ
التي يمكن للباحث ملاحظتها ودراستها عبر الوطن العربي.

33) تزخر المكتبة العربية والغربية بالدراسات اللهجية لا يسعنا المجال ههنا إلى ذكرها
فهي تمثل مجالا خصبا يعرف بعلم اللهجات أو dialectologie، رجاؤنا فقط وهو أن نعتق
معرفتنا لواقعنا بتنوعه وثرائه سياسهم في معرفتنا لنفسنا و لكل أبعاد هويتنا.

34) علم الاجتماع اللغوي أو Sociolinguistique مثلما نقول علم النفس اللغوي
Psycholinguistique.

35) لمزيد من التفصيل أنظر :

Bernstein B (1975) *Langage et classes sociales. Codes Sociolinguistiques et contrôle social*, Paris, Les Editions de Minuit.

36) لمزيد من التفصيل أنظر :

LABOV W. (1976) *Sociolinguistique*, Paris, Les Editions de Minuit.
LABOV W. (1978) *Le parler ordinaire, la langue dans les ghettos noirs aux Etats-Unis*, Paris, Les Editions de Minuit.

ونذكر هنا تاريخ الترجمة طبعا.

37) أنظر لمزيد من التفصيل مؤلف روك المذكور في الهامش 26 وأيضا مؤلف دال هايمس.

HYMES D. (1984), *Vers la compétence de communication*, Paris, Hatier.

38) أنظر في مجلة دراسات في اللسانيات التطبيقية في عددها 37 النمط الذي وضعه دال هايمس لوصف العلاقات بين الاستعمالات الاجتماعية.

39) اشتهر اللغوي جون قونبرز بدراسة أساليب الانتقال الغوي في المحادثات وله في ذلك مؤلفات نذكر من بينها :

GUMPERZ. J. (1989) *Engager la conversation. Introduction à la Sociolinguistique* interactionnelle, Paris, Les Éditins de Minuit.

وذلك هو تاريخ نشر الترجمة الفرنسية؛

أما فيما يخص دراسة المجتمعات متعددة اللغات فنحيل القارئ الكريم إلى مؤلفنا

Les Algériens et leur(s) langue(s)

الذي نشر عن دار الحكمة، بالجزائر، سنة 1997، في طبعته الثانية، وتصدر ترجمته العربية في الأشهر القليلة القادمة.

40) أنظر مؤلف موشلار المذكور في قائمة المراجع في فصله الأول.

قائمة المراجع الأساسية

لم نشأ أن نذلل هذا الكتاب بفهرس للمراجع تقليدي بل أردنا أن نـ
القارئ إلى عناوين نراها أساسية، كلها مصادر أجنبية (رتبناها ترتيبا تاري
من الأقدم إلى الأحدث) مما يبين أن الجهد في التأليف باللغة العربية في مـ
الدراسات اللسانية لم يصل إلى المستوى المطلوب، لم نثبت عناوين عر
على قلتها فقد تمت الاشارة إليها في متن الكتاب.

JAKOBSON R. (1963), *Essais de linguistique générale*, Editions de Minuit, is.

MARTINET A. (1965), *La Linguistique synchronique*, Presses versitaires de France, Paris.

BENVENISTE E. (1966), *Problèmes de linguistique générale (1)*, limard, Paris.

RUWET N. (1967), *Introduction à la grammaire générative*, Plon, Paris.

MARTINET A. dir (1968), *Le langage, Encyclopédie de la Pléiade*, imard, Paris

MARTINET A. (1970), *Langage et fonction*, Denoêl Gonthier, Paris.

AUSTIN J.- L. (1970), *Quand dire c'est faire*, (traduction) Le Seuil, Paris.

CHOMSKY N. (1971), *Aspects de la théorie syntaxique*, (traduction), Le il, Paris.

LEPSCHY G.-G. (1972), *La linguistique structurale*,(traduction), Payot, s .

DUCROT O (1972),*Dire et ne pas dire*, Herman, Paris.

SEARLE J-R. (1972) *Les actes de langage*, (traduction) Herman, Paris.

MARCELLESI J.- B., Gardin B. (1974), *Introduction à la sociolinguistique. inguistique sociale*, Larousse, Paris.

MOUNIN G. (1974), *Dictionnaire de linguistique*, Pressse Universitaires France. Paris.

BENVENISTE E. (1974), *Problèmes de linguistique générale (2)*, imard, Paris.

BRONCKART J.-P. (1977), *Théories du langage. Une introduction critique*, Pierre Mardaga, Bruxelles.

BAYLON. C., FABRE P. (1978), *La sémantique*, Nathan, Paris

KERBRAT-ORECCHIONI. C (1980), *L'Enonciation de la subjectivité dans le langage*, Armand Colin, Paris.

BACHMANN C., LINDELFED J., SIMONIN J. (1981), *Langage et communications sociales*, Hatier, Paris.

HYMES D.-H. (1984), *Vers la compétence de communication*, Hatier, Paris

HAGÈGE C. (1985), *L'homme de paroles*, Fayard, Paris.

ELUERD R. (1985), *La pragmatique linguistique,* Nathan, Paris.

MOESCHLER J. (1985), *Argumentation et conversation. Eléments pour une analyse pragmatique du discours*, Hatier, Paris.

KERBRAT-ORECCHIONI. (1986), *L'Implicite*, Armand Colin, Paris.

DUBOIS J. et al. (1989), *Dictionnaire de linguistique*, Larousse, Paris.

BAYLON C., FABRE P. (1990), *Initiation à la linguistique*, Nathan, Paris.

BAYLON C. (1990), *Sociolinguistique. Société, langue et discours,* Nathan, Paris.

ADAM J.- M. (1990), *Eléments de linguistique textuelle. Théorie et pratique de l'analyse textuelle*, Pierre Mardaga, Bruxelles.

SCHOTT-BOURGET V. (1994), *Approches de la linguistique*, Nathan, Paris.

X MOESCHLER J., REBOUL A. (1994), *Dictionnaire encyclopédique de pragmatique*, Le Seuil, Paris.

DUCROT O., SCHAEFFER J.-M. (1995), *Le Nouveau Dictionnaire Encyclopédique des sciences du langage,* Le Seuil, Paris

MAINGUENEAU D. (1996), *Les termes clés de l'analyse du discours*, Le Seuil, Paris.

PLANTIN C. (1996), *L'argumentation*, Le Seuil, Paris.

MARCONI D. (1997), *La philosophie du langage au XXe siecle,* Editions de l'Eclat, Paris.

TRAVERSO V. (1999), *L'analyse des conversations*, Nathan, Paris.

قوائم الأعلام والأسماء
الأجنبية التي وردت في الكتاب

قائمة أهم الأعلام الأجانب
الذين وردت أسماؤهم بمتن الكتاب

J. M. ADAM	ج. م. آدام
J. AUSTIN	ح. أوستين
C. BALLY	ش. بايي
R. BARTHES	ر. بارت
E. BENVENISTE	إ. بنفينست
B. BERNSTEIN	ب. بارنشتاين
L BLOOMFIELD	ل. بلومفيلد
N. CHOMSKY	ن. تشومسكي
J. DUBOIS	ج. ديبوا
O. DUCROT	أ. ديكرو
J. FODOR	ج. فودور
H. P. GRICE	هـ. ب. ڤرايس
E.GOFFMAN	إ. ڤوفمان
J. GUMPERZ	ج. ڤومبرز
Z. HARRIS	ز. هاريس
L. HELMSLEV	ل. يلمسلاف
J. J. KATZ	ج.ج. كاتز
C. KERBRAT- ORECCHIONI	ك. كربرات أوريكيوني
W. LABOV	و. لابوف
G. LAKOFF	ج. لاكوف
A. MARTINET	أ. مارتيني
G. MOUNIN	ج. مونان

ج. بياجي .... J. PIAGET

ش.س. بيرس .... C. S. PIERCE

ب.م. بوستال .... P. M. POSTAL

هـ. روك .... H. RUCK

إ. سابير .... E. SAPIR

ف. (دي) سوسور .... F. (DE) SAUSSURE

ل. شيهيهاي .... L. SCHEHEHAYE

ج. سورل .... J. SEARLE

ن. تروباتزكوي .... N .TROUBETZKOY

ل. فيڤنشتاين .... L. WITTGENSTEIN

ج. واطسون .... J. WATSON

ب.ل. وورف .... B.L. WHORF

قائمة أهم المصطلحات
مع مقابلها في اللغة الفرنسية

أ

أداء .... usage
تأدية .... peformance
الأدوات النحوية . (أنظر الوحدات النحوية. الكلمات النحوية كذلك) outils grammaticaux
أسلة (طرف اللسان المرقق جداً) .... apex
أشباه المصوتات أو الصوامت الحروف الليّنة ... semi voyelles ou semi consonnes
آني .... synchronique
آنية (دراسة) .... synchronie / synchronique
الأوتار الصوتة (الشوارب عند سيبويه) .... cordes vocales
لسان المزمار (عند ابن سينا)

التأويل (من أوّل) .... interprétation
الأبجدية الدولية الصوتية .... alphabet international phonétique

ب

الاستبدال .... commutation / permutation
العلاقات الاستبدالية .... rapports paradigmatiques
التبادل (أو التفاعل) .... interaction
التبليغ (البعض يقول التوصيل) .... communication
بنية (ج بنى) .... structure
بناء (ج. أبنية) .... structure (ou construction)
أبنية الكلام أو البنى التركيبية .... structures syntaxiques

البنوية .... structuralisme
البنوية التصنيفية (أو المصنفة) .... structuralisme taxinomique
البنية السطحية .... structure superficielle
البنية العميقة .... structure profonde
بنوي .... structural
البواني (المكوّنات) .... formants

ج

الجرس .... timbre
الجملة (ج. جمل) .... phrase
المتجانسات الدلالية (أو النظائر الدلالية) .... isotopies
الجهاز الصوتي (الآلة الصوتية عند العلماء العرب) .... appareil phonatoire
جهاز الاستقبال (أو الالتقاط) .... émetteur
جهاز الإرسال .... récepteur
الجهر .... sonorité
مجهور .... sonore
الجوامد (أو الصوامت) .... consonnes

ح

حبسي (أنظر كذلك شديد) .... occlusif
الحبس .... occlusion
الحديث (1) (أنظر كذلك التلفظ) .... énonciation
(نظريات)الحديث .... théories de l'énonciation
الحديث (2) (اللفظ أو القول كذلك) .... énoncé
الحد .... modèle
الحرف (ج. حروف) حد التحليل .... plus petit segment linguistique
الحرف (1) (في الصوتيات الوظيفية تجد كذلك فونيم عند بعض اللغويين) .... phonème
الحرف (2) .... graphème
حرف المبنى (أو قطعة غير دالة) .... phonème
حرف المعنى (أو كلمة أو قطعة دالة أو وحدة دالة، وحدة معنوية) .... monème
الانحراف .... latéralité

خ

د

التداولية .... pragmatique
درجة الصوت (أو طبقته) .... hauteur
درجة اتساع المخرج .... degré d'aperture
الدلالة (أو المعنى) .... sens
دلالي .... sémantique
علم الدلالة .... la sémantique
دال .... signifiant
مدلول .... signifié
مدلول عليه (أنظر المرجع) .... référent
علم الدلالة التوليدي علم الدلالة التفسيري أو النظرية الموسعة ... sémantique générative
دورة التخاطب .... schéma de communication
دوري .... périodique
غير دوري .... non périodique

ذ

الذولق (طرف اللسان) .... apex
ذولقي .... apical

ر

الترابط .... cohésion
الرخاوة .... constriction
رخو (أنظر كذلك تسريبي) .... constrictif
الترادف .... synonymie
المترادف .... synonyme
مرسل .... émetteur
مرسل اليه .... récepteur
إرسال .... émission
رسالة (أو الخطاب) .... message
تردّد .... fréquence

ز

س

ش

rapports associatifs .... العلاقات الإشراكية

les lèvres .... الشفتان

la lèvre supérieure .... الشفة العليا

la lèvre inférieure .... الشفة السفلى

labial .... شفوي

sonagramme .... شبح الصوت

sonagraphe .... المشباح

ص

résonance .... الصدى (الرنين)

mode d'articulation .... الصفة (المخرج مصدر ميمي)

trait pertinent .... الصفة الذاتية

voile du palais .... صفاق الشجر (كذلك الحنك اللين)

vélaire .... صفاقي

convention .... الاصطلاح (الوضع أو التواطؤ)

son .... الصوت

l'acoustique (la science) .... علم الصوت

phonétique (adj.) .... صوتي

consonnes .... صوامت (الجوامد)

voyelles .... مصوتات (أو الحركات)

phonétique (la science) .... الصوتيات (علم الأصوات)

phonétique articulatoire .... الصوتيات الفيزيولوجية

phonétique acoustique .... الصوتيات الفيزيائية

phonétique auditive .... الصوتيات السمعية

phonologie .... الصوتيات الوظيفية (الفنولوجيا)

image / forme .... الصورة

formel .... صوري

image acoustique .... صورة صوتية

ط

طبقة الصوت (أو درجته) .... hauteur
الإطباق ..... mouvement de la langue vers le haut accompagnant l'emphase
الطقوس .... rituels

ظ

ظواهر ما فوق التقطيع .... phénomènes supra-segmentaux
الظواهر التنغيمية (أو ظواهر التنغيم) ...... phénomènes prosodiques, prosodie

ع

الاعتباطية .... l'arbitraire
اعتباطي .... arbitraire (adj)
العكدة (عكدة اللسان أو قاعدته) .... racine de la langue
العلاقات الاستبدالية .... rapports paradigmatiques
العلاقات التركيبية .... rapports syntagmatiques
العلاقة الاشراكية .... rapports associatifs
العلامة .... signal
بعضهم يسمي الدليل العلامة .... signe
العلامة العدمية (أو ترك العلامة) .... signifiant zéro / marque zéro
العنصر الدال (الوحدة الدالة، القطعة الدالة) الكلمة) plus petit segment significatif / monème
معجم اللغة (مفردات اللغة كذلك) .... lexique
المعجم (القاموس) .... dictionnaire
معجمي (كذلك إفرادي) .... lexical
معجمية (أو علم المفردات) .... lexicologie
معنى .... sens
معنوي (أو دلالي) .... sémantique

غ

الاستغراق (التوزيع) .... distribution
الجنس الاستغراقي .... classe distributionnelle
الغلصمة .... épiglotte

الغنة .... salité.

أغن (أو خيشومي) .... sal.

ف

فخّم .... ndre emphatique.

مفخم .... nphatique.

التفخيم .... nphase.

علم المفردات .... xicologie.

مفردة (أو وضع لغوي أو الأوضاع) .... xème.

إفرادي (معجمي كذلك) .... xical.

الفضيلة (أو الصفة الذاتية) .... it pertinent

مبدأ الفضيلة .... incipe de pertinence

فعل الكلام (ج. أفعال الكلام) .... te de parole

نظرية أفعال الكلام .... éorie des actes de parole

الافتراضات المسبقة .... ésupposés

الأفعال المباشرة .... tes de parole directs.

الأفعال غير المباشرة .... tes de parole indirects

الأفعال الإنجازية .... tes illocutoires.

الأفعال الإنشائية .... tes performatifs.

الأفعال اللغوية .... tes locutoires

الأفعال العلائقية .... tes perlocutoires.

ق

قابل (باين) .... poser.

تقابل (تباين) .... pposer.

التقابل (تقابل) .... position

تقدير (أو قيمة) .... leur

القرائن (السياق) .... ntexte.

القرائن المقالية اللغوية .... ntexte linguistique.

المقامية الحالية .... ntexte extra linguistique, situationnel

قطع	segmenter
تقطيع	segmentation
التقطيع المزدوج	double articulation
قطعة	segment
قطعة دالة	segment significatif
أصغر قطعة دالة	plus petit segment significatif
قطعة غير دالة	segment non significatif
المقطع	syllabe
المقطع	séquence (J. M. ADAM)
المتقطع من الدوال	monème discontinu, signifiant discontinu
القناة	canal
القناة الصوتية	canal phonétique
القواعد	règles
قواعد إعادة الكتابة	règles de réécriture
القواعد الخاصة بالوضع اللغوي	règles lexicales
القواعد الخاصة بالوضع النحوي	règles syntaxiques
القواعد التحويلية	régles transformationnelles
القواعد التفريعية التوليدية	régles génératives
قوانين الخطاب	lois du discours
القوة الإنجازية	force illocutoire
القول (الحديث)(2)	énoncé
المقوّمات العربية	constituants immédiats

ك

الكلام	parole
الكلمة (ج. كلم أو كلمات) أو أصغر قطعة دالة – مفردة – عنصر دال – وحدة دالة – دالة (ج. دوال)	monème (morphème)
الكلمات النحوية (أو الأدوات النحوية أو الوحدات النحوية)	monèmes grammaticaux.
المتكلم	locuteur
التكرار	vibration
مكرر	vibratoire

الكتابة .... écriture
الكتابة الصوتية .... transcription phonétique
مكتوب .... écrit
المكوّنات (البواني) .... formants

ل

اللسان (ج. ألسن – ألسنة) .... langage / langue
لسانيات (أو ألسنية) .... linguistique
لساني (أو لغوي) .... linguiste
لساني .... linguistique
علم اللسان .... linguistique
اللسانيات النصية .... linguistique textuelle
علم اللسان السكوني .... linguistique statique
علم اللسان التطوري .... linguistique évolutive
اللسان (العضو) .... langue
اللفظة .... lexie
التلفظ (أو الحديث (1) .... énonciation
اللفظ (أو الحديث (2) أو القول) .... énoncé
اللفظ (‡ المعنى أو المضمون أو الصورة) .... forme (‡ sens - substance)
اللهاة .... luette
لهوي .... uvulaire
لين (صفة الواو والياء) .... semi-voyelles ou semi -consonnes

م

المادة الأصلية .... racine du mot
مؤشر .... indice
المجال (أو الحقل) .... champ
المجال المفهومي (الدلالي) .... champ sémantique et notionel
المجال الصوري .... champ formel
محور المتعاقبات .... axe des successivités
محور المتواجدات أو المتقارنات .... axe des simultanéités

المزج .... amalgame

الممزوج .... monème signifiant amalgame

المجاز (‡ الحقيقة) .... connotation

مدرج الكلام .... chaîne parlée

الملكة .... compétence

الملكة التبليغية .... compétence communicationnelle

الملكة النصية .... compétence textuelle

ن

النبر .... accent

النحو .... grammaire

النحو المعياري .... grammaire normative

النحو التقليدي .... grammaire traditionelle

النحو التوليدي التحويلي .... grammaire générative

النحو الوظيفي .... grammaire fonctionnelle

نحوي .... grammatical

النحوي .... grammairien

الاتساق .... connexion

النص .... texte

التناص .... intertextualité

النص السردي .... texte narratif

النص الحجاجي .... texte argumentatif

النصية .... textualité

نطعي .... alvéolaires

النطق .... phonation

منطوق .... oral

النطع (أو مقطع الحنك الأعلى) .... alvéoles

النظام .... système

النظائر الدلالية (أو المتجانسات الدلالية) .... isotopie

النغمات .... harmoniques

النغمة .... ton

التنغيم .... intonation
النقلات .... transitions formantiques
نية تبليغية .... intention de communication
نية الحديث .... intention énonciative

هـ

الهمس .... sourdité
مهموس .... sourd

و

الوحدات الدالة (أنظر قطعة دالة) .... unités significatives
الوحدات المستقلة .... unités autonomes
الوحدات غير المستقلة، التابعة .... unités non autonomes
الوحدات الوظيفية أو الكلمات الوظيفية .... unités fonctionnelles
التوزيعية (المذاهب) (أو الاستغرافية) .... le distributionnalisme
توليد .... néologie (processus)
مولد .... néologisme
الوزن .... schème
توليد (أو تفريع) .... génération
توليدي (أو تفريعي) .... génératif
وضع .... code
وضع (أو تواطؤ أو اصطلاح) .... convention
أوضاع (مفردة) .... lexèmes
توضيع .... décodage
استيضاع .... codage
وظيفة .... fonction
وظيفي .... fonctionnel
وظائف اللسان .... fonctions du langage
الوظيفة التبليغية .... fonction communicative
الوظيفة التوصيلية .... fonction phatique
الوظيفة الخطابية .... fonction conative

الوظيفية التعبيرية	fonction expressive.
الوظيفية التحقيقية	fonction métalinguistique.
الوظيفية الشعرية (الجمالية)	fonction poétique, esthétique.

فهرس الموضوعات

الباب الثاني

التحليل العلمي للسان

الباب الثالث

التطورات المعاصرة للسانيات. من لسانيات اللســان إلى لسانيــات الخطــاب والكـلام

قوائم الأعلام والأسماء الأجنبية التي وردت في الكتاب

أنجز هذا الكتاب من طرف

دار القصبة للنشر

حي سعيد حمدين – حيدرة – 16012، الجزائر

الهاتف : 10 79 54 / 11 79 54 021 الفاكس : 77 72 54 021

موقع الإنترنت : www.casbaheditions.net

البريد الإلكتروني : casbah@casbaheditions.net

الجزائر، 2006

خولة طالب الإبراهيمي

مبادئ في اللسانيات

«مبادئ في اللسانيات» حوصلة عن تطور التفكير اللساني منذ ظهور دروس دي سوسور إلى يوم الناس هذا، تحاول من خلالها المؤلفة إطلاع القارئ الكريم بأهم القضايا التي تطرحها اللسانيات عند تناولها لظاهرة اللسان بالدراسة والتحليل.

عمدت الأستاذة الباحثة خولة طالب الإبراهيمي إلى التعريف بأهم المذاهب اللسانية الغربية ولكن في نفس الوقت حرصت على الوقوف عند وجهة نظر المدرسة الخليلية الحديثة : تلك المدرسة التي تطمح إلى ربط الماضي بالحاضر وتقترح قراءة جديدة تجديدية لتراثنا اللغوي العربي في ضوء النظريات والمبادئ العلمية الحديثة.

دار القصبة للنشر

تدمك : 4 – 207 – 64 – 9961